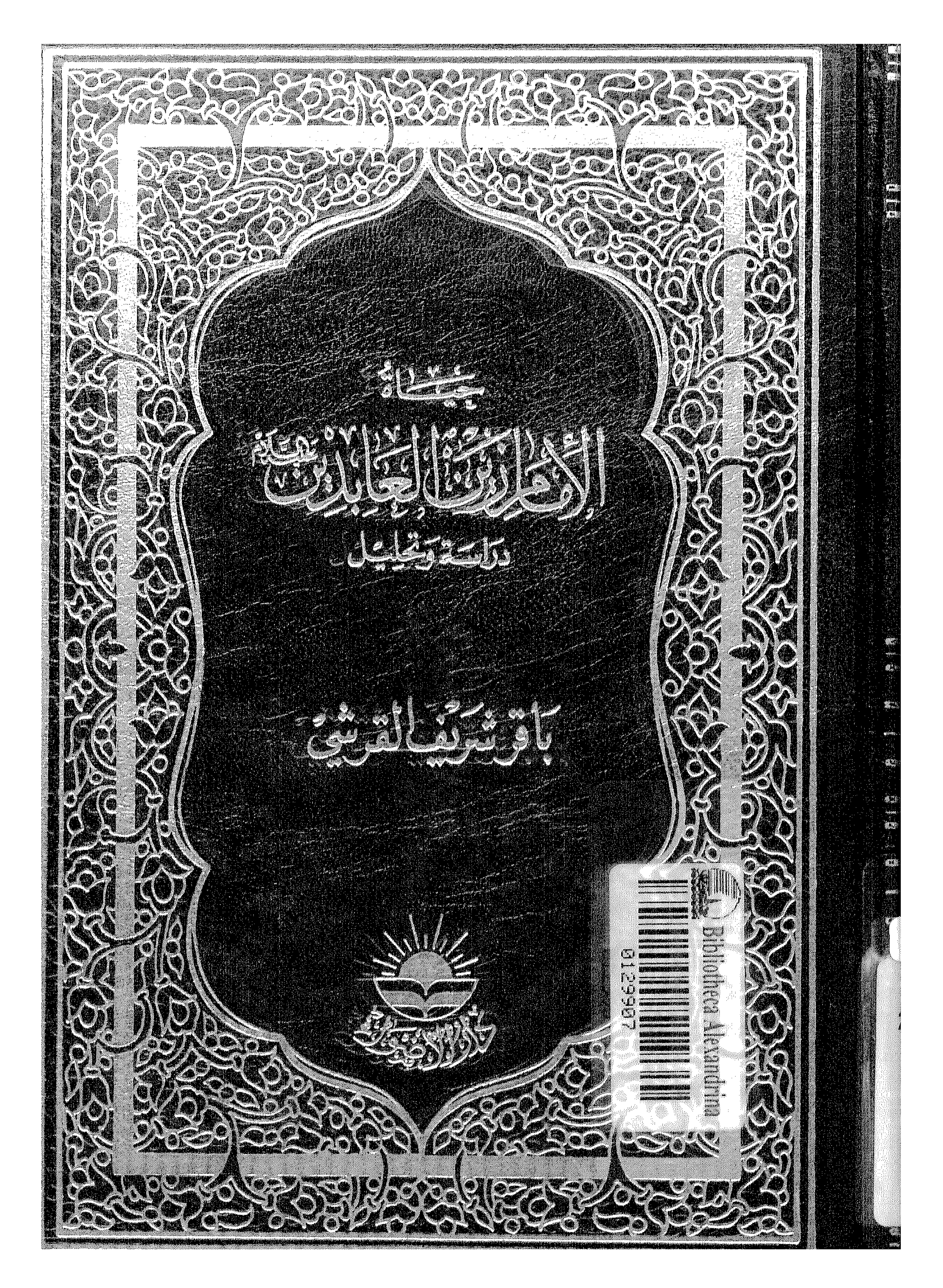

حياة
الإمام زين العابدين عليه السلام
دراسة وتحليل
باقر شريف القرشي
Bibliotheca Alexandrina
0129907





حياة

الإمام زين العابدين (ع)

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

دار الأضواء :

حارة حريك - شارع دكاش - ص. ب ٢٥/٤٠ - برقياً : غبيري عسكو بيروت لبنان

حياة

الإمام زين العابدين (ع)

دراسة وتحليل

باقر شريف القرشي

الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *

(سورة آل عمران الآية ٣٣ ـ ٣٤)

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً*

(سورة الأحزاب الآية ٣٣)

﴿ قُلْ لاَّ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ *

(سورة الشورى الآية ١٥

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمّد سيّد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين ، .

للإسلام قادة ، منهم من عرف بقوة سيفه ومنهم من عـرف بعمق فكره . وتنوّعت أدوارهم على حسب العصر الذي كان يمرّ فيه .

فحياة الإمام زين العابدين عليه السلام كانت حافلة بالدروس الأخـلاقية وكان مثالاً للتقى مما يستوجب دراسة وافية حول حياة هذا الامام العظيم .

وتتمّة للمهمة التي بدأها سماحة العلاّمة الجليل الشيخ باقر نجـل المقدّس الشيـخ شريف القـرشي حول دراسـة حياة الأئمّـة عليهم السـلام والتي سبق أن صـدر منها حيـاة الإمام الحسن وحيـاة الإمام الحسـين وحياة الإمـام محمد البـاقر عليهم السلام . تفخر دار الأضواء أن تقدّم للقرّاء هذا السفر العظيم حول حياة الإمـام زين العـابـدين في مجلدين تنـاول فيهم المؤلف حيـاة الامـام بمـا حفلت واشتملت عليه من أحداث .

نسأل الله التوفيق للمؤلف بإكمال هذه السلسلة وللدار المقدرة على إخراج هـذه الجواهـر لتصبح في متنـاول جميـع النـاس العـامي والخـاص منهم والله وليّ التوفيق

دار الأضواء

بيروت ١/ ٩/ ١٩٨٨م

٢٠ / محرّم / ١٤٠٩هـ

الاهداء

إلى ضمير الأمة الإسلامية ، ورائد كرامتها ووعيها
إلى أبي الأحرار وسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام
ارفع ـ بخضوع وإجلال ـ
إلى مقامه الرفيع هذه الدراسة عن حياة ولده الإمام زين العابدين عليه السلام
الذي هو ملء فم الدنيا في فضائله وعلومه وتقواه راجياً التفضل علي بالقبول
لأعده ذخراً يوم القى الله .

المؤلف

تقديم

- ١ -

وليس في تأريخ هذا الشرق ـ الذي هو مهد النبوات ـ من يضارع الإمام زين العابدين عليه السلام في ورعه وتقواه ، وشدة انابته إلى الله ، اللهم إلا آباؤه الذين أضاؤا الحياة الفكرية بنور التوحيد ، وواقع الإيمان .

لقد حكت سيرة هذا الإمام العظيم سيرة الأنبياء والمرسلين ، وشابههم بجميع ذاتياتهم ، واتجاهاتهم ، فهو كالمسيح عيسى بن مريم في زهده ، وإنابته إلى الله وكالنبي أيوب في بلواه وصبره ، وكالرسول محمد صلّى الله عليه وآله في صدق عزيمته وسمو أخلاقه . . . ولا تحد نزعاته الخيرة وأرصدته الروحية ، وحسبه أنه وحده في تأريخ هذه الدنيا ، قد عرف بزين العابدين ولم يمنح لأحد هذا اللقب سواه .

-٢-

وبرز الإمام زين العابدين عليه السلام على مسرح الحياة الإسلامية كألمع سياسي إسلامي عرفه التأريخ ، فقد استطاع بمهارة فائقة ـ وهو في قيد المرض وأسر الأمويين ـ أن ينشر أهداف الثورة العظمى التي فجرها أبوه الإمام الحسين القائد الملهم للمسيرة الإسلامية الظافرة ، فأبرز قيمها الأصيلة بأسلوب مشرق كان في منتهى التقنين والأصالة والإبداع .

لقد قام هذا الإمام العظيم ببلورة الفكر العام ، وازاحة التخدير الاجتماعي الذي مُنيت به الأمة أيام الحكم الأموي الأسود الذي عمد إلى شل الحركة الثورية في الإسلام ، فأحال حياة المسلمين إلى اشلاء مبعثرة ما بها من حياة وإحساس لقد وضع هذا الإمام العبوات الناسفة في أروقة السياسة الأموية ففجرت نصرهم المزعوم ، ونسفت معالم زهوهم وجبروتهم ، وأعادت للإسلام حياته ونضارته . . . لقد حقق الإمام عليه السلام هذه الانتصارات الباهرة بخطبه الحماسية الرائعة التي ألقاها على الجماهير الحاشدة في الكوفة ، وفي دمشق ، وفي يثرب ، والتي كان لها الأثر البالغ في إيقاظ الأمة وتحريرها من عوامل الخوف والارهاب .

- ٣ -

لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أقوى العوامل في تخليد الثورة الحسينية ، وتفاعلها مع عواطف المجتمع وأحاسيسه ، وذلك بمواقفه الرائعة التي لم يعرف لها التأريخ مثيلاً في دنيا الشجاعة والبطولات وكان من بينها أنه حينما حمل أسيراً إلى ابن مرجانة الذي هو أقْذر ارهابي على وجه الأرض ، فاستهان الإمام به ، ونعى عليه ما اقترفه من عظيم الجريمة والإثم ، وقابله الطاغية بالتهديد بالقتل ، إلا أن الإمام لم يعن به وسدد له السهام النافذة لقلبه ببليغ منطقه ، وقد كان لحديثه معه صدى هامٌّ في الأوساط الرسمية وغيرها من عامة الناس ، وظل يلقي الأضواء على معالم الثورة الحسينية، ويبث موجاتها على امتداد الزمن والتأريخ .

أما خطابه في بلاط يزيد فإنه من أروع الوثائق السياسية في الإسلام ، ولا أكاد أعرف خطاباً سياسياً أبلغ ، ولا أشد تأثيراً منه في إيقاظ الجماهير وتوعية الرأي العام ، فقد سد على يزيد كل نافذة يسلك منها للدفاع عن نفسه ، وتبرير جريمته في قتله لسيد شباب أهل الجنة، وإبادته للعترة الطاهرة . . وأخذ الناس يتحدثون بإعجاب وإكبار عن خطاب الإمام الذي كان من ثمرات النهضة الحسينية ، وصفحة من صفحاتها المشرقة .

- ٤ -

وكان من مظاهر تخليده للثورة الحسينية كثرة بكائه على ما حل بأبيه وأهل بيته وأصحابه من أهوال يوم الطف ، فقد حرم الإمام على نفسه الفرح والسرور ، وذاب أسىً وحزناً ، وعُد من البكائين الخمس الذين مثلوا الأسى على امتداد التأريخ .

وفيما أحسب أن كثرة بكائه ليس من عظم ما مُني به من الخطوب، والمصائب الجسام التي حلت به من فجائع كربلاء ، وإنما كان تخليداً لثورة أبيه التي كانت من أجل تحرير الإنسان من الظلم والعبودية والطغيان ، وقد احدث بكاؤه على أبيه لوعة في نفوس المسلمين ولعل هذه الظاهرة جملة من العوامل التي حفزت الجماهير الإسلامية على مناجزة الحكم الأموي ، فقد انطلقت الشرارة الأولى من يثرب ، فأعلن ابناء الصحابة عصيانهم المسلح على حكومة يزيد التي استهانت بقيم الأمة ومقدراتها .

- ٥ -

واتجه الإمام الأعظم زين العابدين عليه السلام ـ بعد كارثة كربلا ـ صوب العلم لأنه وجد فيه خير وسيلة لأداء رسالته الاصلاحية ، كما وجد فيه خير ضمان لراحته النفسية التي أذابتها كوارث كربلا ، وقد هرع للانتهال من بحر علمه ابناء الصحابة، والعلماء والفقهاء، فأخذ يغذيهم بعلومه ومعارفه ليكونوا مناراً للعلم والأدب في العالم الإسلامي ، ويعرض هذا الكتاب إلى اعطاء صورة من تراجمهم .

لقد انبرى الإمام عليه السلام إلى إنارة الفكر العربي والإسلامي بشتى أنواع العلوم والمعارف ، وقد دعا ناشئة المسلمين إلى الإقبال على طلب العلم ، وحثهم عليه ، وقد مجَّد طلابه ، وأشاد بحملته ، وقد نمت ببركته الشجرة العلمية المباركة التي غرسها جده الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله ، فأقبل الناس ـ بلهفة ـ على طلب العلم ودراسته فكان حقاً من ألمع المؤسسين للكيان العلمي والحضاري في دنيا الإسلام .

- ٦ -

أما الثروات الفكرية والعلمية التي أثرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام فإنها تمثل الإبداع والانطلاق والتطور ، ولم تقتصر على علم خاص ، وإنما شملت الكثير من العلوم كعلم الفقه والتفسير وعلم الكلام ، والفلسفة ، وعلوم التربية والاجتماع ، وقد عني بصورة خاصة بعلم الأخلاق ، واهتم به اهتماماً بالغاً ، ويعود السبب في ذلك إلى أنه رأى انهيار الأخلاق الإسلامية ، وابتعاد الناس عن دينهم من جراء الحكم الأموي الذي حمل معول الهدم على جميع القيم الأخلاقية فانبرى عليه السلام إلى اصلاح المجتمع وتهذيب اخلاقه ، وتقول عنه الشيعة : إنه حين استسلم الناس لشهواتهم تابعين لملوكهم جعل الإمام يداوي النفوس المريضة بالصرخات الأخلاقية والآيات السامية[1] .

لقد عالج الإمام عليه السلام بصورة موضوعية وشاملة القضايا التربوية والأخلاقية ، وبحوثه في هذا المجال من انفس البحوث الإسلامية وأدقها في هذا الفن .

- ٧ -

ولعل من أجمل تلك الثروات بل من أهمها وأكثرها عطاءاً في تنمية الفكر الإسلامي هي أدعيته الجليلة التي عرفت بالصحيفة السجادية، والتي اسماها العلماء تارة بزبور آل محمد (ص) ، وأخرى بإنجيل ال محمد (ص) وعدوها بعد القرآن الكريم ، ونهج البلاغة في الأهمية وهي - بحق - منهج متكامل للحياة الإسلامية الرفيعة ، وذلك بما حوته من معالم الاخلاق، وقواعد الاجتماع. . . ومن الجدير بالذكر أنها احتلت المكانة المرموقة عند الأوساط العلمية الإمامية فعكفوا على دراستها وشرحها ، وقد تجاوزت شروحها أكثر من خمسة وستين شرحاً[2]، كما أن من مظاهر اهتمامهم بها أنهم كتبوا نسخاً منها

---

(١) نظرية الإمامة (ص: ٣٥٠) .

(٢) الذريعة في تصانيف الشيعة .

بخطوط جميلة تعد من أنفس الخطوط العربية، كما زخرفت بعضها بالزخرفة الثمينة التي هي من أنفس الذخائر في الخطوط العربية .

- ٨ -

ونعود مرة أخرى للحديث عن الصحيفة السجادية فنقول : إن أهميتها لم تقتصر على العالم العربي والإسلامي ، وإنما تعدت إلى العالم الغربي فقد ترجمت إلى اللغة الإنكليزية والألمانية والفرنسية ، وأقبل علماء تلك الأمم والشعوب على دراستها، والامعان في محتوياتها ، وقد وجدوا فيها كنزاً من كنوز الفكر والعلم ، كما وجدوها تفيض بالعطاء لتربية النفس وتهذيبها بمكارم الأخلاق . . ومن الحق أنها اضافت إلى ذخائر الفكر الإنساني ثروة لا تطاول ، ولن تثمن وأنها قد حوت من الوان الثقافة العالية ما ندر وجوده في الكتب الدينية والاخلاقية ، كما أنها من أهم المصادر في دراستنا عن شخصية الإمام (ع).

- ٩ -

أما مُثل الإمام زين العابدين عليه السلام وعناصره النفسية فهي مما تبهر العقول وتدعو إلى الاعتزاز والفخر لكل مسلم بل لكل إنسان يدين لإنسانيته ، ويخضع لمثلها وقيمها .

لقد تحلى هذا الإمام العظيم بكل أدب ، وتزين بكل فضيلة وشرف ، وتجرد من كل أنانية ، وابتعد ابتعاداً مطلقاً عن جميع زخارف الحياة ، ومباهجها، وكان من ألمع نزعاته الانابة إلى الله ، والانقطاع إليه ، فقد شاعت في عقله وقلبه وجسمه محبة الله والخوف منه ، وأشرقت نفسه بنور اليقين بالله ، وامتلأت ذاته رجاءاً وأملاً برحمة الله . . . وكان فيما اجمع علية المؤرخون قد اجهد نفسه أي اجهاد على العبادة والطاعة ، وحملها من أمره رهقاً .

ولم ير الناس في عصره من هو أعبد ، ولا من هو أتقى منه ، ونظراً لكثرة عبادته فقد لقب بسيد الساجدين ، وزين العابدين وإمام المتقين .

- ١٠ -

وأشفق عليه أهله من كثرة عبادته ، وخافوا عليه ما يعانيه من المشقة والإعياء فخفوا مسرعين إلى الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الانصاري ، وكان عنده أثيراً، وطلبوا منه أن يلتمس منه في أن لا يجهد نفسه في العبادة فكلمه جابر وطلب منه ذلك برجاء ، وكان مما قاله له : أنه بقية النبوة ، وبقية الله في الأرض ، وأنه ممن يستدفع به البلاء ، إلا أن الإمام عليه السلام أصر على ما ذهب إليه من الدأب على العبادة ، وملازمة الطاعة، فانطلق جابر يقول بإعجاب :

« ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين . . . ».

حقاً إنه لم ير في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين في زهده وتقواه ، وشدة أنابته لله .

- ١١ -

وظاهرة أخرى من المثل العليا التي اتصف بها الإمام عليه السلام هو أنه كان كثير البر والإحسان بالعبيد ، وكان يشفق عليهم كثيراً ، وكان من أهم ما يصبو إليه في حياته تحريرهم من الرق والعبودية ، وقد اعتق مجموعة كبيرة منهم ، ولو وجد مجالاً لما أبقى رقاً ولعل السبب في ذلك هو القضاء على الرقية وعلى استعباد الإنسان لأخيه الإنسان ، وتعريف المسلمين بواقع دينهم العظيم الذي جاء لتحرير الإنسان وانقاذه من الذل والعبودية ، وتحريره فكرياً وجسدياً من جميع ألوان التبعية .

- ١٢ -

ومن الحق أن يقال : إن هذا الإمام الملهم العظيم ليس لطائفة خاصة من الناس ، ولا لفرقة معينة من الفرق الإسلامية دون غيرها ، وإنما هو للناس جميعاً على اختلاف عصورهم، بل وعلى اختلاف أفكارهم وميولهم واتجاهاتهم ، فإنه سلام الله عليه يمثل القيم الإنسانية والكرامة الإنسانية ، ويمثل كل ما يعتز به هذا الإنسان من الكمال والآداب ، وسمو الأخلاق .

ونظراً لسمو شخصيته العظيمة ، وما له من الأهمية البالغة في نفوس المسلمين فقد سارعت كثير من الفرق الإسلامية إلى القول بأنه منها ، فالمعتزلة التي تعد من أكثر الفرق الإسلامية تخصصاً في البحوث الكلامية ، قد عدوه ـ باعتزاز وشرف ـ منهم[1] واحداً . كما ادعت الصوفية أنه من أعلامهم ، وترجموا له في موسوعاتهم[2] .

- ١٣ -

وكان المسلمون يرون في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام تجسيداً حياً لقيم الإسلام وامتداداً مشرقاً لجده الرسول الأعظم (ص) ، فهو يحكيه في منهجه وسيرته ومآثره وقد ملك القلوب والعواطف بأخلاقه الرفيعة ، وكانوا لا يرون غيره أهلاً لقيادتهم الروحية والزمنية ، وكانوا يزدرون بملوكهم الأمويين الذين لم تتوفر فيهم أية نزعة من نزعات الفضيلة ، وقد دلل على ذلك ما حدث في البيت الحرام في موسم الحج ، وكان مزدحماً بالوفود من كل حدب وصوب ، فأطل عليهم الإمام ليطوف بالبيت ، وكأنما أطل عليهم النبي (ص) ، فصعّدوا تهليلهم وتكبيرهم وازدحموا عليه كازدحامهم على الحجر الأسود فكان السعيد منهم من يلمس ثيابه أو يقبل يديه ، أو يأخذ التراب من تحت أقدامه للتبرك به ، في حين أن خصمه هشام بن عبد الملك عميد الأسرة الأموية كان من جملة الحجيج ، الا أنه لم يعن به أي أحد ، وقد خف إليه أهل الشام يسألونه عن هذا الرجل العظيم الذي قابله الجمهور بهذه الحفاوة والتكريم ، فأنكر الطاغية معرفته لئلا يزهد فيه أهل الشام ، فانبرى شاعر البلاد الأموي الفرزدق ، وعرفه للجماهير برائعته الخالدة التي مثلت وعي الفكر ويقظة الضمير ، وقد استحال البيت الحرام إلى سوق عكاظ ، وتعالت من جميع جنبات المسجد الهتافات بإعادة لرائعة الفرزدق والدعاء له ، وقد تميز هشام غيضاً ، وانتفخت أوداجه .

---

(١) طبقات المعتزلة (ص ١٥ـ ١٦).

(٢) حلية الأولياء ٣/١٧٢.

لقد كان الأمويون يشعرون بدخالتهم على هذه الأمة ، وأنهم ليسوا أهلاً لقيادتها ، وإنما فرضوا سلطانهم عليها بقوة السلاح ، وإنما معدن الحكم والقيادة للإمام علي بن الحسين ، فلذلك كانوا يحقدون عليه ، وقد أدلى الوليد بذلك قال : « لا راحة لي وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا . . . »[1] وقد عمدوا إلى اغتياله كما اغتالوا غيره من أئمة المسلمين ، وأعلام الإسلام من الذين كانوا يشكلون خطراً عليهم .

- ١٤ -

وكان لا بد في هذه الدراسة أن « تعنى بدراسة العصر الذي نشأ فيه الإمام (ع) فإن دراسة العصر اصبحت من الشؤون المنهجية التي لا غنى للباحث عنها ، فهي تمثل الاستقرار السياسي أو الاضطراب السياسي ، كما تصور الحياة الاجتماعية بما فيها من إبداع وتقدم أو جمود وانحطاط ، ومن الطبيعي أن البحث عن هذه الظاهرة مما له الدخل المباشر في الكشف عن شؤون الشخصية التي تتناولها الدراسة والبحث .

أما عصر الإمام عليه السلام ـ فإنه فيما أحسب ـ من أسوأ العصور الإسلامية على امتداد التأريخ ، فقد حدثت فيه كثير من الأحداث الجسام التي ابتلي بها المسلمون ، وأخلدت لهم المحن والخطوب ، وكان من أقساها وأفجعها ، وأشدها هولاً مأساة كربلا ، التي هي من أفجع القضايا العالمية ، فقد انتهكت فيها حرمة النبي (ص) ، في ذريته ، وأهل بيته ، ولم ترع له فيهم أية حرمة ، وقد شاهد الإمام (ع) بأسى بالغ جميع مآسي تلك الكارثة الخالدة في دنيا الأحزان فكانت فصولها المؤلمة تلاحقه في كل ساعة من حياته حتى لحق بالرفيق الأعلى ، ومن بين الأحداث المفجعة التي عاناها الإمام عليه السلام واقعة الحرة التي انتهكت فيها حرمة النبي (ص) في مدينته ومركز دعوته ، فقد استباحتها جلاوزة يزيد بن معاوية فاقترفوا فيها كل ما حرمه الله من إثم وحرام وسحقوا جميع القيم والأعراف . . . ومضافاً لذلك ثورة التوابين وثورة القائد

---

(١) حياة الإمام محمد الباقر ١/٥١ .

الملهم العظيم المختار بن يوسف ، وهذه الثورات ـ التي سنتحدث عنها في غضون هذا الكتاب ـ إنما كانت امتداداً لثورة أبي الشهداء عليه السلام .

ومن الأحداث البارزة في ذلك العصر ثورة ابن الزبير التي كانت وليدة للأطماع السياسية ، فلم يكن ابن الزبير ـ فيما اعتقد ـ قد ثار من أجل تحرير الأمة ، وانقاذها من عنف الأمويين وبطشهم وإنما ثار ليأخذ الملك من أيديهم ، وينفرد بالملك والسلطان ويتلذذ بخيرات البلاد ، وغطرسة الحكم ، فما كان مثل هذا الإنسان ممن يعنى بصالح الأمة ، واستقلالها وكرامتها .

ـ ١٥ ـ

وثمة مشكلة أخرى في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام ، وهي تصارع الأحزاب السياسية ، وتهالكها على الظفر بالحكم ، والفوز بالسلطة ، وقد اغرقت البلاد بالمحن والخطوب ، ومن المؤكد أن الأحزاب السياسية القائمة في ذلك العصر لم تنشد أي هدف من أهداف الأمة، ولم تسع لمعالجة أي قضية من قضاياها المصيرية ، وإنما كانت تسعى وراء اطماعها ، ومصالحها المادية . . . وكان من أبرز تلك الأحزاب الحزب الأموي الذي تدعمه الدولة ، وتسانده بجميع طاقاتها وكان يضم الزعماء والطبقة المترفة في البلاد، ومن بين تلك الأحزاب الحزب الزبيري، وهو يضم الكثير من أبناء الحجاز ، الذين كانوا يسعون إلى أن ترجع لهم عاصمة الدولة الإسلامية ، وينفردون بالحكم . . . ومن بين تلك الأحزاب حزب الخوارج وهو حزب ثوري كان ناقماً على حصر السلطة بالقرشيين ، إلا أن ذلك الحزب قد مُني بالجمود والانحطاط الفكري ، فقد اختلطت عليه الأمور فانساب في متاهات سحيقة من الضلال معتقداً عن غباوة وجهل أنها الحق ، ومن غبائه أنه نصب العداء للإمام أمير المؤمنين رائد الحق والعدالة الاجتماعية في الأرض، كما استباح إراقة دماء المسلمين من الذين لا يؤمنون بفكرتهم وسوف نتحدث عن هذه الأحزاب عند البحث عن الحياة السياسية في عصر الإمام .

- ١٦ -

ومن الأحداث الجسام في عصر الإمام عليه السلام هو ما عمدت إليه السلطة الأموية من فرضهم سب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والعترة الطاهرة على المنابر والمآذن وخطب الجمعة ، وجعل بغضهم جزءاً من الحياة الدينية للمسلمين، بالإضافة إلى مطاردتهم لشيعة أهل البيت (ع) تحت كل حجر ومدر ، وإشاعة القتل والتنكيل فيهم ، وقد امتحنت الشيعة في عهدهم كأشد ما يكون الامتحان ، وكان ذلك بمرأى ومسمع من الإمام زين العابدين عليه السلام ، وهو لم يتمكن من حمايتهم وانقاذهم مما هم فيه ، وكان ذلك من أشق الآلام وأشدها عليه .

- ١٧ -

ولابد لنا من اعطاء صورة متميزة عن سيرة الملوك الذين حكموا الأمة في عصر الإمام عليه السلام ، وذكر اتجاهاتهم السياسية والفكرية وما جرى للإمام (ع) معهم فإن ذلك ـ فيما احسب ـ من متممات البحث عن شخصيته العظيمة .

وإنا إذ نذكر شؤون أولئك الملوك فإنا لا نتعصب ولا نتحيز لأية جهة كما لا نقسو بالحكم على أي أحد منهم ، وإنما نعرض لما أثر عنهم من الأحداث المؤسفة ، التي وضعتهم أمام محكمة التأريخ ، ومن الطبيعي أن حملهم على الصحة ، والتبرير لأعمالهم ، إنما هو شطط على المنطق ، وتمرد على الأدلة، وبعد عن الصواب، وانحراف عن الحق .

- ١٨ -

أما دراستنا في هذا الكتاب فإنها تعتمد على أوثق المصادر المخطوطة والمصورة والمطبوعة التي هي علوم المؤرخين والرواة ، ومن الجدير بالذكر أن أكثر الأحداث والصور التي نرسمها لا نكتفي في ذكر مصدر واحد لها بل ننقلها من عدة مصادر ليكون ذلك آكد ، وأدل على المقصود .

وقد بذلت جهداً شاقاً وعسيراً في مراجعة المخطوطات والمصورات

التي اقتبسنا منها هذه البحوث ، وقد اشرت في هامش الكتاب إلى الخزانة التي توجد فيها .

- ١٩ -

وإني إذ أسير في نهاية هذا التقديم أعلن - بصورة جازمة - أني لم استوعب في هذا الكتاب - على ما فيه من جهل وتتبع - إلا أقل القليل من حياة هذا الإمام العظيم الذي هو ملء فم الدنيا في فضائله وعلومه ، فإني لم أفتش في كتب الأخلاق والحديث والتفسير والفقه وغيرها من سائر العلوم الإسلامية إلا وجدت له كلمة ذهبية أو رأياً أصيلاً أو حديثاً ممتعاً ، فاذن لم يكن هذا الكتاب - على ما فيه من سعة وشمول - إلا صفحة موجزة عن حياته أو مؤشراً خافتاً على بعض معالم حياته وشخصيته .

لقد كررت نفس هذه المقالة أو ما يشبهها في كثير من مقدمات الكتب التي الفتها عن حياة الأئمة الطاهرين ولم يكن ذلك - يعلم الله - عن غلو في الحب لهم أو اندفاع لعاطفة الوراثة لآبائي الذين هاموا بالولاء لأهل البيت عليهم السلام ، وإنما كان ذلك ناشئاً عن دراسة جادة ، وتتبع دقيق لحياتهم ، ومن المؤكد أن من يقرأ سيرتهم يؤمن إيماناً لا يخامره أدنى شك بأنهم سلام الله عليهم يمثلون سيرة الأنبياء في إشراقها وسموها ، وأنهم المثل الأعلى لكمالات العقل الإنساني والأنموذج الفريد لكل ما يعتز به هذا الإنسان من القيم والآداب .

- ٢٠ -

ولا بد لنا من الإشارة إلى أن نشر أمثال هذه البحوث من سيرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، لا غنى لنا عنها ، فإنا نعيش في عصر تعيش فيه الإنسانية في مستنقع آسن ، وفي درك هابط ، وفي ظلام بهيم ، قد انحرفت عن سنن الكون ، وشذت عن الفطرة الأصيلة التي فطرها الله عليها ، وقد واجهت الطغيان والاضطهاد والبغي ، والتهديد والتشريد .

إن البشرية تعيش قلقة حائرة سادرة في متاهات المادة ، وجحيم

الحروب ، وجفاف الأرواح والقلوب ، وانها في حاجة إلى أن تستنشق نسائم الحياة الكريمة من هدي العترة الطاهرة الذين هم نفحة من رحمات الله التي تفضل بها على عباده، وهم كجدهم الرسول صلّى الله عليه وآله الذي بعثه الله رحمة للبشرية لمن آمن به ، ومن لم يؤمن به على حد سواء .

- ٢١ -

وإني إذ اقفل هذا التقديم أرى من الحق علي أن أشير إلى الجهد الخلاق الذي اضفاه علي أخي سماحة الحجة الشيخ هادي شريف القرشي في تأليفي لهذا الكتاب ، فقد عانى الكثير من المتاعب في مراجعة بعض الموسوعات وغيرها مما استفدته منه مضافاً إلى كثير من ملاحظاته القيمة التي أسداها علي في هذه البحوث ، واني - يعلم الله - لعاجز عن تقديم ما يستحقه هذا الأخ الوفي من جزيل الشكر ، ولكني أوكل ذلك إلى الله تعالى ، فهو الذي يتولى جزاءه ، ويثيبه على ذلك كما يثيب المخلصين من عباده .

النجف الأشرف **باقر شريف القرشي**

السيدة شاه زنان



نحن بين يدي سيدة كريمة من سيدات نساء المسلمين عفة وشرفاً وطهارة ، وهي السيدة الجليلة « شاه زنان » سليلة الملوك ، وأم الإمام زين العابدين عليه السلام ، وتحتل هذه السيدة الجليلة المكانة المرموقة في عالم المرأة المسلمة ، فقد كانت من سيدات نساء عصرها بل وفي الطليعة من سيدات نساء المسلمين ، وقد تحلت بأوسمة شريفة كان من بينها :

أ ـ نسبها الوضاح فهي حفيدة كسرى الملك العادل ، ومفخرة ملوك الشرق الذي يقول فيه النبي (ص)ـ باعتزاز ـ ولدت في زمن الملك العادل كسرى .

ب ـ إنها زوجة أبي الأحرار وسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام .

ج ـ إنها أم الإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام .

د ـ إنها جدة الأئمة الطاهرين من نسل الإمام زين العابدين (ع) .

هـ ـ إنها الرابطة المقدسة بين العرب والفرس .

وقد اكسبتها هذه الجهات شرفاً إلى شرفها ، ومجداً إلى مجدها .

صفاتها النفسية :

أما صفاتها النفسية فكان البارز منها العفة ، والطهارة ، والكمال ، وسمو الآداب وحدة الذكاء ، ونظراً لما توفرت فيها من النزعات الخيرة ، والصفات الشريفة ، فقد بادر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى زواجها من ولده الإمام الحسين عليه السلام، كما عهد إليه بالإحسان إليها ، والبر

بها. . . ونعرض ـ بإيجاز ـ إلى بعض شؤونها حسبما نصت عليه المصادر التي في أيدينا.

الروايات في زمن اقترانها:

وتضاربت الروايات في الزمن الذي تم فيه اقترانها بالإمام الحسين عليه السلام ، وفيما يلي تلك الروايات :

أ ـ في عهد عمر :

روى الكليني بسنده عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : لما أقدمت بنت يزدجر على عمر أشرف لها عذارى المدينة ، وأشرق المسجد بضوئها ، فلما نظر إليها عمر غطت وجهها وقالت : « ا ف بيروج باداهرمز » . ومعنى ذلك في اللغة العربية: اسود يوم هرمز إذا صارت بناته سبايا، فقال عمر : اتشتمني هذه ؟ وهمّ بها ، فقال له أمير المؤمنين : ليس لك ذلك خيرها رجلاً من المسلمين ، واحسبها بفيئه فخيرها ، فجاءت حتى وضعت يدها على رأس الحسين[1] ويقرب من هذه الرواية ما ذكره بعض المؤرخين من أن ليزدجر ابنتين وقعتا في الأسر في عهد عمر فأخذهما الإمام أمير المؤمنين فدفع واحدة منهما إلى الإمام الحسين فولدت له الإمام زين العابدين ، ودفع الأخرى إلى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم[2] وذكر ابن خلكان مثل ذلك إلا أنه زاد عليه انهن كن ثلاثاً فدفع الثالثة إلى عبدالله بن عمر[3] .

(ب) في عهد عثمان :

روى الصدوق أن عبدالله بن عامر لما فتح خراسان أيام عثمان أصاب ابنتي يزدجر فبعث بهما إلى عثمان فوهب إحداهما إلى الحسن ، والأخرى للحسين ، وأنهما توفيتا في حال نفاسيهما[4] .

---

(١) أصول الكافي ١/٤٦٧ ، دلائل الإمامة (ص٧٠) .

(٢) شذرات الذهب ١/١٠٤، نزهة المجالس ٢/١٩٢ ، زهرة المقول (ص ٦).

(٣) وفيات الأعيان ٢/٤٢٩.

(٤) عيون الأخبار وفنون الآثار (ص ١٤٣)، روضة الواعظين ١/١٣٧ ، تحفة الراغب (ص ١٣) اعلام الورى (ص ١٥١) ، الارشاد .

(ج) في خلافة أمير المؤمنين :

روى جمع من المؤرخين والرواة أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما ولي الخلافة أرسل حريث بن جابر والياً على جانب من المشرق فبعث إليه بابنتي يزدجر بن شهريار فنحل شاه زنان إلى ولده الإمام الحسين(ع) فولدت له الإمام زين العابدين (ع) ، ونحل الأخرى إلى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم ، الفقيه المشهور .

هذه هي الروايات التي ذكرت في زمن زواجها بالإمام سيد الشهداء عليه السلام ومن الجدير بالذكر أن الروايتين الأخيرتين لم تصرحا بسبي السيدة شاة زنان مع شقيقتها ، وإنما صرحتا بإرسالهما إلى الخليفة ، نعم الرواية الأولى صريحة بسبيهما .

التحقيق في الروايات :

ولابد لنا من وقفة قصيرة للنظر في هذه الروايات المتضاربة ، والذي نراه بمزيد من التأمل أن الرواية الأولى بعيدة عن الصحة ، وذلك لما يلي :

أولاً : ـ إن يزدجر كان حياً طيلة خلافة عمر وتوفي بعد وفاته، وقد قتل في مرو سنة (٣٠ هـ) وذلك في السنة السادسة من خلافة عثمان وأكبر الظن أن شاه زنان مع شقيقتها قد اختفيتا بعد مقتل أبيهما حتى خلافة الإمام أمير المؤمنين فلما ولى حريث بن جابر على تلك المنطقة ظفر بهما، وبعث بهما إلى الإمام (ع).

ثانياً: ـ أن مما يؤكد عدم صحة الرواية الأولى هو ما رواه أبو حنيفة أنه لما جيء بابنة يزدجر إلى الإمام أمير المؤمنين، قال (ع) لها:

« اختاري من شئت من المسلمين . . . » .

فأجابته عن وعي وسمو قصد :

« إني أريد رأساً لا رأس عليه . . . » .

ودل ذلك على مدى وعي هذه الأميرة، ورد عليها الإمام بلطف قائلاً :

« إن علياً شيخ كبير. . . » .

ومعنى ذلك أن الإمام عليه السلام لا رغبة له في النساء لأنه شيخ كبير يضاف إلى ذلك انشغاله بالشؤون العامة التي أحاطت به.

واصرت الأميرة على ما ذهبت إليه قائلة :

« قد كلمتك بالجملة . . . »

وانبرى بعض الدهاقين من الفرس فطلب من الإمام أن يزوجها منه ، فرده الإمام قائلاً :

« ذاك إليها إن شاءت رفضت ، وإن شاءت قبلت . . . ».

إنه ليس للإمام عليها سلطان في أمر زواجها، وإنما ذلك يتبع إلى رغباتها النفسية ، وليس لأحد أن يجبرها على ما يريد ، وامتنعت السيدة من أجابته[1] ومن المظنون قوياً أنها السيدة (شاه زنان)، وأن زمان زواجها قد تم في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

ثالثاً : أن الرواية الثالثة أشهر من الروايتين المتقدمتين ، والشهرة من مرجحات الرواية حسبما يرى ذلك أكثر الفقهاء ، وقد ذهب المحقق المقرم إليها .

أقوال شاذة :

ذكر بعض المؤرخين أقوالاً شاذة فيما يتعلق بنسب السيدة (شاه زنان) وهي :

(أ) إنها من بلاد السند[2] .

(ب) أنها من سبي كابل[3].

---

(١) الأخبار الطوال .

(٢) مرآة الجنان ١/ ١٩٠، النجوم الزاهرة ١/ ٢٢٩، المنمق في أخبار قريش(ص ٤٣٧).

(٣) تأريخ اليعقوبي ٣/ ٤٦ .

وهذان القولان قد خالفا ما اجمع عليه الرواة والمؤرخون من أنها ابنة يزدجر ملك الفرس ، وقد شاع ذلك حتى في عصر الإمام ، وعرفه الناس جميعاً ، وفي ذلك يقول ابو الأسود الدؤلي المعاصر للإمام :

وأن وليداً بين كسرى وهاشم — لأكرم من نيطت عليه التمائم
هو النور نور الله موضع سره — ومنبع ينبوع الإمامة عالم[1]

وقد أدلى الإمام زين العابدين عليه السلام بذلك بقوله : « أنا ابن الخيرتين » وقد أشار عليه السلام بذلك إلى الحديث النبوي المستفيض « لله تعالى من عباده خيرتان : فخيرته من العرب قريش ، ومن العجم فارس . . . »[2] وقال بعض المؤرخين : أن علي بن الحسين جمع بين النبوة والملك من ناحية أجداده .

إسمها الشريف :

وعرفت السيدة أم الإمام عليه السلام بشاه زنان ، وهذا ليس اسماً لها ، وإنما هو لقب لها ، ومعناه في اللغة العربية ملكة النساء أو سيدة النساء[3]، أما اسمها الشريف فقد اختلف فيه المؤرخون ، وفيما يلي بعض اقوالهم :

١ ـ سلامة[4] .
٢ ـ سلافة[5] .
٣ ـ غزالة[6] .

---

(١) بحار الأنوار ٤٦/١٦٦ .
(٢) وفيات الأعيان ٢/٤٢٩ ، الأئمة الأثنا عشر لابن طولون (ص ٧٥).
(٣) نور الأبصار للشبلنجي (ص ١٢٦) .
(٤) أصول الكافي ١/٤٦٦ ، تهذيب الكمال م ٧/ق ٢ مصور في مكتبة السيد الحكيم، سير أعلام النبلاء ٤/٢٣٧ ، الطبقات لخليفة خياط (ص ٢٣٨) الأسامي والكنى للنيسابوري .
(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ورقة ٤٦ مصور في مكتبة السيد الحكيم، الإمامة في الإسلام (ص ١١٦) أنساب الأشراف (ص ١٠٢) دائرة المعارف للبستاني ٩/٣٥٥ نور الأبصار(ص١٣٦) الكامل ٢/٤٦٤ .
(٦) صفة الصفوة ٢/٥٢، شذرات الذهب ١/١٠٤ سر السلسلة العلوية (ص ٣١) نهاية الارب ٢١/٣٢٤ خلاصة الذهب المسبوك (ص ٨).

٤ ـ سلمة[١] .
٥ ـ سادرة[٢] .
٦ ـ شهربانوية[٣] .

هذه بعض الأقوال التي ذكرت في اسمها أما التحقيق في أن أي واحد منها هو الصحيح فلن يعنينا ذلك إذ ليس فيه فائدة تعود إلى القراء .

الرابطة المقدسة :

لقد كانت السيدة شاه زنان الرابطة المقدسة بين العرب والفرس ، فقد تفرع منها زين العابدين الذي هو ابن الخيرتين ، وأبو الذرية الطاهرة التي امدت العالم العربي والإسلامي بجميع عوامل الوعي ، والشرف والنهوض ، يقول السيد عبد العزيز سيد الأهل : « وزين العابدين رباط قوي بيننا نحن العرب ، وبين فارس ، ثم هو رباط قوي ما بين الناس جميعاً ، وكأنه أحد الأسباب القوية التي ساقها القدير اللطيف ليمحو الفرقة ويعز الألفة ، ويقرب بين الناس »[٤] لقد كانت هذه الرابطة من أقوى الروابط وأكثرها عائدة على العرب والفرس فقد أشاعت بينهما المحبة والمودة والألفة .

نعرة جاهلية :

وهدم الإسلام جميع الحواجز الجاهلية التي تفرق المسلمين ، وتشل وحدتهم ، والتي منها امتناع العربي من الزواج بغير العربية ، وذلك حفظاً على الدم العربي ، وعلى الأنساب العربية ، ومن المحقق أن هذه الظاهرة مما توجب تفكك المسلمين ، وتصدع شملهم ، فإن الاسلام بكل اعتزاز وفخر ـ قد طرح هذه الأنانيات الفارغة ، والعناوين الجوفاء ، ونادى بشرف النفس ،

---

(١) الأئمة الأثني عشر (ص ٧٥) .
(٢) الاتحاف بحب الأشراف (ص ٤٩) .
(٣) روضة الواعظين ١/ ٢٣٧ ، عيون المعجزات مخطوط (ص ٣١) غاية الاختصار (ص ١٥٥) .
(٤) زين العابدين (ص ٧) .

وجمال الروح ، فقال النبي (ص) : إن أكرمكم عند الله اتقاكم . لقد بين الإسلام بصورة إيجابية المساواة العادلة بين المسلمين ، فحطم الفوارق الطبقية ، وسائر العنصريات ، فقد زوج رسول الله (ص)، قريبته زينب بنت جحش ، وهي من سيدات بني هاشم من مولاه زيد بن حارثة ، وقد اراد (ص) بذلك أن تتخذ الجماعة المسلمة درساً منه ، وتسير على ضوء هذا الطريق الواضح المستقيم وقد سار أئمة أهل البيت عليهم السلام على ضوء هذا المنهج الرسالي فحاربوا العنصرية ، وقاوموا الامتيازات الجاهلية فتزوجوا بالإماء بعد عتقهن ، أو قبل عتقهن بالملك ، وكان لذلك الأثر البالغ في نفوس العرب ، فقد تراجعوا عن نظرتهم الجاهلية ، ويقول المؤرخون أنه عندما تزوج الإمام الحسين عليه السلام بالسيدة شاه زنان، وانجبت منه علم الهدى الإمام زين العابدين (ع)، ورأى العرب كماله وسمو ذاته هرعت قريش على اتخاذ امهات الأولاد[1] ومن الطريف ما روى المبرد عن رجل من قريش كانت أمه أمة ، قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب فقال لي يوماً :

« من أخوالك؟ . . . » .

« أمي فتاة »[2] .

ونقص الرجل في عين سعيد ، وانحط شأنه إلا أن الرجل كان ذكياً ، وانتظر فترة حتى دخل عليه سالم بن عبدالله بن عمر ، وهو من المع شخصيات قريش وكانت أمه أمة ، وتعاطى معه الحديث فلما خرج بادر الرجل قائلاً :

« يا عم من هذا؟ » .

فثار سعيد ، وصاح بالرجل قائلاً :

« يا سبحان الله !! اتجهل مثل هذا من قومك، هذا سالم بن عبدالله ابن عمر بن الخطاب . . » .

وانبرى الرجل قائلاً :

(١) تأريخ دمشق .

(٢) الفتاة : مؤنث الفتى تجمع على فتيات وفتوات .

من أمه؟».

« فتاة ».

وأقبل عليه القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وكانت أمه فتاة ، ودار بينهما حديث فلما انصرف من عنده سأله مثل السؤال الأول فأجابه سعيد بمثل جوابه السالف ، ثم دخل عليه الإمام زين العابدين وسيد الساجدين فقابله سعيد باحتفاء وتكريم ، فلما خرج من عنده ، قال له الرجل :

« يا عم من هذا؟ ».

فرد عليه سعيد بتأثر قائلاً :

« هذا الذي لا يسع لكل مسلم أن يجهله ، هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . . ».

« وسارع الرجل قائلاً :

« من أمه؟».

فتاة . . . »

وانبرى الرجل قائلاً :

« يا عم رأيتني نقصت في عينك حين قلت لك : أمي فتاة فما لي أسوة بهؤلاء؟ ».

والتفت سعيد إلى خطئه ، وراح يكبر الرجل ، ويعتني به[1].

إن هذه الظاهرة المنحطة التي كانت سائدة في ذلك العصر إنما هي من مخلفات العصر الجاهلي المتخلف فكرياً واجتماعياً ، فأي نقص على الرجل في أن تكون أمه رومية أو فارسية أو غيرهما يقول الشاعر :

لا تشمتن امرأً في أن تكون له ... أم من الروم أو سوداء عجماء

فإنما أمهات القوم أوعية ... مستودعات وللأحساب آباء

إن الذي يرفع من شأن الإنسان إنما اعماله الحسنة ، وخدماته لأمته

(١) الكامل للمبرد ٢/٤٦٢، نزهة الجليس ٢/٢٣ ، الأئمة الأثنا عشر (ص ٧٦) .

وبلاده ،. وسمو ذاته ، وإن كانت أمه سوداء عجماء ، وإذا كانت اعماله سيئة ، وذاته منحطة فإنه وضيع ، وإن كان سيداً قرشياً ، وقد قرر ذلك وأكده الإسلام العظيم الذي لا يعنى إلا بالأعمال فهي المقياس عنده في الرفع والخفض.

احتفاء الإمام علي بها :

واحتفى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالسيدة شاه زنان ، وذلك لعلمه بإيمانها ووفور عقلها ، وقد أثرت عنه مجموعة من الأخبار التي تشيد بفضلها ، كان منها ما يلي :

(أ) أنه اوصى ولده الإمام الحسين بالبر بها والإحسان اليها قائلاً : واحسن إلى شهربانويه ، فإنها مرضية ستلد لك خير أهل الأرض بعدك . »[1] .

(ب) أنه أخبر أهله بأنها ستكون الأم الطاهرة للأئمة الطاهرين قال عليه السلام : « وهي أم الأوصياء ، الذرية الطاهرة »[2] .

لقد تفرع من هذه السيدة الكريمة الأئمة الطاهرون الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

لقد اعتنى الإمام أمير المؤمنين بالسيدة شاه زنان ، فقد وجد عندها طاقات من الفضل والكمال ، والأدب ، وقد سألها عليه السلام فقال لها :

« ما حفظت من أبيك بعد وقعة الفيل ؟ . . . » .

فأجابته بهذه الكلمة الذهبية التي تنم عن سعة فكر أبيها ، وخبرته بشؤون الحياة :

« إنه كان يقول : إذا غلب الله على أمر ذلت المطامع دونه ، وإذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة . . . » .

وبهر الإمام من هذه الكلمة الحكيمة التي حكت واقع الحياة فراح يبدي

---

(١) عيون المعجزات مخطوط في مكتبة الإمام أمير المؤمنين ، اثبات الهداة ٥/ ١٤ ،

(٢) بصائر الدرجات (ص ٩٦) اثبات الهداة ٥/ ٢١٤ ، ناسخ التواريخ ١/ ١٣ .

اعجابه بها قائلاً : « ما احسن ما قال أبـوك ! تذلّ الأمـور للمقاديـر حتى يكون الحتف في التدبير . . . »[1].

إن كل شيء في هذا الوجود خاضع لمشيئة الله وإرادته ، وإن الله تعالى هو القاهر والغالب وأن الإنسان مهما اعتمـد على الوسـائل الـوثيقة والمحكمـة التي يتخيل أنها تـدرأ الأخطار عنه فإنها لا تجديه شيئاً لأنهـا قد تنقلب عليه فيكون بها حتفه ونهايته .

عناية الحسين بها :

وأحـاط الإمام الحسين عليـه السلام زوجتـه السيدة شـاه زنان بهـالة من العناية والتكريم ، وقدمها على بقية نسائه ، وقد وجدت هـذه السيدة في كنف الإمام وتحت ظلاله من الاحتفاء والتكريم مـا أنسـاها مـا كانت فيـه من الترف والنعيم أيام ملك أبيها ، وقد غذاها الإمام بتعاليم الإسلام، وروحـانيته ، حتى زهدت بما كانت فيه من الملك والسلطان، يقول السيد عبد العزيز سيد الأهل :

« وعلمهـا الحسين عليه السـلام من تعاليم الإسـلام مـا أنسـاهـا قصـور المدائن ومروج كابل . . . »[2].

إشادة المؤرخين بها :

وأشاد بعض المؤرخين بهذه السيدة الكريمة ، وفيما يلي ما قالوه :

(أ) المبرد

وأدلى المبرد في حق هذه السيـدة الجليلة بقولـه: « كانت شـاه زنان من خيرة النساء . . . »[3].

حقـاً لقد كـانت شاه زنـان من سيدات النسـاء في عفتها ، ووفـور عقلها وسمو آدابها .

(١) الأرشاد (ص ١٦٠) البحار ٤٦/ ١١-١٢ .
(٢) زين العابدين (ص ١٦) .
(٣) الكامل ٢/٤٦٢ .

(ب) ابن شدقم

قال ابن شدقم : « كانت شاه زنان ذات فضل كثير. . . »[1].

(ج) الكنجي .

قال الإمام الحافظ محمد بن يوسف الكنجي : « لقد جعل الله تبارك وتعالى الأئمة المهديين من نسل الحسين من بنت كسرى دون سائر زوجاته . . »[2]، لقد منح الله هذه السيدة الكريمة بالطافه وعنايته فقد حباها بالفضل العظيم بأن جعلها أماً كريمة للإمام زين العابدين وجدة طيبة زكية للأئمة الطاهرين الذين رفعوا كلمة الله عالية في الأرض . . . وبهذا ينتهي بنا الحديث في شؤون هذه السيدة الجليلة .

---

(١) زهرة المقول (ص ١٦).
(٢) كفاية الطالب (ص ٤٥٤).



الوليد العظيم



وأشرقت الدنيا بولادة الإمام زين العابدين عليه السلام الذي فجر ينابيع العلم والحكمة في الأرض ، وقدم للناس بسيرته أروع الأمثلة والدروس في نكران الذات ، والتجرد عن الدنيا، والانقطاع إلى الله .

وقد استقبلت الأسرة النبوية بمزيد من الأفراح والمسرات هذا الوليد المبارك الذي بشر به النبي صلّى الله عليه وآله، وقد شملت الابتهاجات جميع من يتصل بأهل البيت من الصحابة وأبنائهم ، وقد ولد ـ فيما يقول بعض المؤرخين ـ ضعيفاً نحيفاً ، يقول السيد عبد العزيز سيد الأهل : « لقد وُلد ضعيفاً نحيفاً تلوح في نظراته ومضات خافتة ، وكأنها ومضات هم منطفىء ، وما لبثت هذه الومضات المكسورة ان دلت فإنما تدل على حزن قادم يوشك أن يقع . . . »[1] لقد رافقته الخطوب وصاحبته الآلام منذ ولادته فقد اختطفت يد المنون أمه الزكية ، وهو في المهد ، وتتابعت عليه المحن بعد ذلك يتبع بعضها بعضاً ، فلم يبتل أي إنسان بمثل ما ابتلي به هذا الإمام العظيم .

مراسيم الولادة

وسارع الإمام أمير المؤمنين (ع) أو ولده الإمام الحسين (ع) إلى إجراء

---

(١) الإمام زين العابدين (ص ١٨).

مراسيم الولادة الشرعية على الوليد المبارك فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، وقد أقام بذلك في قلبه معبداً ينبض بأحاسيس التقوى والصلاح ، فكانت نغماً حياً يسيره نحو البر والعمل الصالح .

إن أول ما استقبل به الإمام زين العابدين في هذه الحياة ، هو صوت « الله أكبر » وقد طبع في قلبه ومشاعره ، وصار في ذاتياته ومقوماته وفي اليوم السابع من ولادته عق عنه أبوه بكبش ، وحلق رأسه ، وتصدق بزنته فضة أو ذهباً على المساكين عملاً بالسنة الإسلامية المقدسة .

مكان الولادة :

واختلف المؤرخون في المكان الذي حظي بولادة الإمام زين العابدين عليه السلام ، وفيما يلي ما ذكروه .

(أ) انه وُلد في الكوفة[1].

(ب) كانت ولادته في يثرب[2].

والذي أراه أن ولادته كانت في الكوفة ، وذلك لما اجمع عليه الرواة والمؤرخون أنه وُلد قبل وفاة جده أمير المؤمنين (ع) بسنتين[3] ومن المقطوع به أن الإمام الحسين وأفراد عائلته كانوا مع الإمام أمير المؤمنين في الكوفة ، ولم يقم أي أحد منهم في يثرب طيلة خلافته .

الزمان :

وتضاربت أقوال المؤرخين في الزمان الذي كانت فيه ولادة الإمام ،

---

(١) شذرات الذهب (١/١٠٤).

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ١٨٧) بحر الأنساب (ورقة ٥٢) مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين، دائرة المعارف للبستاني ٩/٣٥٥، الإمامة في الإسلام(ص١١٦) نور الأبصار (ص ١٣٦).

(٣) أخبار الدول (ص ١٠٩) نور الأبصار (ص ١٣٦) مطالب السؤول ٢/٤١ تاريخ الأئمة لابن ابي الثلج (ص ٤) دائرة المعارف ٩/٣٥٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفيما يلي ما ذكروه :

(أ) ولد في اليوم الخامس من شعبان سنة (٣٨ هـ)[١] وذلك في يوم الخميس[٢] .

(ب) ولد في يوم الجمعة لتسع خلون من شعبان سنة (٣٨هـ)[٣] .

(ج) ولد في النصف من جمادى الأولى سنة (٣٨ هـ)[٤] .

(د) ولد يوم الجمعة ٢٦ جمادى الآخرة سنة (٣٨ هـ)[٥] .

(هـ) ولد في شهور سنة (٣٣ هـ)[٦] وهذا القول شاذ ومخالف لما اجمع عليه الرواة والمؤرخون من أن ولادته كانت سنة (٣٨ هـ) .

والمشهور عند الإمامية هو القول الأول ، فإنهم يقيمون مهرجاناتهم العامة احياءً لذكرى ولادته في اليوم الخامس من شعبان .

تسميته :

الشيء المحقق الذي اجمع عليه المؤرخون والرواة هو أن الرسول الأعظم (ص) قد سمى حفيده بعلي بن الحسين ، ولقبه بزين العابدين، وذلك قبل أن يخلق بعشرات السنين ، وكان ذلك من العلامات الباهرة لنبوته . . . وقد تضافرت الأخبار بنقل ذلك عنه ، وهذه بعضها . . .

١ ـ روى الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري قال كنت جالساً عند رسول الله (ص) والحسين في حجره ، وهو يداعبه، فقال (ص) يا جابر يولد له مولود اسمه (علي) إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين ،

---

(١) تحفة الراغب (ص ١٣) مطالب السؤول ٢/ ٤١ الفصول المهمة لابن الصباغ(ص ٢١٢ كشف الغمة .

(٢) الصراط السوي (ورقة ١٩٢) مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين، مطالب السؤول ٢/ ٤١ نور الأبصار (ص ١٣٦).

(٣) روضة الواعظين ١/ ٢٢٢ .

(٤) بحر الأنساب (ورقة ٥٢).

(٥) الإمامة في الإسلام (ص ١١٦).

(٦) النفحة العنبرية مصور في مكتبة السيد الحكم .

فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد ، فإن ادركته يا جابر فاقرئةمني السلام . . [1].

وأذاع جابر هذا الحديث كما أنه أدرك الإمام محمد الباقر عليه السلام وبلغه هذه التحية من جده الرسول (ص) فتلقاها الإمام بمزيد من الغبطة والسرور .

٢ ـ روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن سفيان بن عيينة عن ابن الزبير قال : كنا عند جابر فدخل عليه علي بن الحسين ، فقال له جابر : كنت عند رسول الله (ص) فدخل عليه الحسين فضمه إليه ، وقبله ، واقعده إلى جنبه ، ثم قال (ص) : يولد لابن هذا ابن يقال له : علي بن الحسين إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ليقم سيد العابدين فيقوم هو[2] .

٣ ـ روى سعيد بن المسيب عن ابن عباس ان رسول الله (ص) قال : إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين؟ فكأني انظر إلى ولدي علي بن الحسين يخطر بين الصفوف . . .[3] هذه بعض النصوص التي أثرت عن النبي (ص) في تسميته لحفيده بعلي ومنحه بلقب زين العابدين ، كما فيها الأشادة بأهميته ومكانته عند الله تعالى .

مع ابن تيمية :

وأنكر ابن تيمية تسمية النبي (ص) لولده علي بهذا الأسم ، وقال : هذا شيء لا أصل له ، ولم يروه أحد من أهل العلم[4]. وقد اغمض ابن تيمية غينيه عما ذكره الحفاظ واعلام المؤرخين والرواة في ذلك . . ولكن الرجل قد مني بالانحراف عن الحق فأعلن العداء لأهل البيت عليهم السلام الذين الزم الله بمودتهم ، وجعلهم الرسول (ص) سفن النجاة وأمن العباد، وقد تنكر لكل فضيلة من فضائلهم، وجحد كل ما يرويه الحفاظ من مآثرهم .

---

(١) وسيلة المآل في مناقب الآل (ورقة ٧) مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين .
(٢) تأريخ دمشق ١٤٢/٣٦ مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين.
(٣) علل الشرايع (ص ٨٧) البحار ٣/٤٦.
(٤) منهاج السنة ١٢٣/٢ .

كنيته :

وكني الإمام زين العابدين عليه السلام بما يلي :

(أ) أبو الحسين .

(ب) أبو الحسن .

(ج) أبو محمد[1] .

(د) أبو عبدالله[2] .

ألقابه :

أما القابه الشريفة فهي تحكي نزعاته الخيرة ، وما اتصف به من محاسن الصفات ومكارم الأخلاق، وعظيم الطاعة والعبادة لله ، وهذه بعضها :

١ ـ زين العابدين :

وأضفى عليه هذا اللقب جده رسول الله (ص) ـ كما تقدم ـ وإنما لقب به لكثرة عبادته[3] وقد عرف بهذا اللقب ، واشتهر به ، حتى صار اسماً له ، ولم يلقب به أحد سواه ، وحقاً أنه كان زيناً لكل عابدٍ وفخراً لكل من أطاع الله

٢ ـ سيد العابدين :

من القابه البارزة (سيد العابدين) وذلك لما ظهر منه من الانقياد والطاعة لله ، فلم يؤثر عن أي أحد من العبادة مثل ما أثر منه عدا جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

---

(١) تهذيب اللغات والأسماء القسم الأول (ص ٣٤٣) نور الأبصار ١٣٧ صفة الصفوة ٢/٥٢، تحفة الراغب ص ١٣ .

(٢) تهذيب الكمال م٧/ ق ٢ ورقة ٣٣٤ مصور في مكتبة السيد الحكيم سير أعلام النبلاء ٤/٢٣٧، تأريخ الإسلام ٢/٦٦، تأريخ دمشق ٣٦/ ورقة ١٤٢ مصور في مكتبة الإمام امير المؤمنين .

(٣) تهذيب التهذيب ٧/٣٠٦، شذرات الذهب ١/١٠٤ وجاء فيه « سمي زين العابدين لفرط عبادته » .

٣ ـ ذو الثفنات :

لقب بذلك لما ظهر على اعضاء سجوده من شبه ثفنات البعير[١] وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام : كان لأبي في مواضع سجوده آثار ناتئة ، وكان يقطعها في السنة مرتين : في كل مرة خمس ثفنات فسمي ذو الثفنات لذلك[٢] وفي رواية أنه جمع الثفنات في كيس وأوصى أن تدفن معه .

٤ ـ السجاد :

من القابه الشريفة التي اشتهر بها « السجاد »[٣] وذلك لكثرة سجوده فقد كان من أكثر الناس سجوداً لله تعالى وطاعة له ، وحدث الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام عن كثرة سجود أبيه قال : إن علي بن الحسين ما ذكر لله عزّ وجلّ نعمة عليه إلا سجد ، ولا قرأ أية من كتاب الله عزّ وجلّ فيها سجود إلا سجد ، ولا دفع الله عنه سوءً يخشاه إلا سجد ولا فرغ من صلاة مفروضة الا سجد ، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسُمي السجاد لذلك[٤] ونظم ابن حماد كثرة سجود الإمام وعبادته بهذه الأبيات الرقيقة :

وراهب أهل البيت كان ولم يزل ... يُلقب بالسجاد حين تعبده
يقضي بطول الصوم طول نهاره ... منيباً ويقضي ليله بتهجده
فأين به من علمه ووفائه ... وأين به من نسكه وتعبده[٥]

٥ ـ الزكي :

لُقب بالزكي لأن الله زكاه وطهره من كل دنس كما زكى آباءه الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

---

(١) صبح الأعشى ١/٤٥٢، بحر الأنساب ورقة ٢٥، تحفة الراغب (ص ١٣) الأضداد في كلام العرب ١/١٢٩، ثمار القلوب (ص ٢٩١) وجاء فيه كان يقال لكل من علي بن الحسين، وعلي بن عبدالله بن العباس ذو الثفنات لما على اعضاء السجود منهما من السجادات الشبيهة بثفنات الابل وذلك لكثرة صلاتهما .

(٢) علل الشرايع (ص ٨٨) بحار الأنوار ٤٦/٦ وسائل الشيعة ٤/٩٧٧ .

(٣) علل الشرايع (ص ٨٨).

(٤) وسائل الشيعة ٤/٩٧٧ علل الشرايع (ص ٨٨).

(٥) المناقب .

٦ ـ الأميـن :

من القابه الشريفة التي عـرف بها (الأمين) [١] فقـد كان المثـل الأعلى لهذه الصفة الكـريمة، وقـد قال (ع) : (لـو أن قاتـل أبي أودع عندي السيف الذي قتل به أبي لأديته إليه) .

٧ ـ ابن الخيرتين :

من القـابـه التي اشتهـر بهـا (ابن الخيـرتين) وكـان يعتـز بهـذا اللقب ويقول : أنا ابن الخيـرتين ، إشارة لقـول جده رسـول الله (ص) : « لله تعالى من عباده خيـرتان ، فخيرته من العـرب هاشم ومن العجم فـارس »[٢] ونسب الشبراوي إليه هذه الأبيات التي ذكر فيها اعتزازه بهذا اللقب :

خـيـرة الله مـن الـخـلق أبـي	بعـد جـدي وأنـا ابن الخيـرتـين
فـضـة قـد صـيـغـت مـن ذهـب	فـأنـا الـفـضـة ابـن الـذهـبـين
من لـه جـد كجـدي في الـورى	أو كـأبـي وأنـا ابـن الـقـمـرين
فـاطـمـة الـزهـراء أمـي وأبـي	قـاصـم الـكـفـر ببـدر وحـنـين
ولـه فـي يـوم أحـد وقـعـة	شفت الغـل بعض العسكـرين[٣]

وأكبر الظن أن هـذه الأبيات ليست لـلإمام زين العـابدين ، وإنمـا قيلت على لسان أبيه كما هي صريحة في ذلك .

هذه بعض القابه ، وذكرت لـه القاب اخـرى[٤] ، وهي تنم عما اتصف به من الصفات الرفيعة والنزعات العظيمة .

وفاة أمه :

وأول نكبة داهمته وهـو في المرحلة الأولى من طفـولته وفـاة امه ، فقـد

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ١٨٧) بحر الأنساب (ورقة ٥٢) نور الأبصار (ص ١٣٧) .
(٢) الكامل للمبرد ١ /٢٢٢ وفيات الأعيان ٢ /٤٢٩ .
(٣) الأتحاف بحب الأشراف (ص ٤٩) ـ وفي صدر البيت الثاني ـ كما لا يخفى ـ زحاف.
(٤) ناسخ التواريخ .

اصابتها بعد ولادتها حمى النفـاس ، وضلت ملازمـة لها ، وقـد اجتهد الإمـام الحسين (ع) في أن يطفىء عنها وقدة الحمى وجذوتهـا فلم يستطع ، واشتـد بهـا الحال، وفتـك بها المـرض فتكاً ذريعـاً وذبلت نضارتهـا ، وعادت كـأنهـا جثمان فارقتـه الحياة ، وكـانت تلقي نظرات مشفـوعة بـالالم والحسرات على طفلها الرقيق الذي لم ينتهل من نمير عطفها وحنانها .

واشتدت بها الحمى، وانتابتها الام مبرحة ، وبقيت أياماً تعـاني من شدة الأسقام حتى صعدت روحها إلى السماء كأسمى روح صعدت إلى الله[1] وقـد انطوت بموتها صفحة ناصعة من صفحـات الفضيلة والعفة والحيـاء ، وكل مـا تعتز به المرأة من أدب وكمال . . . وقد رزئت الأسرة النبوية بوفاة هـذه السيدة الجليلة التي كانت تمثل الشرف والفضيلة ، وقد جرى لها تشييـع حاشـد ضم الإمـام الحسين وخيار المسلمين وجمـاهيـر كثيـرة من المسلمين ، وقـد وارى جثمـانها الشـريف في الكوفـة وقد تـألم الإمام الحسين لفقد هذه السيـدة التي عاشت بينهـم أياماً كأيام الزهور فلم يطل منها العهد .

لقد نكب الإمام زين العابدين عليه السلام بـوالدتـه وهو في أول مـرحلة من مراحل طفولته، وكـان ذلك ايـذاناً لتتـابع المحن والخـطوب عليه التي لم تجر على أي إنسان سواه .

مـربيتـه :

وعهـد الإمام الحسين عليـه السـلام إلى سيـدة زكيـة من أمهـات اولاده بالقيام بحضانة ولده زين العابدين ورضاعته ورعايته، وقد عنيت به هذه المرأة الصالحة كأشد مـا تكون العنـاية ، فكـانت ترعـاه كما ترعى الأم الرؤوم فلذة كبدها، وقد درج الإمام في جو من الكتمان الشـديد، فلم يخبـره أحد بمـوت أمه الا بعد أن كبر لئلا يحترق قلبه ويقلق باله[2].

(١) اثبات الوصية للمسعودي (ص ١٤٣) الإمام زين العابدين (ص ١٨).
(٢) الإمام زين العابدين (ص ١٩).

صفاته الجسمية :

أما صفاته وملامحه الجسمية فقد ذكر المؤرخون أنه كان اسمر قصيراً نحيفاً[١] ورقيقاً[٢]، وكان كلما تقدمت به السن ازداد ضعفاً وذبولاً، وذلك لكثرة عبادته ، وقد اغرقته في الأحزان والآلام مذبحة كربلاء، فقد ضلت اهوالها تلاحقه حتى لحق بالرفيق الأعلى .

هيبته ووقاره:

أما هيبته فتعنو لها الوجوه والجباه ، فكانت تعلو على اسارير وجهه أنوار الأنبياء ، وهيبة الأوصياء ، ووصف شاعر العرب الأكبر الفرزدق في رائعته هيبة الإمام بقوله :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياءً ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم

ويقول الشيخاني القادري : وكان لا تشبع من رؤية صباحة وجهه عين الناظر[٣] لقد كانت هيبته تحكي هيبة جده الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله، وقد بهر بها المجرم السفاح مسلم بن عقبة الذي استهان بجميع القيم والمقدرات فحينما رأى الإمام ارتعدت فرائصه ، وقابله بمزيد من العناية والتكريم وقال لمن حوله : إن على زين العابدين سيماء الأنبياء .

نقش خاتمه:

أما نقش خاتمه فقد كان يحكي مدى انقطاعه واتصاله بالله ، فقد نقش عليه « وما توفيقي إلا بالله »[٤] وقيل كان نقش خاتمه ،« علمت فاعمل »[٥] .

(١) نور الأبصار (ص ٣٦).
(٢) أخبار الدول، ص ١٠٩، الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ١٩٢) من مصورات مكتبة الإمام امير المؤمنين .
(٣) الصراط السوي في مناقب آل النبي ص ١٩٢.
(٤) الفصول المهمة (ص ١٨٧) لأبن الصباغ ، اخبار الدول ص ١٠٩) الصراط السوي (ورقة ١٩٢).
(٥)عيون الأخبار لابن قتيبة ٣٠٢/١.



نشأته وسلوكه



لقد توفرت للإمام زين العابدين عليه السلام جميع المكونات التربوية الرفيعة التي لم يظفر بها أحد سواه، وقد عملت على تكوينه، وبناء شخصيته بصورة متميزة جعلته في الرعيل الأول من أئمة المسلمين الذين منحهم الرسول (ص) ثقته، وجعلهم قادة لأمته، وأمناء على اداء رسالته . . . لقد تجسدت في نشأة الإمام وسلوكه جميع عناصر الخير والفضيلة والكمال ، ونعرض ـ بإيجاز ـ إلى هاتين الظاهرتين من مناحي حياته :

نشأته :

نشأ الإمام زين العابدين في بيت النبوة والإمامة ذلك البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، وفي المرحلة الأولى من طفولته كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتعاهده ، ويفضي عليه أشعة من روحه التي طبق شذاها العالم بأسره، فكان الحفيد ـ بحق ـ صورة صادقة عن جده يحاكيه ويضاهيه في عناصره ، ومكوناته النفسية .

أما الفترة التي عاشها الإمام زين العابدين في كنف جده فقد كانت قصيرة جداً ، وقد حددها المؤرخون بسنتين، وهي من أثقل السنين التي مرت على الإمام أمير المؤمنين فقد طافت به الأزمات، وتفاقمت عليه الأحداث بصورة رهيبة ومذهلة ، وكان من أشدها وأثقلها عليه أن جيشه الذي كان يقاتل

بـاطل معـاوية قـد مني بالهـزيمة والتمـرد والعصيان ، وقـد راح يعج بـالدعـاء والابتهـال إلى الله أن ينقله إلى جواره ، وينقـذه من ذلك المجتمـع الغوغـائي الـذي لم يـع اهـدافـه ، وقـد استجـاب الله دعـاءه فـانبعث لـه اشقى الأولين والآخرين الإرهابي المجـرم عبد الـرحمن بن ملجم فاغتـاله وهـو في بيت من بيوت الله ، وكان قائماً يصلي لربه ، وفي الساعات الأخيرة من حياته احتف به أهل بيته وابنـاؤه ، وكان من بينهم الإمـام زين العابـدين ، فعهد بـالإمامـة إلى ولـديه الحسن والحسين ، ونص على إمـامة حفيـده الطفـل زين العـابـدين ، وأبلغه تحيات النبي (ص) وتحياته إلى ولده محمد الباقر عمـلاق هذه الأمـة ، ورائد نهضتها الفكرية والعلمية .

وممن تولى تربيـة الإمام زين العـابدين عمـه الزكي الإمـام الحسن سيد شباب أهل الجنة ، وريحانة رسول الله (ص) وسبطـه الأول ، فقد كـان يغدق عليه بعطفـه وحنانـه ، ويغرس في نفسـه مثله العظيمـة ونزعـاته الفـذة ، وظل ملازماً له حتى أشرف على ميعـة الشباب ، وقـد انطبعت في أسـارير نفسـه ، ودخائل ذاته سيرة عمه بطل الفكر والأصلاح في الإسلام وكان ممن تولى تربية الإمـام زين العابـدين والده أبـو الأحرار وسيـد الشهـداء الإمـام الحسين عليـه السلام ، فقد رأى فيه امتداداً ذاتياً ومشرقاً لروحانية النبوة ومثل الإمامة، فـأولاه المزيد من رعايته وعنايته ، وقـد سكب في نفسه قيمـه وطاقـاته النـدية ، وقـد قدمه على بقية ابنائه ، وصاحبه في أكثر أوقـاته ، ويقـول المؤرخون : إن زين العـابدين قـد مرض فخف إليـه الإمام الحسين مسـرعاً لعيـادتـه ، وراح يمنّيـه قائلاً :

« ما تشتهي يا بني؟ . . . » .

فأجابه جواب من أناب إلى الله وانقطع إليه :

« اشتهي أن أكون ممن لا يقترح على الله ربي ما يدبره لي . . . » .

وبهر الإمام الحسين من هـذه الكلمات المشـرقة التي دلت على عـظيم المعرفة وعمق الإيمان ، وانبرى قائلاً بإعجاب :

« أحسنت ، ضاهيت إبراهيم الخليل حيث قال جبرائيل له : هل من حاجة ؟ فقال : لا أقترح على ربي ، بل حسبي الله ونعم الوكيل !!! »[1] .

حقاً لقد ضاهى زين العابدين إبراهيم خليل الله في عظيم إيمانه ، وشدة إنابته ، وانقطاعه إلى الله .

لقد كان الإمام عليه السلام بحكم تربيته ونشأته المثل الأعلى لكل ما يعتز به الإنسان من سمو الكمال ، وقيم الأخلاق .

سلوكه :

أما سلوك الإمام زين العابدين فكان كسلوك آبائه مصدر إشعاع وهداية إلى الناس ، وكان يتحرى في سلوكه السير على منهج جده الإمام أمير المؤمنين (ع) والاقتداء بسيرته وهديه ، ويقول الرواة : إنه كان يمعن في قراءة سيرة جده حينما تجهده العبادة فيتنفس تنفس الصعداء ، ويقول بحسرات :

« اين عبادتي من عبادة جدي أمير المؤمنين ؟ . . » .

لقد كان يحمل في سريرته روح جده الإمام أمير المؤمنين ، وسيد العارفين فسار على منهاجه ، واقتدى به في جميع مناحي سلوكه ، ونتحدث عن بعض مظاهر هذه الناحية من حياته .

سيرته في بيته :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أرأف الناس وأبرهم وأرحمهم بأهل بيته ، وكان لا يتميز عليهم ، بل كان كأحدهم ، وأثر عنه أنه قال : لأن أدخل السوق ومعي دراهم ابتاع بها لعيالي لحماً ، وقد قرموا[2] أحب إلي من أن اعتق نسمة[3] وكان يبكر في خروجه صبحاً لطلب الرزق لعياله ، فقيل

---

(١) البحار ٤٦/٦٦ دعوات قطب الراوندي مخطوط بمكتبة الإمام أمير المؤمنين .
(٢) قرموا : أي اشتد شوقهم إلى اللحم .
(٣) البحار ٤٦/٦٧ .

له : إلى أين تذهب ؟ فقال : اتصدق لعيالي من طلب الحلال ، فإنه من الله عز وجل صدقة عليهم[1] . وكان يعين أهله في حوائجهم البيتية ، ولا يأمر أحداً منهم فيما يرجع إلى أي شأن من شؤونه الخاصة ، كما كان يتولى بنفسه خدمة نفسه خصوصاً فيما يرجع إلى شؤون عبادته فإنه لم يك يستعين بها أو يعهد إلى أحد في قضائها .

لقد سار الإمام في بيته سيرة لم ير الناس مثلها فقد تمثلت فيها الرحمة والتعاون والرأفة ، ونكران الذات .

بره بمربيته :

وبعد أن كبر الإمام زين العابدين عليه السلام علم بموت أمه ، وأدرك أن ما أسدته إليه هذه المربية الصالحة من ألوان البر والإحسان إنما كان خدمة له وتقرباً إلى الله ، فقابل (ع) ذلك المعروف بكل ما تمكن عليه من أنواع الإحسان وقد بلغ من جميل بره بها أنه امتنع أن يواكلها فلامه الناس ، وأخذوا يسألونه بالحاح قائلين :

« أنت أبر الناس ، وأوصلهم رحماً فلماذا لا تؤاكل أمك ؟ . . . » .

فأجابهم جواب من لم تشهد الدنيا مثل أدبه وكماله قائلاً :

«أخشى أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليها[2] فأكون قد عققتها . . . »[3] .

أية إنسانية تضارع هذه الإنسانية ؟ وأي نفس ملائكية هذه النّفس ؟ وحسبه أنه ابن الحسين الذي ملأ الدنيا بشرفه وكماله .

رواية موضوعة :

ذكر ابن كثير رواية لا أساس لها من الصحة ، فقد روى أن الإمام زين

(١) بحار الأنوار ٤٦/٦٧ .

(٢) شذرات الذهب ١/١٠٥ الكامل للمبرد ١/٣٠٢ .

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/٩٧ .

العابدين زوج أمه من مولى له ، واعتقد أمة فتزوجها فأرسل إليه عبد الملك يلومه في ذلك فكتب إليه « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ، وقد اعتق صفية فتزوجها ، وزوج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمه زينب بنت جحش »[1] .

أما صدر هذه الرواية دون ذيلها فهو مفتعل ، والذي يدلل عليه ما يلي :

أولاً : إن السيدة أم الإمام توفيت في نفاسها ، وقد ذكر ذلك جمهور المؤرخين والرواة ، وقد المحنا فيما تقدم إلى مصادر ذلك في هامش الكتاب .

ثانياً : أن الإمام أبا الحسن الرضا عليه السلام صرح بذلك في حديثه مع سهل بن القاسم النوشجاني ، فقد قال له : إنها ـ أي أم الإمام علي بن الحسين ـ ماتت في نفاسها فكفله بعض امهات ولد أبيه فسماها الناس أمه ، وإنما هي مولاته ، وزعموا أنه زوج أمه ، ومعاذ الله ذلك ، وإنما زوج هذه ، قال سهل : ولم يبق طالب بخراسان إلا كتب هذه عن الرضا[2] .

إن مصدر هذه الرواية لا أساس له من الصحة مطلقاً ، وأما عتق الإمام لبعض مملوكاته وزواجه بها فأمر يتفق مع روح الإسلام وهديه ، ولا مانع منه .

مع أبويه

كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أبر الناس بأبيه ومربيته ، فقد خفض لهما جناح المودة والرحمة ، ولم تبق مبرة ولا خدمة إلا قدمها لهما ، وبلغ من عظيم بره لأبيه أنه طلب من عمته زينب بطلة كربلا في يوم الطف أن تزوده بالعصى ليتوكأ عليها ، وبالسيف ليذب به عن أبيه في حين أن المرض قد فتك به فلم يتمكن أن يخطو خطوة واحدة على الأرض إلا أن عمته صدته

---

(١) البداية والنهاية ١٠٨/٩ .

(٢) عيون اخبار الرضا (ص ٢٧٠) .

عن ذلك لئلا تنقطع ذرية النبي (ص) فأي مبرة مثل هذه المبرة؟ ومن خدماته لأبيه أنه قام بعد شهادته بتسديد ما عليه من الديون الضخمة التي كان قد أنفقها على البؤساء والمحرومين . . . فمن مبراته لأبويه دعاؤه لهما .

دعاؤه لأبويه :

أما دعاء الإمام زين العابدين (ع) لأبويه فهو من المع القواعد في التربية الإسلامية الهادفة إلى إصلاح الأسرة وسعادتها، وشيوع المحبة والاحترام بين أفرادها ومن الطبيعي أن الأسرة إذا صلحت صلح المجتمع بأسره ، وإذا فسدت فسد المجتمع كذلك ، لأنها الخلية الأولى في بناء المجتمع وتكوينه ، وفيما يلي نص هذه اللوحة الذهبية من دعائه :

« اللهم صل على محمد عبدك ، ورسولك وأهل بيته الطاهرين ، واخصصهم بأفضل صلواتك ورحمتك وبركاتك ، وسلامك واخصص اللهم والدي بالكرامة لديك ، والصلاة منك يا أرحم الراحمين .

اللهم صلّ على محمد وآله ، وألهمني علم ما يجب لهما علي الهاماً ، واجمع لي علم ذلك كله تماماً ، ثم استعملني بما تلهمني منه ، ووفقني للنفوذ فيما تبصرني من علمه ، حتى لا يفوتني استعمال شيء علمتنيه ، ولا تثقل اركاني[1] عن الحفوف[2] فيما الهمتنيه . . . » .

ومثلت هذه الكلمات المشرقة سمو آداب الإمام ومعالي اخلاقه ، ومدى احترامه لأبويه ، فقد دعا لهما الله أن يخصهما بالفضل والكرامة لديه ، وأن يلهمه تعالى ما يجب لهما من الحقوق ليقوم بأدائها ، وأن لا يثقله عن أدائها . . ولنستمع إلى قطعة أخرى من دعائه لهما . .

« اللهم صلّ على محمد وآله كما شرفتنا به ، وصل على محمد وآله كما أوجبت لنا الحق على الخلق بسببه .

---

(١) اركاني : أي اعضائي وجوارحي .
(٢) الحفوف : الاحاطة والشمول .

اللهم اجعلني اهابهما هيبة السلطان العسوف ، وأبرهما بر الأم الرؤوف ، واجعل طاعتي لوالدي ، وبري بهما أقر لعيني من رقدة الوسنان[1] واثلج لصدري من شربة الظمآن حتى اوثر على هواي هواهما ، وأقدم على رضاي رضاهما ، واستكثر برهما بي وإن قل ، واستقل بري بهما وإن كثر . . . » وليس في دنيا البر والإحسان للأبوين مثل ما ذكره الإمام في هذه الفقرات لأبويه فقد سأل من الله تعالى أن يمنحه المزيد من الهيبة لهما ليطيعهما ولا يخالفهما، وأن يبرهما بر الأم الرؤوف لولدها ، وأن يؤثر هواهما على هواه ، ويقدم رضاهما على رضاه ، وأن يشكر ما أسدياه اليه من البر والإحسان وأن يستقل بره لهما ، ومن الطبيعي أن مثل هذه الآداب من الأبناء تجاه ابائهم فإنها مما تنسيهم متاعب الحياة وآلام الشيخوخة ، كما توجد سعادة الأسرة وازدهار الحياة الاجتماعية ، ونعود إلى مواصلة ذكر الفقرات المشرقة من دعاء الإمام لأبويه .

« اللهم خفض لهما صوتي » واطب لهما عريكتي[2] واعطف عليهما قلبي ، وصيرني بهما رفيقاً ، وعليهما شفيقاً ، اللهم اشكر لهما تربيتي ، وأثبهما على تكرمتي ، واحفظ لهما ما حفظاه مني في صغري ، اللهم ما مسهما مني من أذى أو خلص لهما عني من مكروه أوضاع قبلي لهما من حق فاجعله حطة لذنوبهما ، وعلواً في درجاتهما وزيادة في حسناتهما ، يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات . . . »

ومثلت هذه القطعة آداب أهل البيت عليهم السلام وسمو تربيتهم فقد أضاف الإمام فيها إلى ما ذكره سابقاً من حقوق الأبوين حقوقاً أخرى وهي :

١ ـ أن يخفض الولد صوته أمام أبويه ، ولا يعلو به عليهما .

٢ ـ أن يطيب لهما عريكته ، ولا يقابلهما بالشدة والقسوة .

٣ ـ أن يملأ قلبه عطفاً وحناناً ومودة لهما .

---

(١) الوسنان الشديد النعاس الذي تتوق نفسه إلى النوم .

(٢) العريكة : الطبع .

٤ ـ الدعاء لهما بالمغفرة والرضوان على ما أسدياه إليه من المعروف واللطف أيام صغره الذي هو في أمس الحاجة إلى رعايتهما وتربيتهما .

٥ ـ الطلب من الله أن يكتب لهما المزيد من الأجر على ما مسهما من الأذى ، وخلص إليهما من المكروه أو التقصير في أداء حقوقهما من قبله ، وليس في عالم التربية المثالية مثل هذه الآداب التي يسمو بها الإنسان وتزدهر بها حياته ، ولنستمع إلى قطعة اخرى من كلامه عليه السلام .

« اللهم وما تعديا علي فيه من قول أو أسرفا علي فيه من فعل ، أو ضيعاه لي من حق ، أو قصرا بي عنه من واجب فقد وهبته لهما ، وجدت به عليهما ، ورغبت إليك في وضع تبعته عنهما ، فإني لا اتهمهما على نفسي ، ولا استبطئهما في بري ، ولا أكره ما توليله من أمري يا رب ، فهما أوجب حقاً علي ، وأقدم احساناً إلي ، واعظم منه لدي من أن أقاصهما بعدل أو أجازيهما على مثل ، أين ذا يا إلٰهي طول شغلهما بتربيتي ؟ وأين شدة تعبهما في حراستي ؟ وأين اقتارهما على أنفسهما للتوسعة علي ؟ هيهات ما يستوفيان مني حقهما ، ولا أدرك ما يجب علي لهما ، ولا أنا بقاض وظيفة خدمتهما . . . فصل على محمد وآله ، واعني يا خير من استعين به ، ووفقني يا أهدى من رغب إليه ، ولا تجعلني في أهل العقوق للآباء والأمهات يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون . . . » .

إن هذه التربية العلوية إنما هي نفحة من روح الله لتكون مناراً إلى الأمم والشعوب لترفع من قيمة الإنسان ، وتسمو به إلى عالم الملكوت . . . لقد عرض هذا الإمام المربي إلى أن الواجب يحتم على الأبناء أن يسامحوا آباءهم على ما يصدر منهم من تعد عليهم في القول أو إسراف في الفعل أو تقصير في واجب ، عليهم أن يهبوا كل ذلك لهم مكافأة لهم ومجازاة لتربيتهم وعنايتهم ونعمتهم التي لا يؤدي الولد البار مهما عمل من خدمة بعض ما يجب عليه من البر والإحسان لأبيه . . . ولنستمع إلى القطعة الأخيرة من دعاء الإمام :

« اللهم صل على محمد وآله وذريته ، واخصص أبوي بأفضل ما خصصت به آباء عبادك المؤمنين ، وأمهاتهم يا أرحم الراحمين ، اللهم لا تنسني ذكرهما في ادبار صلواتي ، وفي آناء من أناء الليل ، وفي كل ساعة من ساعات نهاري ، اللهم صل على محمد وآله ، واغفر لي بدعائي لهما ، واغفر لهما ببرهما بي مغفرة حتماً ، وارض عنهما بشفاعتي لهما رضى عزماً ، وبلغهما بالكرامة مواطن السلامة اللهم وان سبقت مغفرتك لهما فشفعهما في ، وإن سبقت مغفرتك لي فشفعني فيهما حتى نجتمع برأفتك في دار كرامتك ، ومحل مغفرتك ورحمتك إنك ذو الفضل العظيم ، والمن القديم ، وأنت أرحم الراحمين . . . »[1] إن الإنسانية إنما تسمو وتتميز بهذه الأخلاق العلوية الهادفة إلى خلق مجتمع متكامل واحد تسوده المحبة والألفة والاحترام المتبادل خصوصاً في عالم الأسرة التي ينطلق منها تهذيب الفرد وبناء شخصيته .

لقد دعا الإمام (ع) لأبويه في هذه الفقرات الأخيرة طالباً من الله أن يتفضل عليهما بالمغفرة والرضوان ، وأن يغفر له ببركة دعائه لهما ، وأن يغفر لهما ببرهما له ، فأي مودة ورحمة للأبوين مثل هذه المودة والرحمة ؟

مع ابنائه :

أما سلوك الإمام زين العابدين عليه السلام مع أبنائه فقد تميز بالتربية الإسلامية الرفيعة لهم ، فغرس في نفوسهم نزعاته الخيرة ، واتجاهاته الإصلاحية العظيمة وقد صاروا بحكم تربيته لهم من المع رجال الفكر والعلم والنضال في الإسلام ، فكان ولده الإمام محمد الباقر عليه السلام من أشهر ائمة المسلمين ، ومن أكثرهم عطاءاً للعلم ، وهو صاحب المدرسة الفقهية الكبرى التي تخرج منها كبار الفقهاء والعلماء أمثال ابان بن تغلب وزرارة بن أعين ، وغيرهما ممن اضاءوا الحياة الفكرية في الإسلام ، . . وأما ولده

---

(١) الصحيفة السجادية الدعاء الرابع والعشرون .

عبد الله الباهر فقد كان من أبرز علماء المسلمين في فضله ، وسمو منزلته العلمية ، وقد روى عن أبيه علوماً شتى ، وكتب الناس عنه ذلك[1] أما ولده زيد فقد كان من أجلّ علماء المسلمين وقد تخصص في علوم كثيرة كعلم الفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام وغيرها وهو الذي تبنى حقوق المظلومين والمضطهدين ، وقاد سيرتهم النضالية ، في ثورته الخالدة التي نشرت الوعي السياسي في المجتمع الإسلامي ، وساهمت مساهمة ايجابية وفعالة في الإطاحة بالحكم الأموي .

وعلى أي حال فإنا نعرض - بإيجاز - إلى بعض مناحي سلوك الإمام (ع) ، مع ابنائه .

وصاياه لأبنائه :

وزود الإمام زين العابدين عليه السلام أبناءه ببعض الوصايا التربوية التي هي خلاصة تجاربه في هذه الحياة لتكون منهجاً يسيرون عليها ، وفيما يلي بعض وصاياه .

١ - أوصى عليه السلام بعض ابنائه بهذه الوصية القيمة التي القت الأضواء على الأصدقاء والأصحاب ، والزمت بالاجتناب عمن يتصف منهم بالنزعات الشريرة خوفاً من سريان العدوى والتلوث إلى من يصادقهم ، وهذا نص وصيته :

« يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ، ولا تحادثهم ، ولا ترافقهم في طريق ، فقال له ولده : من هم ؟ قال (ع) إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ، ويبعد لك القريب ، وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بايعك بأكلة أو أقل من ذلك، وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله، وأنت أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصاحبة القاطع لرحمة فإني وجدته ملعوناً في كتاب

---

(١) غاية الاختصار (ص ١٠٦) .

الله . . . »[1] إن مزاملة هؤلاء الأصناف تجر الويل والخسران ، وتعود بالأضرار البالغة على من يصادقهم ، وما أكثر هؤلاء الأصناف في المجتمع قديماً وحديثاً ، وما اندر الأزكياء والأصفياء الذين ينتفع بمصاحبتهم .

٢ ـ ومن جملة وصاياه الرفيعة لأبنائه هذه الوصية الحافلة بالنصائح الجليلة وهذا نصها :

« يا بني اصبر على النائبة ، ولا تتعرض للحقوق ، ولا تجب أخاك إلى شيء مضرته عليك اعظم من منفعته لك . . . »[2] .

لقد أوصى الإمام الحكيم ولده بالصبر على النوائب ، والأحداث التي تداهمه وعدم الانهيار أمامها ، فإن ذلك مما يؤدي إلى تماسك الشخصية ، وصلابتها ، كما أوصى (ع) بعدم التعرض والتعدي على حقوق الناس ، فإن ذلك اضمن لسلامة الشخص من الاعتداء عليه ومقابلته بالمثل ، كما أوصاه بعدم اجابة الصديق إلى أمر يعود عليه بالضرر والخسران .

٣ ـ ومن وصاياه لبعض أولاده هذه الوصية الرائعة، وهي :

« يا بني إن الله لم يرضك لي فأوصاك بي ، ورضيني لك فحذرني منك ، واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط فيه، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له . . »[3] .

وحفلت هذه الوصية بالنقاط التالية :

أ ـ إن الأبناء لا يكنون في أعماق نفوسهم لآبائهم من المودة والعطف مثل ما يكنه الآباء لهم ، ولذلك أكد تعالى في غير آية من كتابه المجيد بلزوم رعايتهم وطاعتهم .

ب ـ إن الله تعالى حذر الآباء من أبنائهم من مصادر الفتنة والشقاء لهم .

---

(١) تحف العقول (ص ٢٧٩) البداية والنهاية ١٠٥/٩ ، وسائل الشيعة .
(٢) البيان والتبيين ٧٦/٢ ، العقد الفريد ٨٨/٣ .
(٣) العقد الفريد ٨٩/٣ .

ج ـ إن التربية الناجحة للأبناء هي أن لا يفرط الآباء بالمودة والحنان لهم فإن ذلك مما يؤدي إلى ضعف شخصية الطفل ، وعدم استطاعته على الصمود أمام الأحداث ، وقد أكد هذه الظاهرة علماء التربية والنفس .

د ـ إن أفضل الأبناء هم الذين يقومون بخدمة آبائهم والإحسان إليهم وبذلك يخرجون من حدود التقصير والعقوق لهم .

٤ ـ ومن وصاياه القيمة هذه الوصية التي خص بها ولده الإمام الباقر عليه السلام ، وقد حذره فيها من مصاحبة الأحمق ، وقد جاء فيها :

« يا بني إياك من مصاحبة الأحمق أو تخالطه ، واهجره ، ولا تحادثه فإن الأحمق هجنة عياب ، غائباً كان أو حاضراً ، إن تكلم فضحه حمقه، وإن سكت قصر به عيه ، ون عمل أفسد ، وإن استرعي اضاع ، لا علمه من نفسه يغنيه ، ولا علم غيره ينفعه ، ولا يطيع ناصحه ، ولا يستريح مقارنه ، تود أمه أنها ثكلته ، وامرأته انها فقدته ، وجاره بعد داره ، وجليسه الوحدة من مجالسته ، إن كان اصغر من في المجلس أعنى من فوقه ، وإن كان أكبرهم أفسد من دونه . . »[1] لقد عرض الإمام عليه السلام إلى لزوم الابتعاد عن الأحمق ، وذلك لما في الاتصال به من المضاعفات السيئة التي تجر الويل والعطب وقد أدلى عليه السلام بعيوب الأحمق ونقائصه .

٥ ـ ومن وصاياه الرائعة التي نصح بها ابناءه هذه الوصية :

« جالسوا أهل الدين والمعرفة ، فإن لم تقدروا عليهم فالوحدة آنس واسلم فإن ابيتم إلا مجالسة الناس فجالسوا أهل المروآت فإنهم لا يزمتون في مجالسهم . . »[2] .

هذه بعض وصاياه التربوية لأبنائه ، وقد وضع فيها المناهج السليمة لسلوكهم ومسيرتهم في هذه الحياة .

---

(١) وسائل الشيعة ٥/٤٢١ .
(٢) رجال الكشي (ص ٤١٩).

دعاؤه لأبنائه :

أما دعاء الإمام لأبنائه فهو في منتهى الروعة والجلال ، فقد حكى سلوكه النير معهم وما يتمناه لهم من سمو الآداب ، ومكارم الأخلاق ، ولنستمع ونصغي إليه فإنه من أسمى الثروات في التربية الإسلامية .

« اللهم ومُنَّ علي ببقاء ولدي ، وبإصلاحهم لي ، وبامتاعي بهم ، إلٓهي امدد لي في أعمارهم ، وزد في آجالهم ، ورب لي صغيرهم ، وقوِّ لي ضعيفهم ، وأصح لي ابدانهم وأديانهم وأخلاقهم ، وعافهم في أنفسهم ، وفي جوارحهم ، وفي كل ما عنيت به من أمرهم ، وأدرر لي ، وعلى يدي ارزاقهم ، واجعلهم ابراراً اتقياء بصراء سامعين ، مطيعين لك ولأوليائك محبين مناصحين ، ولجميع اعدائك معاندين ومبغضين آمين . . . » .

ومثلت هذه الفقرات مدى روحانية الإمام عليه السلام في سلوكه لتربية ابنائه ، فقد قامت تربيته لهم على الإصلاح الشامل ، والتهذيب المطلق ، فقد دعا لهم بما يلي :

أ ـ أن يمن الله عليهم بالبقاء والإصلاح ليكونوا قرة عين له .

ب ـ أن ينعم الله عليهم بالصحة الشاملة لأبدانهم ، وأديانهم وأخلاقهم .

ج ـ أن يعافي الله نفوسهم وأرواحهم ، وذلك بتطهيرها من الرذائل والآثام .

د ـ أن يمنحهم تعالى العافية في جوارحهم لئلا يصابوا بعاهة في أجسامهم مما تشل فعالياتهم .

هـ ـ أن يوسع الله عليه وعليهم من أرزاقه ، ولا يذيقهم مرارة الفقر فإنه من أفجع الكوارث وافتكها .

و ـ أن يهديهم تعالى إلى مرضاته فيجعلهم ممن يسارعون إلى الخيرات وبأمره يعملون .

ز ـ أن يحبب لهم تعالى اولياءه ، ويبغض لهم اعداءه .

وهذا العطف مما يوجب تماسك الأسرة وانسجامها ، وإذا تربى الولد على هذا الأنموذج من الخلق الرفيع كان قرة عين لأبيه . . . ولنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء الشريف .

« اللهم اشدد بهم عضدي ، وأقم بهم أودي ، وكثر بهم عددي ، وزين لهم محضري ، وأحي بهم ذكري ، واكفني بهم في غيبتي ، واعن بهم على حاجتي ، واجعلهم لي محبين ، وعلي حدبين مقبلين ، مستقيمين لي ، مطيعين غير عاصين ، ولا مخالفين ولا خاطئين ، واعني على تربيتهم وتأديبهم ، وهب لي من لدنك معهم أولاداً ذكوراً ، واجعل ذلك خيراً لي ، واجعلهم لي عوناً على ما سألتك، وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم ، فإنك خلقتنا وأمرتنا ونهيتنا ، ورغبتنا في ثواب ما أمرتنا ، ورهبتنا عقابه ، وجعلت لنا عدواً يكيدنا ، سلطته على ما لم تسلطنا عليه منه ، اسكنته صدورنا ، وأجريته مجاري دمائنا لا يغفل إن غفلنا ولا ينسى إن نسينا يؤمننا عقابك ، ويخوفنا بغيرك ، إن هممنا بفاحشة شجعنا عليها ، وإن هممنا بعمل صالح ثبطنا عنه ، يتعرض لنا بالشهوات وينصب لنا بالشبهات ، إن وعدنا كذبنا ، وإن منانا اخلفنا والا تصرف عنا كيده يضلنا ، والا تقنا خباله[1] ، يستزلنا[2] اللهم فاقهر سلطانه عنا بسلطانك حتى تحبسه عنا بكثرة الدعاء لك فنصبح من كيده في المعصومين بك . . . » .

واحتوت هذه الفقرات الرائعة على أمرين ، وهما :

أولاً : إن الإمام سأل الله تعالى أن يحقق له ما يرجوه ويأمله في اولاده ، الأزكياء ، وكان مما يرجوه منهم ما يلي :

١ ـ أن يشد بهم عضده ، ويقويه بهم فإن الولد الصالح قوة للأب .

٢ ـ أن يقيم بهم ما اعوج ، واشكل عليه من أموره .

---

(١) خباله : أي فساده .

(٢) يستزلنا : أي يوقعنا في المهالك والمزلات .

٣ ـ أن يكثر بهم عدده فيكونوا أسرة ذات عدد كبير ملحوظين أمام المجتمع .

٤ ـ أن يزين بهم محضرة ومجلسه ، وذلك بسمو آدابهم ومعالي أخلاقهم .

٥ ـ أن يكفيه بهم في حال غيابه ، وذلك بقيامهم في مهماته .

٦ ـ أن يعينوه على حوائجه ، ولا يتركوه وحده .

٧ ـ أن يمنحهم تعالى حب أبيهم والعطف عليه ، ليطيعوا أوامره ، ويجتنبوا معاصيه ، وما لا يرضيه .

إن الأبناء إذا كانوا بهذه الصفة من الصلاح ، والاخلاص لآبائهم ، فإن جل متاعب الدنيا تزول وينعمون بهم في حال شيخوختهم التي هي مركز الضعف .

ثانياً : إن الإمام اعاذ نفسه وذريته بالله تعالى من شر الشيطان الرجيم الذي هو العدو الأول للإنسان الذي يلقيه في متاهات سحيقة من المعاصي والآثام ، وقد عرض الإمام عليه السلام إلى سلطة الشيطان على الإنسان ، وهيمنته عليه فقد سكن في أعماق النفوس ، ونفذ إلى جميع خلايانا وذكر أموراً أخرى ، والتي منها ما يلي :

١ ـ إن الشيطان يغري الإنسان باقتراف المعاصي ، ويسهل عليه عقاب الله الذي اعده للعصاة من عباده ، كما يخوف الإنسان بغير الله تعالى فيجعله يخاف ويخشى منه أكثر مما يخشى ويخاف من الله .

٢ ـ إن الإنسان إذا همّ بمعصية شجعه الشيطان عليها ، ودفعه لها حتى يوقعه بها .

٣ ـ إن الإنسان إذا همّ بعمل الخير ، وبما يقربه إلى الله زلفى ثبطه عنه الشيطان وجعله يتكاسل عنه ، حتى يصرفه عنه .

٤ ـ إن الشيطان يغري الإنسان بالشهوات ، ويزينها له حتى ينقاد لها .

٥ ـ ن الشيطان يلقي في قلب الإنسان الأوهام والشبهات التي توجب بعد الإنسان عن ربه .

وعرض الإمام بعد ذلك إلى أن جميع أماني الشيطان للإنسان كذب وخداع ، ولا حقيقة ولا واقع لها ، ثم سأل الإمام عليه السلام أن يصرف عن المؤمنين كيد الشيطان ومكره حتى لا يقعوا في حباله . . . ولنستمع بعد هذا إلى القطعة الأخيرة من هذا الدعاء الشريف .

« اللهم اعطني كل سؤلي ، واقض لي حوائجي ، ولا تمنعني الاجابة ، وقد ضمنتها لي ولا تحجب دعائي عنك ، وقد امرتني به ، وامنن علي بكل ما يصلحني في دنياي وآخرتي ما ذكرت منه ، وما نسيت ، أو أظهرت أو اخفيت أو اعلنت أو أسررت ، واجعلني في جميع ذلك من المصلحين بسؤالي إياك ، المنجحين بالطلب إليك غير الممنوعين بالتوكل عليك المعوذين بالتعوذ بك ، والراغبين في التجارة عليك المجارين[١] بعزك الموسع عليهم الرزق الحلال من فضلك الواسع بجودك وكرمك ، المعزين من الذل بك، والمجارين من الظلم بعدلك ، والمعافين من البلاء ، برحمتك ، والمغنين من الفقر بغناك ، والمعصومين من الذنوب والزلل والخطأ بتقواك والموفقين للخير والرشد والصواب بطاعتك ، والمحال بينهم وبين الذنوب بقدرتك ، التاريكين لكل معصيتك ، الساكنين في جوارك ، اللهم اعطنا جميع ذلك بتوفيقك ورحمتك ، واعذنا من عذاب السعير ، واعط جميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات مثل الذي سألتك لنفسي ولولدي ، في عاجل الدنيا وآجل الآخرة ، إنك قريب مجيب ، سميع عليم ، عفو غفور ، رؤوف رحيم ، وآتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . . . »[٢] .

سلام الله عليك يا زين العابدين لقد أوتيت من الحكمة وفصل الخطاب

---

(١) المجارين : أي المحفوظين من الظلم .
(٢) الصحيفة السجادية : الدعاء الخامس والعشرون .

ما لم يؤته أحد سوى آبائك الذين سنوا أصول الفصاحة والبلاغة والحكمة في دنيا العرب والإسلام .

لقد أعرب الإمام عليه السلام في هذه الفقرات عن عظيم اخلاصه وإنابته وطاعته لله ، وتعلقه به ، وانقطاعه إليه ، فقد سأل منه تعالى أن يعطيه جميع ما سأله وأن يقضي له جميع حوائجه، وأن يمن عليه بما يصلحه في أمر آخرته ودنياه ، وأن يجعله ممن يريد الإصلاح فيما يستجيب له من دعائه ، وأكثر من التذلل والتملك إلى الله الذي بيده ملكوت كل شيء ، ثم سأل الله تعالى أن يعطي جميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات مثل الذي سأل لنفسه ولولده في عاجل الدنيا وآجل الآخرة.

لقد ربى ابناءه على مثل هذا الهديي الذي يمثل جوهر الإسلام ، وواقع الإيمان فكانوا من اتقى ابناء المسلمين ، ومن أكثرهم تحرجاً في الدين .

مع مماليكه :

وسار الإمام زين العابدين عليه السلام مع مماليكه سيرة تتسم بالرفق والعطف والحنان فكان يعاملهم كابنائه ، ويغدق عليهم بره ومعروفه وإحسانه ، وقد وجدوا في كنفه من الرفق ما لم يجدوا في ظل آبائهم ، ويقول الرواة إنه لم يعاقب أمة ولا عبداً فيما إذا اقترفا ذنباً[1] وقد كان له مملوك فدعاه مرتين فلم يجبه ، وفي الثالثة قال له الإمام برفق ولطف :

ـ « يا بني أما سمعت صوتي ؟ . . . » .

ـ « بلى . . » .

ـ « لم لم تجبني ؟ . . » .

ـ « أمنت منك . . . » .

فخرج الإمام وراح يحمد الله ويقول :

---

(١) البحار ٤٦/١٠٣ .

« الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني . . . »[1].

لقد فرح الإمام لأنه لم يكن قاسياً ، ولا جباراً حتى يخاف منه الناس أو يحذرون .

مع جيرانه :

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام من أبر الناس بجيرانه، فكان يرعاهم كما يرعى أهله ، وكان يعول ضعفاءهم وفقراءهم ، ويعود مرضاهم ، ويشيع موتاهم ، ولم يترك لوناً من ألوان البر إلا اسداه إليهم ، وكان يستقي لضعفاء جيرانه في غلس الليل البهيم كما روى ذلك الزهري[2] وليس في تاريخ الإنسانية مثل هذا اللون من البر والمعروف .

دعاؤه لجيرانه :

ولم يكتف الإمام زين العابدين عليه السلام بما أسداه على جيرانه من أنواع البر والإحسان وإنما شملهم بدعائه ، فكان يدعو لهم بالتوفيق والحسنى والسداد كما كان يدعو لنفسه وأهل بيته ، وكانوا من مهامه ، وقد خصهم بدعاء من أدعيته الشريفة ، وفيما يلي نصه :

اللهم صل على محمد وآله ، وتولني في جيراني ، وموالي العارفين بحقنا ، والمنابذين لأعدآئنا بأفضل ولايتك ، ووفقهم لإقامة سنتك ، والأخذ بمحاسن أدبك في إرفاق ضعيفهم ، وسد خلتهم ، وعيادة مريضهم ، وهداية مسترشدهم ، ومناصحة مستشيرهم ، وتعهد قادمهم ، وكتمان أسرارهم ، وستر عوراتهم ، ونصرة مظلومهم ، وحسن مواساتهم بالماعوّن ، والعود عليهم بالجدة والأفضال ، وإعطاء ما يجب لهم قبل السؤال . . . » .

---

(١) تاريخ دمشق ٣٦/١٥٥.

(٢) بهجة الأبرار .

لقد دعا الإمام عليه السلام بهذه الدعوات المباركة لجيرانه ، وخص دعاءه بالعارفين والمؤمنين بحق أهل البيت عليهم السلام الذين ألزم الله مودتهم وجعلهم النبي (ص) سفن النجاة وأمن العباد ، والأدلاء على مرضاة الله وطاعته ، وكان من بنود هذا الدعاء :

١ ـ أن يوفقهم الله لإقامة سنة الإسلام ، وإحياء فروضه وتعاليمه .

٢ ـ أن يوفقهم الله ، ويهديهم للأخذ بمحاسن آداب الله ، وهي :

(أ) أن يرفقوا بضعفائهم ، ويعطفوا عليهم .

(ب) أن يقوموا بسد حاجات جيرانهم ، ويعينوهم على شؤون هذه الدنيا .

(ج) أن يعود كل فرد منهم مرض عند إخوانه في الله .

(د) أن يهدوا من يطلب الهداية والرشاد .

(هـ) أن يقدموا الرأي الصائب ، والنصيحة الكاملة لمن يستشيرهم .

(و) أن يتعاهدوا من يقدم من إخوانهم من السفر .

(ز) إذا أسرَّ بعضهم في سره لأخيه فعليه أن يكتمه ولا يذيعه بين الناس .

(ح) أن يستر بعضهم عورة بعض ولا يبديها لأن في نشرها هتكاً له وإسقاطاً لكرامته .

(ط) أن يقوموا بنصرة المظلوم منهم ، ولا يدعوه وحده لأن في ذلك نشراً للظلم وإماتة للعدل .

(ي) أن يواسي بعضهم بعضاً في الحياة الاقتصادية ، فلا يتركوا الضعفاء والفقراء ينهشهم الفقر والبؤس .

(ك) أن يسعفوا فقراءهم بالمال قبل السؤال لأن فيه مذلة على الفقير .

وهذه البنود من أهم المواد في النظام الاجتماعي في الإسلام الذي يهدف إلى جمع الناس على صعيد المحبة والمودة والالفة ، ويقضي على جميع النعرات، والفوارق التي توجب فساد الحياة الاجتماعية . ولنستمع إلى بقية هذا الدعاء الشريف :

« واجعلني اللهم أجزي بالإحسان مسيئهم ، وأعرض بالتجاوز عن ظالمهم ، وأستعمل حسن الظن في كافتهم ، وأتولى بالبر عامتهم ، وأغض بصري عنهم عفة ، وألين جانبي لهم تواضعاً ، وأرق على أهل البلاء منهم رحمة ، وأسر لهم بالغيب مودة ، وأحب بقاء النعمة عندهم نصحاً ، وأوجب لهم ما أوجب لحامتي[1] ، وأرعى لهم ما أرعى لخاصتي، اللهم صل على محمد وآله ، وارزقني مثل ذلك منهم واجعل أوفى الحظوظ فيما عندهم ، وزدهم بصيرة في حقي ومعرفة بفضلي حتى يسعدوا بي ، وأسعد بهم آمين رب العالمين . . »[2] .

إن أهم ما يتمناه الإمام ـ في هذه الفقرات ـ أن يسدي إلى جيرانه الأيادي البيضاء ، ويقدم لهم المزيد من الخدمات التي منها :

١ ـ أن يقابل من أساء إليه بالبر والإحسان ، ليقتلع بذلك النزعة الشريرة من نفس المسيء .

٢ ـ أن يتجاوز عمن ظلمه ، واعتدى عليه ، ولا يقابله بالمثل ، وهذه سيرة جده رسول الله (ص) فقد كان يصفح الصفح الجميل عمن ظلمه .

٣ ـ أن يستعمل حسن الظن بجيرانه ، ولا يظن بأحد منهم سوءاً ، والظن الحسن يجمع الناس على صعيد المحبة والإلفة والوفاق .

٤ ـ أن يتولى بالبر والإحسان كافة جيرانه ، سواء منهم الضعيف والغني ، والعدو والصديق .

٥ ـ أن يلين لهم جانبه تواضعاً ، ولا يكون معهم فظاً غليظاً .

٦ ـ أن يرق قلبه على أهل البلاء منهم فيحسن لهم ، ويدعو لهم .

٧ ـ أن يسر لهم في أعماق قلبه المودة والرحمة .

٨ ـ أن يحب لهم دوام النعمة .

٩ ـ أن يعاملهم بالإحسان والمعروف كما يعامل أقاربه وأرحامه .

١٠ ـ أن يرعاهم بألطافه كما يرعى خاصته .

---

(١) الحامة : الأقارب .

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء السادس والعشرون .

إن هـذه الأخلاق العلويـة تمثل جـوهر الإسـلام ، وواقعه ، وهي تـدعو بصورة إيجابية إلى بناء مجتمع متكامل ، متحد بمشاعره ، متماسك بعواطفه .

وعلى أي حـال فإن الإمـام عليـه السـلام بعـدمـا أعلن هـذه العـواطف الكريمة تجاه جيرانـه تمنى أن يكنوا لـه مثل مـا يكن لهم من المودة والحب ، كمـا سأل من الله أن يجعـل له عنـدهم أوفى الحظوظ ، وأن يـزيدهم بصيـرة ومعرفة بفضله ، وأن يوفقهم للقيام برعاية حقوقه .

مع جلسائه :

أما سلوك الإمام عليـه السلام مـع جلسائـه فكان يتميـز بالآداب الـرفيعة والخلق الإسـلامي العظيم ، فكـان يحترم ، ويكـرم كل من جلس معـه ، وقد قال عليه السلام : « ما جلس إلي أحد قط إلا عرفت لـه فضله »[1] وكان يـوقر جلساءه ، ويقابلهم بالمزيد من ألطافه ، ومعالي أخلاقه ، وقد دخل عليـه نصر ابن أوس الطائي ، فرحب به الإمام ، وقال له :

- «ممن أنت ؟ » .
- «من طي . . » .
- «حياك الله، وحيا قوماً عُزِيْتَ إليهم، نعم الحي حيك. . .».

والتفت الطائي إلى الإمام فقال له :

- «من أنت ؟ . . » .
- «علي بن الحسين . . » .
- «أولم يقتل بالعراق مع أبيه ؟ . . » .

فقابله الإمام ببسمات فياضة بالبشر قائلة :

- «لو قتل يا بني لم تره . . »[2] .

ويقول المؤرخون إنه كان لا يسمح لأحد من جلسائه أن يعتدي على من

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ليوسف القرطبي ١/٤٦ .

(٢) تاريخ دمشق ١٤٥/٣٦ .

أساء إليه فقد دخل عليه أحد أعدائه ، فقال له :

« هـل تعرف الصلاة ؟ . . » .

فـانبرى أبـو حازم وهـو من أصحاب الإمـام فأراد الـوقيعة بـه ، فـزجـره الإمـام ، وقال لـه « مهلاً يـا أبا حـازم إن العلماء هم الحلمـاء الـرحمـاء ، ثم التفت إلى الرجل بلطف وقال له :

« نعم أعرفها . . » .

سأله الرجل عن بعض خصوصيات الصلاة فأجابه الإمام عنها ، فخجـل الرجل ، وراح يعتذر للإمام ويقول له : ما تركت لأحد حجة[1]. لقد كان شأن الإمام في معالي أخلاقه مع جلسائه وغيرهـم شأن جده الرسول الأعظم (ص) الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق .

مع شيعته :

كان الإمام زين العابدين عليـه السلام يتحـرى في سلوكه مـع شيعته أن يكونوا قدوة حسنة لكل إنسان مسلم في ورعهم وتقواهم وجريجتهم في الـدين وقد جهد في تربيتهم وتهذيبهم بالأخلاق الإسـلامية الـرفيعة ، وقـد بث فيهم المواعظ والنصائح ، وحفزهم على التقـوى والعمل الصـالح ، فقـد قال (ع) لبعض شيعته :

« أبلغ شيعتنـا أنه لن يغني عنهم من الله شيء ، وأن ولايتنـا لا تنال إلا بالورع . . »[2] .

إن الورع عن محارم الله من أهم الوسائـل في نجاة الإنسـان من عذاب الله وعقابه ، كما انه من أنجح الطرق للظفر بولايـة أهل البيت عليهم السـلام التي هي حصن من حصون الله .

---

(١) بهجة الأبرار .

(٢) الدر النظيم (ص ١٧٣) .

ووفد جماعة على الإمام (ع) وعرفوا نفوسهم له بأنهم من الشيعة فأمعن الإمام في وجوههم فلم ير عليها أثر الصلاح ، فقال لهم : « أين السمت في الوجوه ؟ أين أثر العبادة ؟ أين سيماء السجود ؟ إنما شيعتنا بعبادتهم ، وشعثهم ، قد قرحت العبادة منهم الآماق ووثرت الجباه والمساجد ، خمص البطون ، ذبل الشفاه ، قد هيجت وجوههم ، واخلق سهر الليالي ، وقطع الهواجر، جثيثهم ، المسبحون إذا سكت الناس ، والمصلون إذا نام الناس ، والمحزونون إذا فرح الناس ، يعرفون بالزهد ، وشاغلهم الجنة . . »[1] .

إن هذه الصفات التي ذكرها الإمام (ع) إنما تتوفر في خواص الشيعة ، وحواري الأئمة عليهم السلام أمثال عمار بن ياسر ، وأبي ذر ، وسلمان الفارسي ، وميثم التمار ، ونظرائهم ممن أترعت نفوسهم بالتقوى والصلاح ، ووعوا رسالة الإسلام ، أما الأكثرية الساحقة من الشيعة فإنما هم من أتباع أهل البيت ومواليهم ، ولا شبهة أن الولاء للأئمة عليهم السلام مما يوجب الغفران ، ويدلل على ذلك ما روي عنه عليه السلام ، حينما مرض فقد دخل عليه جماعة من صحابة النبي (ص) لعيادته فقالوا له :

« كيف أصبحت يا ابن رسول الله فدتك أنفسنا ؟ » .

« في عافية والله المحمود على ذلك ، وكيف أصبحتم أنتم ؟ . . » .

« أصبحنا والله لك يا ابن رسول الله محبين ، وادين . . » .

فبشرهم الإمام بالفردوس الأعلى لولائهم لأهل البيت قائلاً :

« من أحبنا لله أسكنه الله في ظل ظليل يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ومن أحبنا يريد مكافأتنا كافأه الله الجنة ، ومن أحبنا لغرض دنيا آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب . . »[2] .

---

(١) صفات الشيعة من مخطوطات مكتبة السيد الحكيم .

(٢) نور الأبصار (ص ١٢٧) .

رواية موضوعة :

من الروايات الموضوعة ما رواه ابن عساكر أن جماعة من أهل العراق وفدوا على الإمام زين العابدين عليه السلام ، فقال لهم : « يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام ، ولا تحبونا حب الأصنام ، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شينا . . »[1] وهذه الرواية افتعلت للحط من شأن الشيعة وانهم يغالون في حبهم وولائهم لأهل البيت عليهم السلام ، ويرفعونهم إلى مستوى الخالق العظيم ، وهو اتهام رخيص لا سند له من الواقع . إن حب الشيعة للأئمة الطاهرين عليهم السلام قائم على أساس الفكر والوعي ويستند إلى الكتاب العزيز والسنة المتواترة ، وليس فيه أي شائبة من الغلو . . . إن أهم ظاهرة في ولاء الشيعة لأئمة أهل البيت (ع) هي أنها تأخذ معالم دينها عنهم ـ تلتزم بما أثر عنهم في حياتهم الدينية ، ومما لا شبهة فيه أن الأخذ بفقه أهل البيت والاستناد إليه في مقام العمل مجز عن الواقع ، فهل في هذه الجهة غلو ، وإنحراف عن الدين ؟

وقد رويت نفس هذه الرواية بشكل آخر ليس فيها طعن على الشيعة ، فقد روى يحي بن سعيد قال : كنت عند علي بن الحسين فجاءه نفر من الكوفيين ، فقال لهم علي بن الحسين : يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام ، فإني سمعت أبي يقول : قال رسول الله (ص) : يا أيها الناس لا ترفعوني فوق حقي ، فإن الله عز وجل قد اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً[2]» وليس في هذه الرواية ما يدعو إلى التشكيك فيها .

إلزامه للشيعة بالتقية

وألزم الإمام زين العابدين عليه السلام شيعته بالتقية نظراً للظروف العصيبة الخانقة التي كانت تمر بهم ، فقد كان الحكم الأموي يفتش بدقة عن

---

(١) تأريخ دمشق ١٥٧/٣٦ . والشين: ضد الزين، أي: العيب.

(٢) الذرية الطاهرة ورقة ٢٩ مخطوط في مكتبة الإمام أمير المؤمنين تسلسل ٤٤ .

العناصر الموالية لأهل البيت ليقوم بتصفيتهم جسدياً ، وقد جاء أمر الإمام (ع) بلزوم التقية وإخفاء شيعته موافقاً للحكمة ، ومتفقاً مع روح الإسلام وجوهره ، قال عليه السلام : « يغفر الله للمؤمن كل ذنب ، ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين ترك التقية ، وتضييع حقوق الأخوان »[1] .

لقد حفظت التقية دماء شيعة أهل البيت في تلك العصور السود التي كان فيها الحكم الأموي يتتبعهم تحت كل حجر ومدر فأشاع فيهم القتل والإعدام ، وبلغ الحال أن من يقذف من المسلمين باليهودية والنصرانية أهون عليه من أن يوصف بأنه من شيعة آل محمد (ص) وقد ندد بالشيعة من لا وعي له من الحاقدين على آل البيت (ع) لإلتزامهم بالتقية ، ولم يعلم انها ضرورة إسلامية ملحة ، ولولا التزامهم بها لم يبق أحد يدين بالولاء للأئمة الطاهرين .

استغفاره لمذنبي شيعته :

وبلغ من حب الإمام زين العابدين عليه السلام لشيعته والموالين انه كان يدعو لمذنبيهم في كل يوم ، فقد قال (ع) لأم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر : « إني لأدعو لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة مائة مرة ، لأنا نصبر على ما نعلم ويصبرون على ما لا يعلمون . . »[2] ودل هذا الحديث على مدى تعاطف الإمام على شيعته ، وحبه لهم ، فقد دعا لمذنبيهم بالمغفرة والرضوان فأي بر وأي إحسان أعظم من هذا البر والإحسان » .

مع أعدائه :

أما سلوك الإمام عليه السلام مع أعدائه ، والحاقدين عليه ، والظالمين له فقد تميز بالصفح والعفو عنهم ، والإحسان إليهم ، والبر بهم ، يقول

---

(١) الإمام زين العابدين (ص ٢٠٢) نقلاً عن المحاسن للبرقي .

(٢) الوافي ٢/١٨٣ عيون المعجزات (ص ٧٦) .

المؤرخون : إن إسماعيل بن هشام المخزومي كان والياً على يثرب ، وكان شديد البغض والحقد على آل البيت (ع) وكان يبالغ في إيذاء الإمام زين العابدين ، ويشتم آباءه على المنابر تقرباً إلى حكام دمشق ، ولما ولي الوليد ابن عبد الملك الخلافة بادر إلى عزله والوقيعة به لهنات كانت بينهما قبل أن يلي الملك والسلطان ، وقد أوعز بإيقافه للناس لاستيفاء حقوقهم منه ، وفزع ابن هشام كأشد ما يكون الفزع من الإمام زين العابدين لكثرة اعتدائه عليه ، وإسائته له ، وقال : ما أخاف إلا من علي بن الحسين فإنه رجل صالح يسمع قوله في ، أما الإمام (ع) فقد عهد إلى أصحابه ومواليه أن لا يتعرضوا له بمكروه ، وأسرع إليه فقابله ببسمات فياضة بالبشر وعرض عليه القيام بما يحتاج إليه من معونة في أيام محنته قائلاً :

« يا ابن العم عافاك الله لقد ساءني ما صُنع بك فادعنا إلى ما أحببت . . » وذهل هشام وراح يقول بإعجاب :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء . . . »[1] .

ولنستمع ونمعن في دعائه الشريف بالمغفرة لأعدائه وظالميه ، إلى ما اقترفوه من الاعتداء عليه يقول عليه السلام :

« اللهم وأيما عبد نال مني ما حظرت عليه ، وانتهك مني ما حجرت عليه فمضى بظلامتي ميتاً ، أو حصلت لي قبله حياً ، فاغفر له ما ألم به مني ، واعف له ما أدبر به عني ، ولا تقفه على ما ارتكب فيّ ، ولا تكشفه عما اكتسب بيّ ، واجعل ما سمحت به من العفو عنهم ، وتبرعت به من الصدقة عليهم أزكى صدقات المتصدقين وأعلى صلات المتقربين ، وعوضني من عفوي عنهم عفوك ، ومن دعائي رحمتك حتى يسعد كل واحد منا بفضلك ، وينجو كل منا بمنك . . »[2] .

حقاً لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام نسخة لا ثاني لها في تاريخ البشرية عدا آباءه . . . لقد كان في سلوكه دنيا من الشرف والنبل والإنسانية مما يعجز عنه الوصف ، ويقصر اللفظ أن يحيط أو يلم به .

---

(١) حياة الإمام محمد الباقر ١ / ٣٥ طبقات أبن سعد ٥ / ٢٢٠ .

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء الثامن والثلاثون .

عناصره النفسية



ولم يخلق الله فضيلة أو موهبة كريمة يتميز بها هذا الإنسان إلا وهي من عناصر شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام ومن ذاتياته ، فلم يجاره أي أحد في نزعاته ، وعناصره النفسية التي كان السائد فيها سمو الآداب ، ومكارم الأخلاق ، وشدة التحرج في الدين . . . ولا يكاد يقرأ أحد سيرته الندية إلا وينحني إجلالاً وإكباراً له ، ويذهب به الإعجاب إلى غير حد ، وقد استصغر عظماء الرجال في الإسلام من المعاصرين له نفوسهم أمام الحشد الهائل من فضائله وعبقرياته ، يقول سعيد بن المسيب وهو من كبار علماء المدينة : « ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين ، وما رأيته قط إلا مقت نفسي . . »[1] .

لقد رفعته مثله العليا إلى قمة الشرفِ والمجد التي ارتقى إليها العظماء من آبائه الذين وهبوا حياتهم للإصلاح الاجتماعي ، ونتحدث ـ بإيجاز ـ عن بعض عناصره النفسية .

الحلم :

أما الحلم فهو من صفات الأنبياء والمرسلين ، وهو من أجل صفات

---

(١) تأريخ اليعقوبي ٤٦/٣

الإنسان ، وأميزها لأنه ينم عن سيطرة الإنسان على نفسه ، وعدم خضوعه لأية نـزعة من نـزعات الغضب والانتقـام ، وقد عـرفه الجـاحظ بقولـه : « إنه تـرك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك »[1] وكان الإمام زين العـابدين عليـه السلام من أعـظم النـاس حلماً ، وأكـظمهم للغيظ ، وقـد ذكـر الـرواة والمؤرخون بوادر كثيرة من حلمه كان منها ما يلي :

١ ـ كانت له جارية تسكب في يديه الماء إذا أراد الوضوء للصلاة، فسقط الابريق من يدها على وجهه الشريف فشجه، فبادرت الجارية قائلة:

ـ إن الله عز وجل يقول : « والكاظمين الغيظ » .

وأسرع الإمام قائلاً :

ـ «كظمت غيظي . . » .

وطمعت الجارية في حلم الإمام ونبله فراحت تطلب منه المزيد قائلة :

ـ «والعافين عن الناس » .

فقال لها الإمام برفق ولطف :

ـ «عفا الله عنك . . » .

وأسرعت الجارية قائلة :

ـ «والله يحب المحسنين . . » .

وقابلها الإمام بمزيد من اللطف والإحسان قائلاً :

ـ «إذهبي فأنت حرة . . »[2] .

٢ ـ ومن بـوادر حلمه أن وغـداً لئيماً استقبله بـالسب والشتم بلا سبب ، فقابله الإمام باللطف قائلاً له :

« يا فتى إن بين أيدينا عقبة كؤوداً ، فإن جزتُ منها فلا أبالي بما تقول : وإن أتحير فيها فأنا شر مما تقول . . »[3] .

---

(١) تهذيب الأخلاق (ص ١٩)

(٢) تأريخ دمشق ١٥٥/٣٦ نهاية الارب ٣٢٦/٢١

(٣) البحار ٩٦/٤٦ .

لقد كان الإمام مشغولاً بعواطفه ومشاعره نحو الله ، والفزع من أهوال دار الآخرة التي لا ينجو فيها إلا المتقون ، ولم يزعجه هذا الهراء الذي ينم عن نفس قد خسرت الأخلاق والآداب .

٣ ـ ومن آيات حلمه انه خرج من المسجد فسبه رجل فأسرع إليه الناس للانتقام منه فنهاهم (ع) عن ذلك ، وأقبل عليه قائلاً :

« ما ستره الله عنك أكثر ألك حاجة نعينك عليها ؟ . . » .

وخجل الرجل ، وود أن الأرض قد ساخت به ، ولما نظر إليه الإمام أشفق عليه فألقى إليه خميصة[1] كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، وقد قلع بذلك من نفس الرجل نزعة الاعتداء على الناس بغير حق ، وأعاده إلى طريق الحق والرشاد فكان إذا رأى الإمام بادر إليه قائلاً : إنك من أولاد الأنبياء[2] .

٤ ـ وظاهرة أخرى من حلم الإمام أن لئيماً اعتدى عليه فسبه ، فأشاح عليه السلام بوجهه عنه ، فانتفخت أوداج اللئيم ، وراح يقول له :

« إياك أعني . . » .

وأسرع الإمام قائلاً :

« وعنك أغضي . . . » .

وتركه الإمام وانصرف عنه ، ولم يقابله بالمثل[3] وقد تميز الرجل غيظاً وغضباً .

٥ ـ ومن عظيم حلمه أن رجلاً افترى عليه ، وبالغ في سبه ، فقال (ع) له :

« إن كنا كما قلتَ : فنستغفر الله ، وإن لم نكن كما قلتَ : فغفر الله لك . . . » .

---

(١) الخميصة : ثوب أسود مربع .
(٢) البداية والنهاية ١٠٥/٩ .
(٣) البداية والنهاية ١٠٥/٩ .

وبهت الرجل ، وراح يعتذر من الإمام قائلاً :

« جُعلت فداك ، ليس كما قلتُ : أنا فاغفر لي . . . » .

فقابله الإمام ببسمات مقرونة بالرضا والعفو قائلاً :

« غفر الله لك .. » .

وانصرف الرجل وكله إعجاب ، وإكبار للإمام ، وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء[1] .

٦ ـ ونادرة أخرى من حلمه فقد كان رجل من آل الزبير اعتدى عليه شخص فسبه فأعرض عنه فلما انصرف الرجل قام الزبيري فجعل يسب الإمام ويفتري عليه ، والإمام ساكت لم يجبه ، فقال له الزبيري :

« ما يمنعك من جوابي ؟ . . » .

فقال له الإمام برفق ولطف : ما منعك من جواب الرجل[2] .

هذه بعض النوادر التي ذكرها المؤرخون من حلمه ، وهي تكشف عن طاقات غير متناهية من الفضائل الماثلة فيه ، والتي رفعته إلى أعلى درجات الكمال الإنساني .

الصبر :

ومن عناصره النفسية الصبر على ما ألم به من المحن والبلوى ، فمن المقطوع به أنه لم يبتل أحد في هذه الدنيا بمثل ما ابتلي به هذا الإمام العظيم فقد طافت به الخطوب والمصائب منذ أن أدرك الحياة إلى أن فارقها ، فقد فجع بوفاة أمه وهو في المرحلة الأولى من طفولته ، ولم ينتهل من نمير حنانها ، وعطفها ، وشاهد وهو في غضون الصبا لوعة أسرته على فقد جده الإمام أمير المؤمنين الذي اغتاله المجرم عبد الرحمن بن ملجم ، وما أعقب ذلك من إجبار عمه الإمام الزكي الحسن (ع) على مصالحة الباغي ابن

(١) صفة الصفوة ٢/٥٤ .

(٢) الكامل للمبرد ٣/٨٠٥ .

الباغية معاوية بن أبي سفيان الذي هو وصمة عار وخزي على العالم العربي والإسلامي . فإنه حينما استوى على أريكة الحكم ظهرت نزعاته الجاهلية ، وحقده البالغ على الإسلام والمسلمين ، فقد سخر جميع أجهزة دولته على محو الإسلام من خارطة الوجود واتخذ أشد الإجراءات القاسية ضد أهل البيت عليهم السلام ففرض سبهم على المنابر والمآذن ، كما قام بالتصفية الجسدية لشيعتهم الذين كانوا يمثلون الوعي الديني والسياسي في الإسلام .

ولما أشرف الإمام زين العابدين (ع) على ميعة الشباب فجع بوفاة عمه الإمام الحسن ريحانة رسول الله (ص) فقد اغتاله بالسم كسرى العرب معاوية بن هند[1] ، وقد ترك ذلك حزناً عميقاً في نفس الإمام (ع) وبقية أفراد الأسرة النبوية فقد أذهلهم هذا المصاب الجلل .

ومن أعظم المحن التي مني بها الإمام أنه رأى السيوف الآثمة في صعيد كربلاء ، وهي تحصد رؤوس الصفوة من أهل بيت النبوة بصورة مفجعة لم يعهد لها نظير في تأريخ الأمم والشعوب ، وبعد مصرع تلك الكوكبة من دعاة العدالة والحق ، أحاط الجناة من أجلاف أهل الكوفة بالإمام زين العابدين عليه السلام فأحرقوا خباءه وأخبية عقائل النبوة ، وحملوه أسيراً إلى طاغية لئيم وضيع ، وهو ابن مرجانة فقابله بالشماتة والازدراء ، والإمام صابر قد أوكل أمره إلى الله ، وبعد ذلك حمل إلى لقيط آخر وهو يزيد بن معاوية ، وقد جرت عليه من المحن والخطوب ما تذوب لها لفائف القلوب ، وقد تجرع (ع) تلك الآلام القاصمة راضياً بقضاء الله ، فأي نفس كانت نفسه وأي ضمير كان ضميره ؟ أما نفسه فإنها قد رجعت عند كل هول عصف بها إلى خالق الكون وواهب الحياة ، وأما ضميره فهو الطاهر النقي الذي هو أصلب وأقوى من كل شيء .

لقد كان الصبر على المصائب من عناصره وذاتياته ، وقد أثر عنه في مدح الصبر أنه رأس طاعة الله[2] ومن عظيم صبره أنه سمع ناعية في بيته ،

(١) منحه هذا اللقب الخليفة الثاني .
(٢) الإمام زين العابدين للمقرم (ص ١٩) .

وكان عنده جماعة فنهض ليرى ماذا حدث ، فأخبر أنه قد توفي أحد أبنائه ، ورجع إلى مجلسه فأخبر أصحابه بالأمر فعجبوا من صبره ، فقال لهم : إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب ، ونحمده فيما نكره[١] وكان يرى الصبر من الغنائم والجزع من الضعف[٢] .

إن قوة شخصيته ، وعدم إنهيارها أمام الأحداث المذهلة تُعد من أندر الشخصيات على إمتداد التأريخ .

العزة والإباء :

ومن ذاتيات الإمام زين العابدين عليه السلام العزة والإباء ، فقد ورث ذلك من أبيه سيد الشهداء عليه السلام الذي مشى إلى الموت بشوق ورغبة في سبيل عزته وكرامته فقد خيره الزعانف بين السلة والذلة فاختار السلة ، وخاطبهم بقوله : والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقر لكم إقرار العبيد ، وقد تمثلت هذه الظاهرة الكريمة في الإمام زين العابدين ، فقد قال : « ما أحب أن لي ببذل نفسي حمر النعم »[٣] وقال في عزة النفس : « من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا »[٤] . ولما حمل أسيراً إلى الشام لم يكلف أحداً من الموكلين بحراسته كما لم يكلم أي أحد منهم استهانة بهم وإحتقاراً لهم .

ويقول المؤرخون : إن أحد أعمامه أخذ منه بعض حقوقه بغير حق وكان (ع) بمكة والوليد الذي كان ملكا قد حضر موسم الحج فقيل له : لو سألت الوليد أن يرد عليك حقك ؟ فقال لهم هذه الكلمة الخالدة في دنيا الشرف والإباء :

---

(١) حلية الأولياء ١٣٨/٣ .
(٢) الدر النظيم (ص ١٧٣) .
(٣) الخصال (ص ٢٤) .
(٤) البحار ١٣٥/٧٨ .

« أفي حرم الله عز وجل أسأل غير الله عز وجل !! إني آنف أن أسأل الدنيا من خالقها فكيف أسألها مخلوقاً مثلي . . . »[1] ومن عزته انه ما أكل بقرابته من رسول الله (ص) درهماً قط[2] ونقل المؤرخون نوادر كثيرة من عزته وإبائه ، وهي تكشف عن نفس عصية على الذل والضيم .

الشجاعة :

ومن عناصره النفسية الشجاعة والبسالة ، فقد كان من أشجع الناس وأربطهم جأشاً ، فهو ابن الحسين الذي هو أشجع من وُلد من صلب آدم . . . وكان من شجاعته النادرة أنه لما أدخل أسيراً على الطاغية عبيد الله بن مرجانة جابهه الطاغية بكلمات التشفي فأجابه الإمام بكلمات نارية ملتهبة كانت أشد على الطاغية اللئيم من وقع السيوف وضرب السياط ، ولم يحفل الإمام بسلطانه وجبروته ، فاستشاط ابن مرجانة غيظاً ، وانتفخت أوداجه ، وأمر بقتله ، فلم يرتهب الإمام ولم يفزع ، وإنما قال له بكل هدوء :

« القتل لنا عادة ، وكرامتنا من الله الشهادة . . » .

ولما أدخل على يزيد بن معاوية ، قابله الإمام بكل جرأة ، ونعى عليه ما اقترفه من عظيم الجرم ، وسد عليه كل ثغرة يسلك منها للدفاع عن نفسه ، وتبرير جريمته .

لقد ورث الشجاعة من أبويه علي والحسين اللذين هما من أشجع من خلق الله ، فليس في دنيا الإسلام ، ولا في غيره من يضارعهما في البطولة والبسالة وقوة العزم ، والصلابة في الدفاع عن الحق .

التجرد من الأنانية :

ومن عناصره النفسية البارزة التجرد من كل أنانية ، فلم يكن لها أي

---

(١) البحار ٤٦/٦٤ .

(٢) مجالس ثعلب ٢/٤٦٢ .

سلطان عليه ، وقد نقل المؤرخون عنه نوادر كثيرة تدلل على ذلك ، كان من بينها أنه إذا أراد السفر سافر مع قوم لا يعرفونه ليقوم بنفسه برعايتهم وخدماتهم ولا يخدمه أحد منهم ، وسافر مرة مع قوم لا يعرفونه ، فنظر إليه رجل فعرفه فصاح بالقوم :

- «ويلكم أتعرفون هذا ؟ . . »
- «لا ندري . . »
- «هذا علي بن الحسين . . »

وأسرع القوم نحو الإمام ، وجعلوا يقبلون يديه ورجليه رافعين عقيرتهم قائلين :

« أتريد أن تصلينا نار جهنم ؟ ما الذي حملك على هذا ؟ . . »

فأجابهم بصوت خافت رقيق النبرات :

« كنت قد سافرت مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله (ص) ما لا أستحق وإني أخاف أن تعطوني مثل ذلك ، فصار كتمان أمري أحب إلي . . »[1] .

وكان من تجرده من هذه الظاهرة أنه إذا مر بشارع ، ورأى ما يؤذي السائرين فيه من حجر أو مدر[2] نزل عن دابته ، ونحاه بيده الكريمة عن الطريق[3] وكان إذا سار في الطريق على بغلته لم يقل لأحد : الطريق ، ويقول : هو مشترك ، وليس لي أن أنحي عنه أحداً[4] لقد تجسدت في هذه النفس العظيمة جميع خصائص النبي (ص) التي امتاز بها على سائر النبيين والتي كان من أبرزها سمو الآداب ومكارم الأخلاق .

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢/ ١٤٥ وقريب منه في الكامل للمبرد ٢/ ٤٨٢ .

(٢) المدر : الطين الذي لا رمل فيه .

(٣) الإمام زين العابدين (ص ٧٠) .

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٠ تأريخ دمشق ٣٦/ ١٦١ .

الإحسان إلى الناس :

ومن ذاتيات الإمام زين العابدين عليه السلام الإحسان إلى الناس والبر بهم فقد كان قلبه الشريف يفيض بالرحمة والحنان عليهم ، يقول المؤرخون : إنه ما علم أن على أحد ديناً ، وله به مودة إلا أدى عنه دينه[1] وكان يبادر لقضاء حوائج الناس خوفاً من أن يقوم بقضائها غيره فيحرم الثواب ، وقد قال : إن عدوي يأتيني بحاجة فأبادر إلى قضائها خوفاً من أن يسبقني أحد إليها أو أن يستغني عنها فتفوتني فضيلتها[2] وبلغ من عطفه على الناس ما رواه الزهري قال : كنت عند علي بن الحسين (ع) فجاء رجل من أصحابه ، فقال له : إني أصبحت وعلي أربعمائة دينار دين ، ولا أتمكن من قضائها ، وعندي عيال ، ولم يكن عند الإمام في ذلك الوقت شيء من المال ليسعفه به فبكى عليه السلام وقال : أية محنة أو مصيبة أعظم على حر مؤمن من أن يرى بأخيه المؤمن خلة فلا يمكنه سدها[3] .

السخاء :

أما السخاء فكان عنصراً من عناصره ، ومقوماً من مقوماته ، وقد أجمع المؤرخون على أنه كان من أسخى الناس ، وأنداهم كفاً ، وأبرهم بالفقراء والضعفاء ، وقد نقلوا نوادر كثيرة من فيض جوده وكرمه كان منها ما يلي :

مع محمد بن أسامة :

ومرض محمد بن أسامة فعاده الإمام ، ولما استقر به المجلس أجهش محمد بالبكاء فقال له الإمام :

« ما يبكيك ؟ »

« علي دين » .

« كم هو ؟ » .

---

(١) الإمام زيد لأبي زهرة (ص ٢٤) .

(٢) ناسخ التواريخ ١٣/١ .

(٣) امالي الصدوق .

« خمسة عشر ألف دينار » .

« هي علي » .

ولم يقم الإمام (ع) من مجلسه حتى دفعها له[1] وقد أزاح عنه كابوس الدين وهمه .

إطعام عام :

ومن كرمه وسخائه أنه كان يطعم الناس إطعاماً عاماً في كل يوم في يثرب ، وذلك في وقت الظهر في داره[2] .

إعالته بمائة بيت :

ومن فيض جوده أنه كان يعول بمائة بيت بالمدينة في السر[3] وكان في كل بيت جماعة من الناس[4] .

إن السخاء يدل على طهارة النفس من الشح ، وعلى الشعور برحمة الناس وعلى شكر الله على عطائه .

حنوه على الفقراء :

ومن ذاتياته وعناصره العطف والحنان على الفقراء والمحرومين والبؤساء ، ونعرض لبعض شؤونهم معهم :

أ ـ تكريمه للفقراء :

كان عليه السلام يحتفي بالفقراء ، ويرعى عواطفهم ومشاعرهم ، فكان

---

(١) البداية والنهاية ٩/١٠٥ سير أعلام النبلاء ٤/٢٣٩ تأريخ الإسلام ٢/٢٦٦ الحلية ٣/١٤١ .
(٢) تأريخ اليعقوبي ٣/٦ .
(٣) تهذيب اللغات والأسماء (ص ٣٤٣) .
(٤) البحار ٤٦/٨٨ .

إذا أعطى سائلاً قبله لئلا يرى عليه أثر الذل والحاجة[1] وكان إذا قصده سائل رحب به وقال له : مرحباً بمن يحمل زادي إلى دار الآخرة[2] .

إن تكريم الفقير بمثل هذا النحو من المودة والعطف مما يوجب تماسك المجتمع ، وشيوع المحبة بين أبنائه .

ب ـ عطفه على الفقراء :

كان عليه السلام كثير العطف والحنان على الفقراء والمساكين ، وكان يعجبه أن يحضر على مائدة طعامه اليتامى والأضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم ، وكان يناولهم بيده[3] كما كان يحمل لهم الطعام أو الحطب على ظهره حتى يأتي باباً من أبوابهم فيناولهم إياه[4] ، وبلغ من مراعاته لجانب الفقراء والعطف عليهم أنه كره اجتذاذ النخل في الليل ، وذلك لعدم حضور الفقراء في هذا الوقت فيحرمون من العطاء فقد قال (ع) : (لقهرمانه) وقد جذ نخلاً له من آخر الليل « لا تفعل ألا تعلم أن رسول الله (ص) نهى عن الحصاد والجذاذ بالليل ، وكان يقول : الضغث تعطيه من يسأل فذلك حقه يوم حصاده[5] .

نهيه عن رد السائل :

ونهى الإمام (ع) عن رد السائل ، وحرمانه من العطاء وذلك لما له من المضاعفات السيئة التي منها زوال النعمة وفجأة النقمة فقد روى سعيد بن المسيب قال : حضرت عند علي بن الحسين يوماً حتى صلى الغداة فإذا سائل على الباب فقال (ع) : أعطوا السائل ، ولا تردوا السائل[6] وأكد الإمام عليه

(١) الحلية ١٣٧/٣ .
(٢) صفة الصفوة ٢/ ٥٣ .
(٣) البحار ٤٦/ ٦٢ .
(٤) البحار ٤٦/ ٦٢ ، وقريب منه في دائرة المعارف للبستاني ٩/ ٣٥٥ .
(٥) وسائل الشيعة ٦/ ١٣٨ .
(٦) الكافي ٤/ ١٥ .

السلام على ضرورة ذلك في كثير من أحاديثه ، فقد روى أبو حمزة الثمالي قال : صليت مع علي بن الحسين الفجر بالمدينة يوم جمعة ، فلما فرغ من صلاته نهض إلى منزله ، وأنا معه فدعا مولاة له تسمى سكينة ، فقال لها : لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمتوه فإن اليوم يوم جمعة ، فقال له أبو حمزة : ليس كل من يسأل مستحقاً ، فقال (ع) : أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقاً فلا نطعمه ، ونرده فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله ، أطعموهم ، أطعموهم ، إن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً فيتصدق منه ، ويأكل منه هو وعياله ، وإن سائلاً مؤمناً صواماً مستحقاً له عند الله منزلة اجتاز على باب يعقوب يوم جمعة عند آوان فطاره ، فجعل يهتف على بابه : أطعموا السائل ، الغريب الجائع من فضل طعامكم ، وهم يسمعونه ، قد جهلوا حقه ، ولم يصدقوا قوله : فلما يئس منهم وغشيه الليل مضى على وجهه ، وبات طاويا يشكو جوعه إلى الله ، وبات يعقوب وآل يعقوب شباعا ، بطانا ، وعندهم فضلة من طعامهم ، فأوحى الله إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة لقد أذللت عبدي ذلة استجررت بها غضبي ، واستوجبت بها أدبي ، ونزول عقوبتي وبلواي عليك ، وعلى ولدك ، يا يعقوب أحب أنبيائي إلي وأكرمهم علي من رحم مساكين عبادي ، وقربهم إليه ، وأطعمهم وكان له مأوى وملجأ ، يا يعقوب أما رحمت عبدي المجتهد في عبادته ، القانع بالسر من ظاهر الدنيا . . . أما وعزتي لأنزلن بك بلواي ، ولأجعلنك وولدك غرضاً للمصائب .

فقال أبو حمزة : جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا ؟[1] قال (ع) في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآله شباعا ، وبات السائل الفقير طاويا جائعا[2] .

إن حرمان الفقير المحتاج ، وعدم إسعافه مما يوجب زوال النعمة ، وحلول غضب الله ، وقد تواترت الأخبار عن أئمة الهدى بذلك ، فلا ينبغي

(١) هي التي رأى فيها أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين .
(٢) دار السلام ٢ / ١٤١ للنوري .

لمن أحب بقاء نعمة الله عليه أن يرد سائلاً أو يحرم بائساً وفقيراً مما هو وديعة في يده .

صدقاته :

وكان من أعظم ما يصبو إليه الإمام زين العابدين عليه السلام في حياته الصدقة على الفقراء لإنعاشهم ورفع البؤس عنهم ، وكان (ع) يحث على الصدقة ، وذلك لما يترتب عليها من الأجر الجزيل ، فقد قال « ما من رجل تصدق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء في تلك الساعة إلا أستجيب له »[1] ونعرض إلى بعض ألوان صدقاته :

أ ـ التصدق بثيابه :

كان عليه السلام يلبس أفخر الثياب فكان يلبس في الشتاء الخز فإذا جاء الصيف تصدق به أو باعه وتصدق بثمنه ، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ، ويتصدق بهما إذا جاء الشتاء[2] وكان يقول : إني لأستحي من ربي أن آكل ثمن ثوب قد عبدت الله فيه[3] .

ب ـ التصدق بما يحب :

كان عليه السلام يتصدق بما يحب ، ويقول الرواة : إنه كان يتصدق باللوز والسكر ، فسئل عن ذلك فتلا قوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »[4] وروى المؤرخون أنه كان يعجبه العنب ، وكان صائماً فقدمت له جاريته عنقوداً من العنب وقت الإفطار فجاء سائل فأمر بدفعه إليه ، فبعثت الجارية من اشتراه منه ، وقدمته إلى الإمام ، فطرق سائل آخر الباب ، فأمر

---

(١) وسائل الشيعة ٦/٢٩٦ .
(٢) تاريخ دمشق ٣٦/١٦١ .
(٣) ناسخ التواريخ ١/٦٧ .
(٤) البحار ٤٦/٨٩ .

(ع) بدفع العنقود إليه ، فبعثت الجارية من اشتراه منه ، وقدمته للإمام ، فطرق سائل ثالث الباب فدفعه الإمام إليه[1] وقد ضارع بهذه المبرة آباءه الذين قدموا قوتهم ثلاثة أيام متوالية وهم صائمون إلى المسكين واليتيم والأسير فأنزل الله في حقهم سورة ﴿ هل أتى ﴾ التي بقيت وسام الشرف لهم على امتداد الزمن حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ج ـ مقاسمة أمواله :

وقاسم الإمام أمواله مرتين فأخذ قسماً له ، وتصدق بالقسم الآخر على الفقراء والمساكين[2] وقد ضارع بذلك عمه الإمام الحسن ريحانة رسول الله (ص) فقد قاسم أمواله مرتين أو ثلاثاً .

صدقاته في السر :

وكان أحب شيء عند الإمام (ع) الصدقة في السر لئلا يعرفه أحد ، وقد أراد أن يربط نفسه ، ومن يعطيهم من الفقراء بربـاط الحب في الله ، وتوثيقاً لصلته بـاخوانه الفقراء في الإسلام ، وكان يحث على صدقة السر ويقول : إنها تطفيء غضب الرب[3] وكان يخرج في غلس الليل البهيم فيوصل الفقراء بهباته وعطاياه ، وهو متلثم ، وقد اعتاد الفقراء على صلته لهم في الليل فكانوا يقفون على أبوابهم ينتظرونه فإذا رأوه تباشروا وقالوا : جاء صاحب الجراب[4] وكان له ابن عم يأتيه بالليل فيناوله شيئاً من الدنانير ، فيقول له العلوي : إن علي بن الحسين لا يوصلني ، ويدعو عليه فيسمع الإمام ذلك ، ويغضي عنه ، ولا يعرفه بنفسه ، ولما توفي (ع) فقد الصلة فعلم أنّ الذي

---

(١) المحاسن للبرقي (ص ٥٤٧ ، فروع الكافي ٦/ ٣٥٠ .

(٢) خلاصة تهذيب الكمال (ص ٢٣١) الحلية ٣/ ١٤٠ جمهرة الأولياء ٢/ ٧١ البداية والنهاية ٩/ ١٠٥ طبقات ابن سعد ٥/ ١٩ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٧٥ أخبار الدول (ص ١١٠) نهاية الأرب ٢١/ ٣٢٦ .

(٤) البحار ٤٦/ ٨٩ .

كـان يوصله هـو الإمام فكـان يأتي إلى قبـره بـاكيـاً ومعتـذراً منـه[1] وقـال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقـدنا صـدقة السـر حتى مات علي ابن الحسين[2] . وروى المؤرخون أن جماعة من أهل المدينة كانوا يعيشون وهـم لا يـدرون من الذي يـأتيهم بمعاشهم ، فلمـا مات علي بن الحسين فقـدوا ما كانوا يؤتونه بالليل[3] وكان عليه السلام شديد التكتم في صلاته وهباته فكان إذا ناول أحداً شيئاً غطى وجهه لئلا يعرفه[4] ويقول الذهبي : إنه كان كثير الصدقة في السر[5]

وكان عليه السـلام يجعل الـطعام الـذي يوزعـه على الفقراء في جـراب ويحمله على ظهره وقد ترك أثراً عليه[5] . ويروي اليعقوبي أنه لمـا غسل الإمـام (ع) وجـد على كتفيـه جلب كجلب البعيـر[6] فقيـل لأهله مـا هـذه الآثار ؟ فقالوا : من حمل الطعام في الليل يدور به على منازل الفقراء[7]

وعلى أي حال فقد كانت صدقـاته في السـر من أعظم المبـرات ، ومن أكثرها أجراً وثواباً عند الله .

ابتغاؤه لمرضاة الله :

ولم يك الإمام عليه السلام يبتغي في بره وإحسانه إلى الفقراء إلا وجه الله والدار الآخرة ، فكـان من أبرز من عناهم الله تعـالى بقولـه : « الذين ينفقـون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »[8] .

---

(١) البحار ٤٦/١٠٠ .

(٢) صفة الصفوة ٢/٥٤ الاتحاف بحب الاشراف (ص ٤٩) .

(٣) الأغاني ١٥/٣٢٦ .

(٤) البحار ٤٦/٦٢ .

(٥) تذكرة الحفاظ ١/٧٥ .

(٦) الجلب : جمع جلبة ـ بضم الجيم وسكون اللام ـ وهي القشـرة التي تعلو الجرح عنـد البرء ، ومنه قولهم : « طارت جلبة الجرح » تاج العروس .

(٧) تأريخ اليعقوبي ٣/٤٥ .

(٨) سورة البقرة : آية ٢٦٢ .

إن عطايا الإمام وصدقاته للفقراء كانت خالصة لوجه الله غير مشوبة بأي غـرض من أغراض الـدنيا التي يؤول أمرها إلى التـراب ، وقـد روى الـزهـري قـال : رأيت علي بن الحسين في ليلة بـاردة ، وهـو يحمـل على ظهـره دقيقـاً فقلت له :

« يا ابن رسول الله ما هذا ؟ » .

وسارع الإمام قائلاً بصوت خافت :

« أعد سفراً ، أعد له زاداً أحمله إلى موضع حريز » .

« هذا غلامي يحمله عنك . . » .

فامتنع الإمام من إجابته ،وتضرع الـزهري إليـه أن يحمله هو بنفسـه عنه إلا أن الإمام أصر على ما ذهب إليه وقال له :

« ولكني لا أرفـع نفسي عما ينجيني في سفـري ، ويحسن ورودي على ما أرد عليه ، أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك . . » .

وانصرف الزهري عن الإمام ، وبعد أيام التقى به ، وقد ظن أنه كان على جناح سفر ولـم يع مراده ، فقال له :

« يا ابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذي تركته أثراً ؟ . . . » .

فأخبره عليه السلام بالسفر الذي اعد له العدة، وهيأ له الجهـاز اللازم ، انه السفر إلى دار الحق قائلاً :

« يا زهري ليس ما ظننت ، ولكنه الموت، وله استعد ، إنما الاستعـداد للموت ، تجنب الحرام ، وأبذل الندى للخير. . . »[1].

لقد كان انفـاق الإمام عليـه السلام على الفقـراء انفاقـاً منبعثاً عن طلب مرضاة الله والسعي وراء مغفرته ورضوانه .

---

(١) علل الشرايع (ص ٨٨) البحار ٤٦/٦٥ـ ٦٦ .

الزهد في الدنيا :

وظاهرة أخرى من نزعات الإمام النفسية ، وهي الزهد في الدنيا ، وعدم الاعتناء بأي مبهج من مباهجها ، لقد اعتصم الإمام بالزهد ، والاعراض الكامل عن الدنيا ، فلم تفتنه ولم تخدعه، فقد عرف واقعها وحقيقتها ، وعلم أن الإنسان مهما تقلب في الطيبات والمناعم لابد أن يتحول عن هذه الحياة ، ولا يجد بين يديه إلا ما عمل من خير ، وقد شاع في عصره أنه من أزهد الناس ، وقد سئل الزهري عن أزهد الناس فقال : علي بن الحسين[1] وقد رأى عليه السلام سائلاً يبكي فتأثر منه ، وراح يقول : « لو أنّ الدنيا كانت في كف هذا ثم سقطت منه لما كان ينبغي له أن يبكى عليها »[2] إن زهد الإمام لم يكن استكانة للفقر أو استسلاماً للعجز أو قناعة بغير عمل ، وإنما كان قائماً على التقوى، والورع عن محارم الله ، والاحتياط الشديد في أمور الدين ، شأنه في ذلك شأن جده وأبيه اللذين طلقا الدنيا، ولم يحفلا بأي شأن من شؤونها سوى ما يتصل بالحق وتأييد الفضيلة .

مع الصوفية :

ونظراً لزهد الإمام عليه السلام ، وإعراضه الكامل عن الدنيا فقد عده الصوفيون من أعلامهم ، وترجموا له ترجمة وافية[3] وجعله الكلاباذي ممن نطق بعلومهم ونشر مقاماتهم ، ووصف احوالهم قولاً وفعلاً بعد الصحابة[4] وهذا الرأي ـ فيما اعتقد ـ ليس موضوعياً ، وإنما هو سطحي للغاية فإن منهج الصوفيين رفض الحياة الدنيا رفضاً كاملاً ، والعيش في ظلمات الكهوف، ولبس أخشن الثياب ، وأكل الجشب من الطعام ، وغير ذلك من الأمور التي

---

(١) البحار ٤٦ / ٦٢.

(٢) الفصول المهمة (ص ١٩٢).

(٣) جمهرة الأولياء ٢ / ٧١ حلية الأولياء ٣ / ١٣٣ .

(٤) التعرف (ص ١١).

لم تتفق مع واقع الدين الذي لم يقنن أي حكم فيه حرجاً أو ضيقاً على الناس لقد كانت الحياة التي عاشها الإمام زين العابدين (ع) تتجافى مع التصوف ، فقد كان يلبس افخر الثياب ، ويقول الرواة : أنه كان يلبس جبة خز، ومطرف[1] خز وعمامة خز[2] وفند بعض الباحثين عن التصوف الرأي القائل أنه من الصوفية، يقول: « فزهد علي بن الحسين نفسي، وعقلي باطني، وذلك اجدى من الزهد القائم على الجوع، ولبس الصوف لأن الأول يمليه الادراك وتقيمه الفطرة العميقة إلى الحياة ، أما اللباس ففيه تظاهر . . »[2].

إن سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام صريحة واضحة في رفض المناهج الصوفية ، يقول المؤرخون : ان الإمام الرضا (ع) لما بويع بولاية العهد قال له بعض الصوفية : إن الإمامة تحتاج إلى من يأكل الجشب ، ويلبس الخشن ، وكان الإمام متكئاً فاستوى جالساً، فرد عليه هذا المقال الرخيص قائلاً له :

« كان يوسف بن يعقوب نبياً فلبس أقبية الديباج المزررة بالذهب والقباطي المنسوجة بالذهب، وإنما يراد من الإمام قسطٌ وعدل ، إن الله لم يحرم ملبوساً ولا مطعماً ، وتلا قوله تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ﴾[3].

إن هذه السيرة الندية لا تلتقي بأي حال مع التصوف الذي لا يحمل أي طابع اسلامي .

كراهته للهو :

ومن الصفات التي طبع عليها كراهته للهو ، فقد كان يبغض الحياة التافهة ويمجها ولا يميل إليها ، فلم ير في جميع فترات حياته لاهياً ولا

---

(١) المطرف : رداء من خز مربع ذي اعلام ، القاموس .
(٢) الصلة بين التشيع والتصوف ١/ ١٦٩ .
(٣) عيون أخبار الرضا .

ضاحكاً ، وقد قال (ع) : « من ضحك ضحكة مجَّ من العلم مجة » وكـان في يثرب رجل بطال يضحك منـه الناس، فقـال : قد اعيـاني هذا الـرجل ـ يعني الإمام زين العابدين ـ ان اضحكه ، واجتاز عليه الإمام وخلفه مـوليان لـه فبادر الرجل فانتزع الرداء منه ، وولى هارباً ، فلم يلتفت لـه الإمام وسـارع من كان مع الإمام فأخذوا الرداء منه ، وطرحوه عليه فقال (ع) لهم : من هذا؟ فقالوا : إنه بطال يضحك أهل المدينة منه ، فقال (ع) قولوا له : ان لله يوماً يخسر فيـه المبطلون[1] .

الإنابة إلى الله :

ومن أبرز عناصر الإمام وذاتياته الإنـابة إلى الله ، والانقـطاع إليه ، وقـد تمثل ذلك في مناجاته، وأدعيته وعباراته التي حكت شدة اتصاله بالله ، خـالق الكون وواهب الحياة .

لقد أناب الإمام إلى الله ، وأوكل جميع أموره ومهـامه إليـه تعالى، فمـا أهمـه أمر الا فـزع الى الله ، فقـد أيقن أن الالتجـاء إلى غيـره يعـود بـالخيبـة والخسران، وقد روى المؤرخون أنه اجتـاز على رجل جـالس على باب رجـل من الأثرياء فبادره الإمام قائلاً :

ـ «ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ . . » .
ـ «البلاء ـ أي الفقر والبؤس ـ »
ـ «قم فارشدك إلى باب خير من بابه ، والى رب خير لك منه . . » .

ونهض معه الرجل فأخذ به حتى انتهى بـه إلى مسجد رسـول الله (ص) وقال له : استقبل القبلة ، وصل ركعتين ، وارفـع يدك بـالدعـاء إلى الله تعالى وصـل على نبيه ، ثم ادع بـآخـر سـورة الحشـر ، وست آيـات من أول سـورة الحـديد ، وبـالآيتين في أول سورة عمـران ، ثم سل الله سبحـانه ، فـإنك لا

---

(١) أما لي الصدوق (ص ٢٢٠) .

تسأله شيئاً إلا اعطاك[1] إن من التجأ إلى الله فقد التجأ إلى حصن حريز ، وأما الالتجاء إلى غيره فإنه لا يغني شيئاً ، ولا يجدي نفعاً .

صور رائعة من إنابته :

للإمام زين العابدين عليه السلام من إنابته وعظيم اخلاصه لله تعالى ما احتوت عليه صحيفته السجادية التي هي انجيل آل محمد (ص) وهي تصور مدى تمسك الإمام وتعلقه بالله ، وفيما يلي بعضها .

١ ـ التجاؤه إلى الله

والتجأ الإمام عليه السلام بقلبه ومشاعره نحو الله ، وأوكل إليه جميع أموره صغيرها وكبيرها ، وقد أدلى بذلك في هذا الدعاء .

« اللهم أن تشأ تعف عنا فبفضلك ، وأن تشأ تعذبنا فبعدلك ، فسهل لنا عفوك بمنك ، واجرنا من عذابك بتجاوزك ، فإنه لا طاقة لنا بعدلك ، ولا نجاة لأحد منا دون عفوك ، يا غني الأغنياء ها نحن عبادك بين يديك ، وأنا افقر الفقراء إليك ، فاجبر فاقتنا بوسعك ، ولا تقطع رجاءنا بمنعك ، فتكون قد اشقيت من استسعد بك ، وحرمت من استرفد فضلك فإلى من حينئذٍ منقلبنا عنك ، وإلى اين مذهبنا عن بابك ، سبحانك نحن المضطرون الذين أوجبت اجابتهم ، وأهل السوء الذين وعدت الكشف عنهم ، وأشبه الأشياء بمشيتك ، وأولى الأمور بك في عظمتك ، رحمة من استرحمك ، وغوث من استغاث بك ، فارحم تضرعنا إليك واغننا إذ طرحنا أنفسنا بين يديك ، اللهم إن الشيطان قد شمت بنا إذ شايعناه على معصيتك ، فصل على محمد وآله ، ولا تشمته بنا بعد تركنا إياه لك ، ورغبتنا عنه إليك . . . »[2] .

ويلمس في هذا الدعاء الشريف مدى التجاء الإمام إلى الله ، واعتصامه

---

(١) الجنة الواقية والجنة الباقية للكفعمي (ص ١٩٠) مخطوط في مكتبة السيد الحكيم تسلسل (١٢٧٢).

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء العاشر .

به ، فقد اعلن عليه السلام فقره وحاجته الملحة إلى عفو الله ولطفه ، فهو يطلب منه أن لا يحرمه من فيضه وكرمه ، وأن لا يقطع رجاءه بمنعه فيكون بذلك قد شقي بعد سعادته بمعرفته، وقد أبدى عليه السلام من التذلل والتضرع أمام الخالق العظيم ما جعله من سادات المتقين والمنيبين إلى الله تعالى.

٢ ـ انقطاعه إلى الله :

وانقطع الإمام عليه السلام إلى الله انقطاعاً كاملاً ، وقد آمن إيماناً لا يخامره شك أن مصادر النفع والقوة إنما هي بيد الله تعالى وحده ، وان الالتجاء إلى غيره إنما هو التجاء إلى ما لا يملك نفعاً ولا ضراً ، ولنستمع إلى دعائه في ذلك :

« اللهم إني اخلصت بانقطاعي إليك ، واقبلت بكلي عليك ، وصرفت وجهي عمن يحتاج إلى رفدك ، وقلبت مسألتي عمن لم يستغن عن فضلك ، ورأيت أن طلب المحتاج إلى المحتاج سفه من رأيه ، وضلة من عقله ، فكم قد رأيت يا إلهي من أناس طلبوا العز بغيرك فذلوا ، وراموا الثروة من سواك فافتقروا، وحاولوا الارتفاع فاتضعوا، فصح بمعاينة أمثالهم حازم ، وفقه اعتباره ، وأرشده إلى طريق صوابه اختياره ، فأنت يا مولاي دون كل مسؤول موضع مسألتي، ودون كل مطلوب إليه ولي حاجتي ، أنت المخصوص قبل كل مدعو بدعوتي ، لا يشركك أحد في رجائي ، ولا يتفق أحد معك في دعائي ، ولا ينظمه وإياك ندائي، لك يا إلٓهي وحدانية العدد ، وملكة القدرة الصمد ، وفضيلة الحول والقوة ، ودرجة العلو والرفعة ، ومن سواك مرحوم في عمره ، مغلوب على أمره ، مقهور على شأنه ، مختلف الحالات ، متنقل في الصفات ، فتعاليت عن الأشباه والأضداد، وتكبرت عن الأمثال والأنداد، فسبحانك لا إلٓه إلا أنت . . . »[1] .

ويلمس في هذه اللوحة الذهبية مدى انقطاع الإمام إلى الله فقد أقبل بمشاعره وعواطفه نحوه تعالى ، وصرف وجهه وقلبه عن غيره من المخلوقين

---

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء السابع والعشرون .

المحتاجين إلى رفده وعطائه، فإن تعلق الرجاء والأمل بهم إنما هو سفه في الرأي ، وضلال في العقل ، وقد حصر الإمام عليه السلام جميع موارد النفع والقوة به تعالى ، وقد نعى على الذين يطلبون العزة ، والثروة، والارتفاع من غير طريق الله فإنهم جميعاً قد باءوا بالخيبة والخسران، فقد ذلوا، وافتقروا، واتضعوا ، وينبغي لكل من يروم الخير، ويطلب العزة والكرامة أن يتصل بالله وينقطع إليه فهو وحده الذي بيده ملكوت كل شيء ، وأما غيره فهو مرحوم في عمره ، مغلوب على أمره ، مقهور على شأنه ، . . . لقد احتوى هذا الدعاء على خالص الإيمان ، وجوهر التوحيد .

٣ ـ طلبه الحوائج من الله

وكان من إنابته إلى الله أنه قصر طلب حوائجه عليه تعالى وحده لأنه مصدر الفيض ومنبع الرحمة والإحسان، وكان يتوجه إلى الله ويدعوه بهذا الدعاء الشريف :

« اللهم يا منتهى مطلب الحاجات ، ويا من عنده نيل الطلبات ، ويا من لا يبيع نعمه بالأثمان، ويا من لا يكدر عطاياه بالأمتنان ، ويا من يستغنى به ، ولا يستغنى عنه ، ويا من يرغب إليه ، ولا يرغب عنه ، ويا من لا تفني خزائنه المسائل ، ويا من لا تبدل حكمته الوسائل ويا من لا تنقطع عنه حوائج المحتاجين، ويا من لا يعنيه دعاء الداعين ، تمدحت بالغناء عن خلقك ، وأنت أهل الغنى عنهم ، ونسبتهم إلى الفقر ، وهم أهل الفقر اليك، فمن حاول سد خلته من عندك ، ورام صرف الفقر عن نفسه بك ، فقد طلب حاجته في مظانها، وأتى طلبته من وجهها، ومن توجه بحاجته إلى أحد من خلقك ، أو جعل سبب نجحها دونك فقد تعرض للحرمان ، واستحق من عندك فوت الإحسان .

اللهم ولي إليك حاجة قد قصر عنها جهدي، وتقطعت دونها حيلي ، وسولت لي نفسي رفعها إلى من يرفع حوائجه إليك ، ولا يستغني في طلباته عنك ، وهي زلة من زلل الخاطئين، وعثرة من عثرات المذنبين ، ثم انتبهت

بتـذكيرك لي من غفلتي ، ونهضت بتـوفيقـك من زلتي ، ورجعت ونكصت بتسديدك عن عثرتي ، وقلت : سبحان ربي كيف يسأل محتاج محتـاجاً وأنى يرغب معدم إلى معدم ؟ فقصدتـك يا إلّهي بـالرغبـة ، وأوفدت عليـك رجائي بـالثقة بـك ، وعلمت أن كثير مـا اسألـك يسيـر في وجـدك ، وأن خـطيـر مـا استوهبك حقير في وسعك ، وأن كـرمك لا يضيق عن سؤال أحـد ، وأن يدك بالعطايا أعلى من كل يد .

اللهم فصـل على محمـد وآلـه واحملني بكـرمـك على التفضـل ، ولا تحملني بعدلك على الاستحقاق ، فما أنا بأول راغب رغب إليك فاعطيته ، وهو يستحق المنـع ، ولا بـأول سـائـل سـألـك فـافضلت عليـه ، وهــو يستـوجب الحرمان .

اللهم صلّ على محمد وآله ، وكن لدعائي مجيباً ، ومن نـدائي قريبـاً ، ولتضرعي راحماً ، ولصوتي سامعاً ، ولا تبت[1] سببي منك ، ولا توجهني في في حاجتي هذه وغيرها إلى سواك ، وتولني بنجح طلبتي وقضاء حـاجتي ونيل سؤالي قبـل زوالي عن موقفي هـذا بتيسيرك العسيـر ، وحسن تقديـرك لي في جميع الأمور ، وصل على محمد وآله صلاة دائمة نامية لا انقطاع لأبدها ، ولا منتهى لأمدها ، واجعل ذلك عوناً لي وسبباً لنجاح طلبتي ، إنك واسع كريم ،

وكان عليه السلام يذكـر حاجتـه بعد هـذا الدعـاء ثم يسجد ويقـول في سجوده. فضلك آنسني واحسانك دلني ، فاسألك بك وبمحمد وآلـه صلواتك عليهم أن لا تردني خائباً . .[2].

وحكى هـذا الدعـاء الشريف شـدة تمسك الإمـام عليـه السـلام بـالله ، وعظيم إيمانـه به ، فقـد ايقن بأنـه تعالى وحـده هو المنتهى في طلب حـوائج العباد ، وهو الذي يفيض عليهم نعـمـه والطافه ، ولا يبيعها عليهم بـالأثمان ، ولا يكـدرهـا عليهم بـالمن ، فبعـطايـاه يستغني الإنسـان ، وإن جميـع الخلق

---

(١) البت : القطع .

(٢) الصحيفة السجادية : الدعاء الثالث عشر .

محتاجون إلى نيله ، ومفتقـرون إلى كرمـه ، وهو تعـالى في غنى عنهم ، وإن الذكي العارف هو الذي يلتجيء إلى الله تعالى وحده في سد خلته وصرف الفقر عن نفسه ، واما من توجه إلى غيره في سد خلتـه وقضاء حـوائجه فقـد تعرض للحـرمان ، وفـوت على نفسه الاحسـان . . . ويأخـذ الإمام عليـه السـلام في التضرع والتذلل إلى الله تعالى طالباً منه المغفرة والرضوان وعرض (ع) إلى أن خطير ما سأله من الله إنما هو يسير بالنسبة إليـه تعالى فهو ذو الهبـات والعطايـا الـواسعـة ، وإن يـده تفيض بـالجـود والكـرم وهي أعلى من كـل يـد كـريمـة وسخية .

حقاً لقد كـان هذا الإمـام العظيم سيـد العارفين ، وإمـام المتقين ، وإن في ادعيته ومناجـاته مـع الله أرصدة هـائلة لإصـلاح النفـوس من الغي والتمرد والشر.

٤ ـ تضرعه إلى الله :

ومن انـابته إلى الله أنـه كان دائم التضـرع والاستكانة إليه تعـالى ، وكان يدعو بهذا الدعاء الشريف :

« الهي احمدك ـ وأنت للحمد أهل ـ على حسن صنيعك إلي ، وسبـوغ نعمائك علي ، وجـزيل عـطائك عنـدي ، وعلى ما فضلتني بـه من رحمتك ، واسبغت[١] علي من نعمتك، فقد احسنت عندي ما يعجز عنه شكـري، ولولا احسانك إلي وسبوغ نعمائك علي ما بلغت احراز حظي ، ولا اصلاح نفسي، ولكنك ابتدأتني بالإحسان، ورزقتني في أمـوري كلها الكفـاية، وصـرفت عني جهد البلاء ، ومنعت مني محذور القضاء .

الهي : فكم من بـلاء جاهـد[٢] قد صـرفت عني ، وكم من نعمة سـابغة أقررت بها عيني ، وكم من صنيعة كريمة لك عنـدي ، أنت الذي اجبت عنـد الاضطرار دعوتي ، وأقلت عند العثار زلتي ، وأخذت لي من الأعداء بـظلامتي

(١) اسبغت : اي أوسعت علي .
(٢) جاهد : أي موجب للمشقة .

إلٓهي ، ما وجدتك بخيلاً حين سألتـك ، ولا منقبضاً حين اردتـك بل وجـدتك لدعائي سامعاً ، ولمطالبـي معطياً ، ووجدت نعماك علي سابغـة في كل شـأن من شـأني ، وكل زمـان من زماني ، فـأنت عنـدي محمـود ، وصنيعـك لـدي مبرور ، تحمدك نفسي ولساني وعقلي حمداً يبلغ الوفاء وحقيقـة الشكر حمـداً يكون مبلغ رضاك عني ، فنجني من سخطك يا كهفي حين تعييني المذاهب ، ويـا مقيلي عثرتي ، فلولا سترك عورتي لكنت من المفضـوحين ، ويا مؤيـدي بـالنصر ، فلولا نصـرك إياي لكنت من المغلوبين ، ويـا من وضعت له الملوك نير[1] المذلة على اعناقها ، فهم من سطواته خائفون ويا أهل التقوى ، ويـا من لـه الأسمـاء الحسنى ، اسـألـك أن تعفـو عني ، وتغفـر لي ، فلست بـريئـاً فاعتذر ، ولا بذي قوة فأنتصر ، ولا مفر لي فافر ، واستقيلك عثراتي ، واتنصل إليك من ذنوبي التي قد أوبقتني ، وأحاطت بي فأهلكتني ، منها فـررت إليك رب تائباً ، فتب علي متعـوذاً ، فاعـذني مستجيراً ، فـلا تخذلني سـائلاً ، فـلا تحرمني معتصماً ، فلا تسلمني داعياً ، فلا تردني خائباً ، دعوتك يا رب مسكيناً مستكيناً[2] مشفقاً[3] خائفاً ، وجلاً فقيراً ، مضطراً إليك ، اشكو إليـك يا إلهي ضعف نفسي عن المسارعة فيما وعدته أولياءك والمجانبة عما حذرته اعداءك ، وكثرة همومي ، ووسوسة نفسي .

إلٓهي : لم تفضحني بسريرتي ولم تهلكني بجـريرتي ، ادعـوك فتجيبني وإن كنت بطيئاً حين تـدعوني ، وأسألك كل ما شئت من حوائجي ، وحيث مـا كنت وضعت عندك سري فلا ادعو سواك ، ولا ارجو غيرك لبيك ، لبيـك تسمع من شكا إليك ، وتلقى من تـوكل عليـك ، وتخلص من اعتصم بك ، وتفـرج عمن لاذ بك .

الهي : فـلا تحرمني خيـر الآخرة والأولى لقلة شكـري ، واغفـر لي مـا تعلم من ذنـوبي ، إن تعـذب فـأنـا الـظالم المفـرط المضيـع الآثم المقصـر

---

(١) النير : الخشبة التي توضع على عنق الثور وقت الحرث .
(٢) المستكين : المتضرع .
(٣) مشفقاً : أي خائفاً أشد الخوف .

المضجع[١] المغفل حظ نفسي ، وان تغفر فأنت ارحم الراحمين . . »[٢].

ويفيض هذا الدعاء الشريف بالاستكانة والتذلل والخضوع إلى الله الخالق العظيم ، وقد حمد الإمام (ع) عن إيمان ومعرفة واخلاص، واعترف بعجزه عن أداء شكره لما أولاه من النعم ولما اسدى عليه من الألطاف التي لا تحصى وطلب منه بعد ذلك المغفرة والعفو مستجيراً ومعتصماً به ، وقد ابدى عليه السلام من الخوف والوجل من الله تعالى مما يهز أعماق النفوس ودخائل القلوب .

٥ ـ تذلله أمام الله :

وذاب الإمام عليه السلام في محبة الله ، واخلص له كأعظم ما يكون الاخلاص ، وقدتضرع إليه ، وتذلل أمامه ، وكان من مظاهر تذلله أنه كان يدعو بهذا الدعاء الشريف .

« رب افحمتني ذنوبي ، وانقطعت مقالتي ، فلا حجة لي ، فأنا الأسير ببليتي ، المرتهن بعملي ، المتردد في خطيئتي ، المتحير عن قصدي ، المنقطع بي ، قد أوقفت نفسي موقف الاذلاء المذنبين ، موقف الاشقياء المتجرئين عليك ، المستخفين بوعدك ، سبحانك أي جرأة اجترأت عليك ، وأي تغرير غررت بنفسي ؟ ! مولاي ارحم كبوتي لحر وجهي ، وزلة قدمي ، وعد بحلمك على جهلي ، وباحسانك على اساءتي ، فأنا المقر بذنبي ، المعترف بخطيئتي ، وهذه يدي وناصيتي[٣] استكين بالقود من نفسي ، ارحم شيبتي ، ونفاد أيامي ، واقتراب أجلي ، وضعفي ، ومسكنتي ، وقلة حيلتي ، مولاي : وارحمني إذا انقطع من الدنيا أثري ، وامحى من المخلوقين ذكري ، وكنت من المنسيين كمن قد نسي ، مولاي وارحمني عند تغير صورتي وحالي إذا بلي جسمي ، وتفرقت اعضائي ، وتقطعت اوصالي ، يا غفلتي عما يُراد

(١) المضجع : المتهاون في الأمر والمقصر فيه .
(٢) الصحيفة السجادية الدعاء الخمسون .
(٣) الناهية مقدم الرأس .

بي ، مولاي وارحمني في حشري ونشري[1] واجعل في ذلك اليوم موقفي ، وفي احبائك مصدري ، وفي جوارك مسكني يا رب العالمين . . »[2] .

لقد استوعب الإيمان بالله قلب الإمام ، وميول فطرته ، وحركات جسمه ، ولفتات جوارحه وسلوكه ، وبهذا الرصيد الهائل من الإيمان استحق أن يكون إمام المتقين ، وسيد المنيبين . . وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض عناصره النفسية .

---

(١) الحشر : هو الجمع ، والنشر هو الرجوع إلى الحياة بعد الموت .

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء الثاني والخمسون .



إمامته



الإمامة عنصر حي في تكوين الفكر السياسي والحضاري في الإسلام ، وهي جزء لا يتجزأ من رسالة الإسلام الخالدة ، بل هي جوهره وحقيقته ، والإسلام بدونها يفقد ذاتياته وفعالياته ، ويكون جامداً وشبحاً مبهماً وعصباً خالياً من الحياة والإحساس ونعرض ـ بإيجاز ـ إلى شؤون الإمامة ، وإلى إمامة الإمام زين العابدين (ع) وإلى ما أثر عنه في هذا المجال .

معنى الإمامة :

أما معنى الإمامة ومدلولها فهي ـ كما حددها علماء الكلام وغيرهم ـ عبارة عن القيادة الروحية والزمنية للأمة لشخص تتوفر فيه النزعات الخيرة ، والصفات الشريفة والتي من أهمها العدالة ، ونكران الذات ، والتجرد من الأنانية ، وعدم الانقياد للعواطف وسائر المؤثرات الخارجية سوى ما يتصل منها بالحق والعدل .

ضرورة الإمامة :

أما الإمامة في الإسلام فهي ضرورية لا غنى للحياة الإسلامية عنها ، وهي عنصر أساسي في إقامة العدل الاجتماعي ، وبناء مجتمع أفضل لا ظل فيه للغبن الاجتماعي ، ولا شبح فيه للفقر والحرمان .

إن الإمـامة في الإسـلام تعنى بتوزيـع خيرات الله على عبـاده ، وتوفيـر الفرص المتكافئة لهم ، وحمايتهم من الاستغـلال والاستعباد، وهي من أسمى ما توصل إليه تطور الفكر البشري في عالم الحكم والسياسة ، وهي إنما تحقق الوسيلة التي خططها لها الإسلام فيما إذا تقلدها الأئمة المتقون من عترة النبي (ص) الـذين هم عدلاء الـذكر الحكيم، وسفن نجـاة هذه الأمـة ، وسنوضـح ذلك في البحث التالي .

النبي والإمامة :

والشيء المؤكـد الـذي لا خفـاء فيـه أن النبي (ص) قـد رتب الخـلافـة والإمامة من بعده ولم يترك الأمة من بعده فوضى تتعرض للأخطار والأزمـات ، فقد نص على خلفائه الأئمة الإثني عشر من أهل بيتـه ، وفي طليعتهم سيدهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد نصبه علمـاً ومرجعـاً للأمـة ، ولم يكن (ص) بذلك مدفوعاً بأي عاطفة من العواطف التقليدية ، وإنمـا قلد الإمام (ع) هذا المنصب الخطير لكفاءته ومواهبه وعبقرياته وشدة احتياطه في الدين ، فقد اجمع علماء المسلمين على اختـلاف ميولهم ومـذاهبهم على أن الإمام أعلم من في الأمـة بعـد النبي (ص) وأدراهم بشؤون الشـريعـة وأحكـام الـدين ، واعرفهم بالشؤون السياسية والعسكـرية والإجتمـاعية لا سيمـا وأن الأمة كـانت جديدة عهـد بـالإســلام فهي تحتـاج قبل كـل شيء إلى بيان محـاسن أحكام الشريعة الإسـلامية، وتفصيـل ما تبتلى بـه من العقود والايقـاعات والمـواريث والحـدود ، وغيرهـا ، ومن الطبيعي أن عـدم ترشيحـه لهذا المنصب إنمـا هو حرمان للأمة من التمتع بمواهب هذا العملاق العظيم ، وهذا مما يمتنع عقـلاً صـدوره عن النبي (ص) الحريص على أمتـه الرؤوف بهـا كمـا قـال تعـالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بـالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة : آية ١٢٨ .

أما النصوص التي أثرت عن النبي (ص) في النص على إمامة الإمام أمير المؤمنين (ع) فهي مجموعة ضخمة أجمع الرواة والمؤرخون على روايتها، ومن أهمها حديث الغدير المتواتر الذي نصب فيه النبي (ص) الإمام خليفة من بعده ، وأمر المسلمين بمبايعته ، وقال فيه: « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ». وقد سئل الإمام زين العابدين عليه السلام عن معنى هذا الحديث فقال (ع) ، إن رسول الله (ص) أخبرهم الإمام من بعده[1] .

وقد عرض السادة العلماء من الشيعة في كتبهم الكلامية وغيرها إلى إقامة الدولة العلمية التي لا تقبل الجدل والشك على إمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام وأنهم أوصياء النبي (ص) وخلفاؤه، وأن سيرتهم ومآثرهم تدلل على إمامتهم، ونيابتهم العامة عن الرسول (ص) كما تدلل على أنهم يملكون أرصدة هائلة من العلم والتقوى والحريجة في الدين لا يملكها أحد غيرهم .

سمو منزلة الأئمة :

أما سمو منزلة الأئمة ، وعظيم مكانتهم عندالله فلا يعرفها أحد سواهم ، وقد تحدث عنها الإمام زين العابدين عليه السلام في مواضع متعددة كان منها :

١ ـ **قال عليه السلام** : « أن الله خلق محمداً وعلياً واحد عشر من ولده من نور عظمته ، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق ، يسبحون الله ويقدسونه، وهم الأئمة من ولد رسول الله صلّى الله عليه وآله . . »[2]. وقد اعتقد بذلك حكيم المعرة أبو العلاء المعري الذي كان يسيء الظن بالناس سوى ائمة أهل البيت (ع) يقول :

والشخوص التي اضاء سناها قبل خلق المريخ والميزان
قبل أن تخلق السموات وتؤمر افلاكهن بالدوران

---

(١) معاني الأخبار للصدوق (ص ٦٥).
(٢) أصول الكافي ١ / ٥٣٠ .

٢ ـ قال عليه السلام : « نحن أئمة المسلمين ، وحجج الله على العالمين ، وسادة المؤمنين ، وقادة الغر المحجلين ، وموالي المؤمنين ، ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ، وبنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها ، ولم تخل الأرض منذ خلق الله الأرض من حجة لله مشهور أو غائب مستور ، ولا تخلو الأرض إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها ، ولولا ذلك لم يعبد الله . . . » .

فانبرى إليه شخص قائلاً :

« كيف ينتفع الناس بالغائب المستور؟ . . »

ورد الإمام عليه هذه الشبهة ببرهان قاطع قائلاً :

« كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب . . . »[١] .

أجل ـ والله ـ إن أئمة أهل البيت هم أئمة المسلمين ، وحجج الله على الخلق اجمعين ، ولولاهم ما عبد الله عابد ، ولا وحده موحد، ولا اقيمت للإسلام سنة ، ولا دانت له كلمة ، ولا رفعت له شعائر ، وهم الآية المخزونة ، والباب المبتلي به الناس من عرفهم ودان لهم بالولاء فقد نجا، ومن جحدهم وخالفهم فقد هوى .

٣ ـ قال عليه السلام : « رب صل على أطايب أهل بيته ـ يعني أهل بيت النبي ـ الذين اخترتهم لأمرك، وجعلتهم خزنة علمك ، وحفظة دينك ، وخلفاءك في أرضك ، وحججك على عبادك ، وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيراً بإرادتك ، وجعلتهم الوسيلة اليك ، والمسلك إلى جنتك ، رب صل على محمد وآله صلاة تجزل لهم بها من نحلك[٢] وكرامتك ، وتكمل لهم الأشياء من عطاياك ونوافلك[٣] وتوفر عليهم الحظ من عوائدك ، وفوائدك ،

---

(١) أمالي الصدوق (ص ١١٢) ينابيع المودة ١٤٧/٣ ، روضة الواعظين (ص١٧٠) .

(٢) نحلك : جمع نحلة وهي العطية .

(٣) نوافلك : جمع نافلة وهي العطية الفاضلة .

رب صل عليه وعليهم صلاة لا أمد في أولها ، ولا غاية لأمدها ، ولا نهاية لآخرها ، رب صل عليهم زنة عرشك ، وما دونه ، وملء سمواتك وما فوقهن وعدد أراضيك، وما تحتهن وما بينهن ، صلاة تقربهم منك زلفى ، وتكون لك ولهم رضى ، ومتصلة بنظائرهن أبداً»[1] .

لقد اختار الله أئمة أهل البيت عليهم السلام لأداء رسالته ، وجعلهم خزنة لعلمه وحفظة لدينه ، وخلفاء في أرضه ، وحججاً على عباده ، ووهبهم المنزلة الرفيعة عنده فهم الوسيلة إليه ، والمسلك إلى جنته، والأبواب لرحمته .

٤ ـ **قال عليه السلام** : « نحن خلفاء الأرض ، ونحن أولى الناس بالله ، ونحن المخصوصون في كتاب الله ، ونحن أولى الناس بالله، ونحن الذين شرع الله لنا دينه ، فقال : « شرع لكم في الدين ما وصى به نوحاً ، والذين أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى » فقد علمنا، وبلغنا واستودعنا علمهم ونحن ورثة الأنبياء ، ونحن ذرية أولي العلم، أن أقيموا الدين بآل محمد (ص) ولا تتفرقوا فيه . . . »[2] .

أما أنتم ـ يا أئمة اهل البيت ـ فخلفاء الله في أرضه، وأولى الناس بالله ، قد شرع الله لكم دينه ، واصطفاكم لتبليغه ، وارتضاكم لأداء أمانته ، لا يجحد فضلكم إلا كافر أو منحرف عن الدين ، ولا يحبكم إلا كل مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان .

لزوم الرجوع إلى الأئمة :

ويجب الرجوع إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام في أخذ الأحكام الدينية منهم لأنهم أدرى بشؤون الشريعة ، واعرف بأحكام الدين من غيرهم ، وقد أكد الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك بقوله :

---

(١) الصحيفة السجادية الدعاء السادس والأربعون .

(٢) ناسخ التواريخ ٤٩/٢، البحار.

« إن دين الله عزّ وجلّ لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة ، والمقاييس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم ، فمن سلم لنا سلم ، ومن اقتدى بنا هدي ، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك ، ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي انزل السبع المثاني ، والقرآن العظيم ، وهو لا يعلم . . » لقد اثبتت البحوث الفقهية والأصولية التي ذكرها علماء الشيعة الإمامية بطلان التمسك بالقياس والاستحسان في شؤون الشريعة الإسلامية ، وان علم الفقه علم توقيفي يجب التعبد فيه بالنص ، فإن فقد النص أو كان مجملاً أو معارضاً بمثله فيجب الرجوع إلى الأصول العملية ، وهي التي يرجع إليها الشاك في مقام العمل ، أما الرجوع إلى غير ذلك من القياس ونحوه فإنه لا يجزي ومؤاخذ عليه .

وجوب طاعة الإمام :

واهتم الإسلام اهتماماً بالغاً باطاعة الإمام لأن إقامة النظام الاجتماعي في الإسلام يرتبط بها ويتوقف عليها سير الحياة الاسلامية، كما أن في التمرد وعدم الطاعة اخلالاً في النظام ، وإشاعة للفوضى ، وتعريض الأمة للأزمات والأخطار، وقد أكد الإمام زين العابدين عليه السلام على لزوم طاعة الإمام ، وذكر أهميته وسمو منزلته ، قال (ع) :

« اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام اقمته علماً لعبادك ، ومناراً في بلادك ، بعد أن وصلت حبله بحبلك ، والذريعة إلى رضوانك وافترضت طاعته ، وحذرت معصيته، وأمرت بامتثال أوامره، والانتهاء عند نهيه ، والا يتقدمه متقدم ولا يتأخر عنه متأخر ، فهو عصمة اللائذين ، وكهف المؤمنين ، وعروة المستمسكين وبهاء العالمين .

اللهم فاوزع لوليك شكر ما انعمت به عليه ، وأوزعنا مثله فيه ، وآته من لدنك سلطاناً نصيراً ، وافتح له فتحاً يسيراً، واعنه بركنك الأعز ، وأشدد

---

(١) ناسخ التواريخ ١/١٤١ نقلةً عن اكمال الدين .

ازره ، وقو عضده، وراعه بعينك ، واحمه بحفظك، وانصره بملائكتك وامدده بجندك الأغلب ، واقم به كتابك ، وحدودك وشرائعك ، وسنن رسولك صلواتك اللهم عليه وآله ، وأحي به ما أماته الظالمون من معالم دينك ، واجل به صدأ الجور عن طريقتك ، وابن به الضراء من سبيلك ، وأزل به الناكبين عن صراطك ، وامحق به بغاة قصدك عوجاً ، والن جانبه لأوليائك ، وابسط يده على أعدائك ، وهب لنا رأفته ، ورحمته وتعطفه وتحننه ، واجعلنا له سامعين مطيعين ، وفي رضاه ساعين ، وإلى نصرته والمدافعة عنه مكنفين[1] وإليك وإلى رسولك صلواتك اللهم عليه وآله بذلك متقربين . . . » واعرب الإمام عليه السلام في هذه القطعة من كلامه عن وجوب طاعة الإمام ، وحرمة مخالفته ، ولزوم السير على خطه ومنهاجه، كما اعرب (ع) عن سمو منزلة الإمام وأهميته فهو عصمة اللائذين، وكهف المؤمنين ، وعروة المستمسكين وقد دعا عليه السلام له بالحفظ والنصر والفتح المبين ، والتسديد لإقامة فرائض الدين ، وإحياء سنن الرسول (ص) التي أجهزت عليها القوى الظالمة والمنحرفة عن الإسلام .

عصمة الإمام :

من الصفات الأولية التي يجب أن تتوفر في الإمام العصمة من كل دنس وإثم سواء ما ظهر منها أم ما بطن ، ويجب أن يتخلى عن ذلك في جميع مراحل حياته ، وقد أدلى الإمام زين العابدين عليه السلام بضرورة اتصاف الإمام بالعصمة قال (ع) :

« إن الإمام منا لا يكون إلا معصوماً . . » .

وسئل عن معنى المعصوم فقال :

« وهو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو والقرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة»[2] وأنكر من لا حريجة له في الدين على الشيعة قولهم : بعصمة

(١) الصحيفة السجادية : الدعاء السادس والأربعون .

(٢) تأريخ التربية عند الإمامية (ص ١٩) .

أئمتهم ، وعابوا عليهم ذلك ، وقد قاسوا الأئمة بسائر الناس الذين يخضعون لأهوائهم وشهواتهم، وكان ذلك ناشئاً إما عن حقد على أهل البيت أو عن جهل بمعرفتهم، فمن المؤكد أن من يمعن النظر في سيرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام فإنه يؤمن إيماناً لا يخامره أدنى شك في أنهم سلام الله عليهم يملكون ارصدة هائلة من التقوى والإيمان تمنعهم من اقتراف أي ذنب، الم يقل سيد العترة الإمام أمير المؤمنين (ع) :

« والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت افلاكهن على أن اعصي الله في جلب شعيرة اسلبها من فم جرادة ما فعلت » اليست هذه هي العصمة؟ ولكن الناقدين للشيعة قد وضعوا حجاباً على عقولهم فهم لا يفقهون .

إمامته :

وبعد الحديث إلى ما أثر عن الإمام زين العابدين عليه السلام في شؤون الإمامة نعود إلى البحث عن إمامته ، وهي من البديهيات التي لا تقبل الجدل والشك ، وذلك لما يتمتع به من النزعات الكريمة والصفات الرفيعة التي لا توجد إلا عند من امتحن الله قلبه للإيمان ، وقد ألمحنا إلى بعضها عند البحث عن سلوكه ، وعناصره النفسية ومما يدلل على إمامته ما يلي :

النص على إمامته :

ويعتبر النص على الإمام ضرورياً عند الشيعة الإمامية في تعيين الإمام ، ونفي الريب عنه ، وقد تواترت النصوص على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام ، ونشير إلى بعضها :

١ ـ إن الرسول الأعظم (ص) عين أوصياءه وخلفاءه الأثني عشر من بعده، وصرح بأسمائهم ، ومنهم الإمام زين العابدين (ع) وقد تضافرت النصوص بذلك[١] .

---

(١) كفاية الأثر (ص٣١١) الغيبة للطوسي (ص ١٠٥) مختصر البصائر (ص ٣٩) سليم بن قيس (ص ٩٤) .

٢ ـ إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد نص على إمامة حفيده زين العابدين وذلك حينما حضرته الوفاة فقد اوصى إلى ابنه الزكي الإمام الحسن عليه السلام وعينه من بعده ودفع إليه مواريث الأنبياء ، واشهد على ذلك ولده الإمام الحسين ومحمد بن الحنفية وجميع أولاده ورؤساء شيعته وقال للحسين : إنك القائم بعد اخيك الحسن ، وإن رسول الله (ص) يأمرك أن تدفع المواريث من بعدك إلى ولدك زين العابدين فإنه الحجة من بعدك، ثم أخذ بيد زين العابدين وكان طفلاً وقال له : إن رسول الله (ص) يأمرك أن توصي بالإمامة من بعدك إلى ولدك محمد الباقر واقرئه من رسول الله ومني السلام »[١].

٣ ـ ونص الإمام الحسين على إمامة ولده زين العابدين عليه السلام ، وعهد إليه بالإمامة من بعده، فقد روى الزهري قال : كنت عند الحسين بن علي إذ دخل علي بن الحسين الأصغر ـ يعني زين العابدين ـ فدعاه الحسين وضمه إليه ضماً ، وقبل ما بين عينيه ، والتفت الزهري إلى الإمام الحسين فقال له :

« يا ابن رسول الله إن كان ما نعوذ بالله أن نراه فإلى من؟ . . » .

فقال الحسين :

« علي ابني هذا هو الإمام أبو الأئمة . . »[٢] .

وروي مثل هذا الحديث عبد الله بن عتبة[٣] ويقول رواة الشيعة : إن الإمام الحسين عليه السلام لما اراد السفر إلى العراق استودع المواريث التي تسلمها من أخيه الحسن عند السيدة أم سلمة زوجة النبي (ص) وأمرها أن تدفعها من بعده إلى زين العابدين، ولما رجع الإمام السجاد إلى يثرب بعد شهادة أبيه سلمته أم سلمة الوديعة التي عندها[٤] وهي من إمارات الإمامة

---

(١) أصول الكافي باب النص على أمامة الحسن .

(٢) روضات الجنات ٢٤٧ـ ٢٤٨ .

(٣) إثبات الهداة ٥/ ٢١٤ .

(٤) أصول الكافي باب النص على إمامة علي بن الحسين .

وولائها ، وكثير من أمثال هذه النصوص قد دونتها كتب الشيعة القدامى ، ولو لم تك هذه النصوص لكانت مثله العليا ، وصفاته الرفيعة تدلل على امامته .

الإمامة في عصره :

أما الإمامة في إطارها الفكري حسب العقيدة الشيعية فإنها لم تتبلور في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام فلم يك يفهمها أو يدين بها إلا أقل القليل من خواص الشيعة من الذين صهرت نفوسهم تعاليم الإسلام وقيمه ، يقول الحسين بن عبد الوهاب : « وصارت الإمامة ـ في عصر الإمام ـ مكتومة مستورة إلا ممن اتبعه من المؤمنين[1] .

لقد احاطت بالإمام مجموعة من العوامل الرهيبة دعته ألا يتمكن من إظهار المعطيات الضخمة للإمامة ، وبيان الحق أصولاً وفروعاً إلا لطائفة قليلة من خواصه وشيعته[2] وذكر الكشي في ترجمة سعيد بن المسيب أن الفضل إ بن شاذان قال : « لم يكن في زمان علي بن الحسين عليه السلام في أول أمره إلا خمسة انفس : سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، ويحيى بن ام الطويل ، وأبو خالد الكابلي ، فهؤلاء كانوا يعرفون الإمامة ويدينون بها دون غيرهم[3] .

لقد اعتزل الإمام عن الناس فترة من الزمن كما اعتزل جده الإمام أمير المؤمنين أيام الخلفاء ، وصار جليس بيته ، وقد ضرب الإمام زين العابدين لنفسه بيتاً من الشعر خارج المدينة[4] مشتغلاً بالعبادة ونشر العلم ، وقد حقن بذلك دمه ودماء البقية الباقية من أهل البيت ، وأنقذهم من شر ذلك الحكم الأسود الذي امتحن به المسلمون امتحاناً عسيراً .

وعلى أي حال فإن المجتمع الإسلامي لم يع الأهداف المشرقة التي

(١) عيون المعجزات (ص ٣١) مخطوط.
(٢) روضات الجنات ٤/ ٤٤ .
(٣) رجال الكشي .
(٤) فرحة الغرى (ص ٣٣).

تنشدها الإمامة ، كما لم يع الصفات الرفيعة التي يجب أن تتوفر في الإمام من العصمة ووفور العلم ، والدراية التامة بما تحتاج إليها الأمة في مجالاتها السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، ويعود السبب في ذلك إلى اضطهاد الشيعة رسمياً ، وتصفيتهم جسدياً ، واخلاد الكثير منهم في ظلمات السجون ، وحجبهم عن الإمام زين العابدين (ع) وذلك من قبل الدولة الأموية العفنة التي ما تركت لوناً من ألوان الظلم والجور إلا صبته على المسلمين .

إمامة محمد بن الحنفية :

ووصف المؤرخون محمد بن الحنفية بأنه من رجال الدهر في العلم والزهد والعبادة والشجاعة، وهو من أفضل أولاد الإمام أمير المؤمنين بعد الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام[1] وكان ورعاً واسع العلم[2] وقد مالت إليه القلوب[3] .وقد دانت بإمامته فرقة من المسلمين سُميت بالكيسانية ، وهي من أقدم الفرق الإسلامية ، وقد منحوه لقب المهدي الذي بشر به النبي الأعظم (ص) وهو قائم آل محمد (ص) الذي اخبر عنه (ص) بأنه سيخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً ، وكان ممن دان بإمامته الشاعر الإسلامي الكبير السيد الحميري ، وقد اعتقد ببقائه حياً ، وأنه مقيم بجبل رضوى ، وعنده عسل وماء ، وقد نظم ذلك في هذه الأبيات الذائعة :

ألا ان الأئمة من قريش	ولاة الحق اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط[4] سبط إيمان وبرٍ	وسبط[5] غيبته كربلاء

(١) عمدة الطالب .
(٢) الحلية ٣/١٧٤ .
(٣) الحلية ٣/١٧٤ .
(٤) اراد بالسبط الإمام الزكي ريحانة رسول الحسن عليه السلام .
(٥) أراد بالسبط الإمام الحسين أبا الأحرار وسيد الشهداء .

وسبط[1] لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زماناً برضوى عنده عسل وماء[2]

إلا أنه لما تبين له الحق رجع عن معتقده ، ودان بإمامة الأئمة الطاهرين (ع) وقد اعلن ولاءه للإمام الأعظم جعفر الصادق عليه السلام بقوله :

تجعفرت باسم الله والله أكبر وأيقنت ان الله يعفو ويغفر[3]

الإمام مع محمد بن الحنفية :

ومن المؤكد أن محمد بن الحنفية كان يدين بالإمامة للإمام زين العابدين (ع) ، ولم يدع الإمامة لنفسه ، وإنما ادعاها الناس له ، وحاشا أن يدعي ما ليس له ، فقد كان من أشد الناس ورعاً ، ومن أكثرهم تحرجاً في الدين ، وكان على بينة من أمر الإمامة في أنها ليست بيد أحد ، وإنما أمرها إلى الله فهو الذي يهبها لمن يشاء من عباده ، وهو على يقين أن إمام عصره هو الإمام زين العابدين عليه السلام ، ويقول الرواة : أنه جرى بينه وبين الإمام نزاع صوري حول الإمامة فاتفقا على المضي إلى الكعبة ليتحاكما عند الحجر الأسود، وهو الذي يكون حاكماً بينهما وإنما اتفقا على ذلك لبلورة الرأي العام ، وإرجاع القائلين بإمامة محمد إلى الحق ، وسافرا الى مكة فلما انتهيا إليها توجها نحو البيت الحرام ، واستقبل الإمام الحجر الأسود ، ودعا بهذا الدعاء :

« اللهم إني أسألك باسمك المكتوب في سرادق المجد ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق البهاء ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العظمة وأسألك باسمك المكتوب في سرادق الجلال ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العزة ، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق القدرة ،

---

(١) أراد به محمد بن الحنفية .
(٢) الأغاني ٧/٢٤٥ وفي البداية والنهاية ٩/٣٨ أن هذه الأبيات إلى الشاعر كثير .
(٣) الأغاني ٧/٢٣٥ .

وأسألك بأسمك المكتوب في سرادق السرائر، السابق ، الفائق الحسن النضير ، رب الملائكة الثمانية ، ورب العرش العظيم ، وبالعين التي لا تنام ، وبالاسم الأكبر ، الأكبر ، وبالاسم الأعظم ، الأعظم، الأعظم ، المحيط بملكوت السموات والأرض وبالاسم الذي اشرقت به الشمس ، وأضاء به القمر ، وسخرت به البحار ، ونصبت به الجبال، وبالاسم الذي قام به العرش والكرسي ، وبأسمائك المقدسات المكرمات، المكنونات ، المخزونات في علم الغيب عندك اسألك بذلك كله أن تصلي على محمد وآل محمد . . . »[١] .

وانطق الله الحجر الأسود ، من باب الاعجاز كما انطق عيسى بن مريم وهو في المهد صبي- بان الامام هو زين العابدين وهو حجة الله على خلقه ، وأمينه على دينه ، واستبان بذلك الحق[٢] ورجع حشد من القائلين بإمامة محمد إلى الامام زين العابدين ، وقد نظم هذه الحادثة الشاعر الكبير السيد الحميري :

علي وما كان مع عمه	برد الإمامة عطف العنان
وتحكيمه حجراً أسوداً	وما كان من نطقه المستبان
بتسليم عم بلا مرية	إلى ابن أخ منطقا باللسان
شهدت بذلك صدقاً كما	شهدت بتصديق آي القران
علي إمامي لا أمتري	وخليت قولي بكان وكان[٣]

رجوع الكابلي إلى الحق :

وكان أبو خالد الكابلي يدين بإمامة محمد بن الحنفية إلا أنه رجع عن ذلك لما استبان له الحق ، ودان بإمامة الإمام زين العابدين عليه السلام ، والسبب في ذلك حسبما يقول الرواة : أنه قال لمحمد بن الحنفية : « جعلت

---

(١) أدعية الفاضل المقداد (ص ١٨) مخطوط في مكتبة السيد الحكيم .
(٢) بحر الأنساب (ورقة ٤٢) إثبات الوصية (ص ١١٩).
(٣) محمد بن الحنفية (ص ٧٢) نقلاً عن ديوان الحميري المخطوط .

فداك ان لي حرمة ومودة وانقطاعاً ، اسألك بحرمة رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) الا اخبرتني أنت الإمام الذي فرض الله طاعته على خلقه ؟».

فأجابه محمد جواب المؤمن الذين لا يبغي إلا الحق قائلاً :

« يا أبا خالد حلفتني بالعظيم ، الإمام علي بن الحسين (ع) علي وعليك ، وعلى كل مسلم . . . ».

وأسرع أبو خالد نحو الإمام علي بن الحسين فاستأذن عليه فأذن له ، وقابله بحفاوة وتكريم قائلاً له :

« مرحباً بك يا كنكر ، ما كنت لنا بزائر ما بدا لك ؟». .

وانبرى أبو خالد بخضوع ، واجلال قائلاً :

« الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفت إمامي . . »

وأسرع الإمام قائلاً :

« كيف عرفت إمامك ؟ . . . »

« إنك دعوتني باسمي الذي سمتني به أمي !!! وقد كنت في عمياء من أمري ، ولقد خدمت محمد بن الحنفية دهراً من عمري ، لا أشك أنه الإمام حتى سألته ، بحرمة الله ، وحرمة الرسول ، وحرمة أمير المؤمنين ، فأرشدني إليك ، وقال : هو الإمام علي وعليك ، وعلى الخلق كلهم . . . »[1].

ونظم السيد الحميري هذه الحادثة بقوله :

عجبت لكر صروف الزمان ... وأمر أبي خالد ذي البيان
ومن رده الأمر لا ينثني ... إلى السيد الطهر نور الجنان[2]

من دلائل امامته :

وكان من دلائل إمامته اخباره بوقوع بعض الأحداث في المستقبل ،

---

(٢) الكشي (ص ٧٩- ٨٠).
(٣) محمد بن الحنفية (ص ٧٢).

وقد تحققت بعد عشرات السنين كما أخبر عنها ، وتعتبر هذه الظاهرة ـ عند الشيعة الإمامية ـ من دلائل الإمامة ، فإن الاخبار عن المغيبات من مكنونات علم الله تعالى ، ولا يمنحها الا لأنبيائه وأوصيائهم ، ومما يدلل على ذلك أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخبر عن كثير من الملاحم ، وقد تحققت كلها على مسرح الحياة ، فقد أخبر عن مصارع أهل النهروان، ومصرع ذي الثديَّة ، وأخبر عن زوال دولة بني أمية، واخبر عن كثير من الأحداث ما لوجمعت لكانت كتاباً ، وقد تحقق كل ما أخبر عنه ، وهو القائل لأصحابه :

« سلوني قبل أن تفقدوني . . . فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء بينكم وبين الساعة إلا أخبرتكم به » . . .

وقال مرة لاصحابه :

« لو شئت لأخبرتكم بما يأتي ويكون من حوادث دهركم ، ونوائب زمانكم ، وبلاء أيامكم، وغمرات ساعاتكم . . . ».

. . وعلق الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود على ذلك بقوله : « ولم يكن ـ أي الإمام ـ يرجم بظن ، ولا يستقرىء النجوم ، ولا يلتجىء للكهانة ، وهو يرى بعينه إلى ما وراء المعلوم المنظور ليأتيهم بشذرة من المجهول المستور .

إنما كان ينطق عن حق لا شبهة فيه لأنه كان عندئذٍ يطلعهم على بعض علم محمد (ص) الذي اختصه به من دون الناس. . »[1].

إن الله تعالى قد منح أئمة أهل البيت عليهم السلام طاقات مشرقة من العلوم ، وخصهم بمكنونات غيبه للتدليل على إمامتهم وقيادتهم الروحية والزمنية لهذه الأمة ، وممن خصه الله بهذه الفضيلة الإمام زين العابدين عليه السلام ، فقد اخبر عن كثير من الملاحم التي تحققت بعده ، وكان من بينها :

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب ٨/١٦٤ .

١ ـ اخباره عن شهادة زيد :

من الملاحم التي أخبر عنها الإمام عليه السلام أنه أخبر عن شهادة ولده الشهيد العظيم زيد ، فقد روى أبو حمزة الثمالي قال : كنت أزور علي بن الحسين في كل سنة مرة وقت الحج ، فأتيته سنة ، وكان على فخذه صبي فقام عنه ، واصطدم بعتبة الباب فخرج منه دم ، فوثب اليه الإمام ، وجعل ينشف دمه ، وهو يقول له :

« إني اعيذك بالله أن تكون المصلوب بالكناسة . . . » .

وبادر أبو حمزة قائلاً :

« بأبي أنت وأمي أي كناسة؟ . . . »

« كناسة الكوفة . . . »

« جعلت فداك أيكون ذلك؟ . . »

« أي والذي بعث محمداً بالحق إن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية الكوفة مقتولاً ، مدفوناً، منبوشاً، مصلوباً بالكناسة، ثم ينزل فيحرق، ويدق ويذرى في البر. . . ».

وبهر أبو حمزة وراح يسأل عن اسم هذا الغلام قائلاً ؟ . . . » .

« جعلت فداك ما اسم هذا الغلام ؟ . . . » .

« زيد » . .

وتحقق كل ما أخبر به الإمام فلم تمض حفنة من السنين حتى ثار زيد الشهيد الذي هو من ألمع الثائرين الأحرار فقد ثار في وجه الطغيان الأموي مطالباً بتحقيق العدالة الإسلامية ، وتحقيق حقوق الإنسان فاجهزت عليه القوى الظالمة فأردته قتيلاً وانبرى بعض انصاره فدفنه الا أن الحكومة الأموية اخرجته من قبره ، وصلبته، في كناسة الكوفة ، وبقي أربع سنين مصلوباً على جذع وهو ينير للناس طريق الحرية والشرف والكرامة ، ثم انزلوه بعد ذلك وأحرقوه ، وذروا قسماً من رماده في ماء الفرات ليشربه الناس حسبما يقوله الأمويون .

---

(١) فرحة الغري .

لقد تحقق جميع ما أخبر به الإمام في شأن ولده العظيم ، ومن المؤكد أن ذلك من علائم الإمامة ودلائلها .

٢ ـ إخباره عن حكومة عمر بن عبد العزيز :

من الملاحم التي أخبر عنها الإمام عليه السلام أنه أخبر عن عمر بن عبد العزيز وانه سيلي أمور المسلمين ولا يلبث الا يسيراً حتى يموت[١] وتحقق ذلك فقد ولي عمر الخلافة وبقي زمناً يسيراً ووافاه الأجل المحتوم .

٣ ـ إخباره عن حكومة العباسيين :

وأخبر عليه السلام عن حكومة العباسيين ، وقد استشف من وراء الغيب أن حكمهم يقوم على الظلم والجور وعلى الفسق والفساد ، وسيخرجون المسلمين عن دينهم ، وستثور عليهم كوكبة من العلويين مطالبين بتحقيق العدل والحق بين الناس، وأنهم سينالون الشهادة على أيدي أولئك الطغاة، وهذا نص حديثه : روى الإمام أبو جعفر عن أبيه أنه قال : أما أن في صلبه ـ أي صلب ابن عباس ـ وديعة ذرية لنار جهنم وسيخرجون أقواماً من دين الله أفواجاً ، وستصبغ الأرض من فراخ آل محمد (ص) تنهض تلك الفراخ في غير وقت، وتطلب غير مدرك ، ويرابط الذين آمنوا، ويصبرون حتى يحكم الله[٢] .

لقد ثارت كوكبة من العلويين المجاهدين على طغاة بني العباس ، فقد رفع علم الثورة محمد وإبراهيم على المنصور الدوانيقي الذي هو اعتى ملك في تاريخ هذا الشرق ، وكذلك ثار الحسين بن علي صاحب واقعة فخ على الهادي العباسي ، وثار غير هؤلاء من أبناء الرسول (ص) وقد رفعوا راية الحرية والكرامة مطالبين بحقوق المظلومين والمضطهدين، وقد سقوا بدمائهم الزكية شجرة الإسلام التي جهد العباسيون الأقزام على قلعها .

---

(١) دلائل الإمامة (ص ٨٨) بصائر الدرجات .
(٢) إثبات الهداة ٢٤١/٥ .

هـذه بعض الملاحم التي أخبـر الإمام زين العـابدين عليـه السـلام عن وقوعها، وقد تحققت كما أخبر (ع).

لقد منح الله زين العابدين العلم الـذي لا يحد كمـا وهب آباءه ، وكـان عليه السلام يكتم علومه ، ولا يذيعهـا بين الناس لئـلا يفتتن به الجهـال ، وقد اعلن ذلك بقوله :

إني لأكـتـم من علمي جـواهـره ... كيـلا يـرى الحق ذو جهـل فيفتتنـا
يـا رب جـوهـر علم لـو أبـوح بـه ... لقيـل لي أنت ممن يعبـد الـوثنـا
ولاستـحـل رجـال مسلمـون دمي ... يـرون اقبـح مـا يأتـونـه حسنـا
وقـد تـقـدم في هـذا أبـو حـسن ... إلى الحسين وأوصى قبله الحسنـا[1]

---

(١) منهاج العابدين (ورقة ٢) مصور لأبي حامد الغزالي ، الإتحاف بحب الأشراف (ص ٥٠) روح المعاني للألوسي ٦/ ١٩٠، روضات الجنات ٣/١٣٣ .

انطباعات عن شخصيته



واتفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين عليه السلام ، واجمعوا على الاعتراف له بالفضل ، وأنه نسخة فريدة في هذه الدنيا لا يدانيه أحد في فضائله وعلومه وتقواه وكان من مظاهر تبجيلهم له ، أنهم كانوا يتبركون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم[1] ولم يقتصر تعظيمه على الذين صحبوه أو التقوا به ، وإنما شمل المؤرخين على اختلاف ميولهم وأهوائهم فقد رسموا بإعجاب وإكبار سيرته، وأضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة، والنعوت الشريفة ، وفيما اعتقد أنه لا يكاد يقرأ أحد سيرته العاطرة إلا وينحني إجلالاً وإكباراً أمامه ، فليس أحد يجاريه في نزعاته الخيرة ، وسائر صفاته العظيمة ، فهو قائم في ضمير كل انسان شريف يدين بالولاء للمثل العليا ويعتز بإنسانيته . . . ونعرض إلى انطباعات المعاصرين له ، والمؤرخين عن شخصيته .

آراء معاصريه :

وأدلى المعاصرون للإمام زين العابدين عليه السلام من العلماء ، ومختلف الشخصيات بانطباعاتهم عن شخصيته ، وكلها إكبار وتعظيم له سواء

---

(١) العقد الفريد ٢/٢٥١ .

في ذلك من أخلص له في الود أو أضمر له العداوة والبغضاء، وفيما يلي كلماتهم .

١ ـ جابر الأنصاري :

وكان الصحابي العظيم جابر بن عبدالله الأنصاري منقطعاً لأهل البيت (ع) ومن الموالين لهم ، وقد أعرب عن إعجابه البالغ بالإمام (ع) قائلاً :

« ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين . . . »[١].

حقاً لم ير في أولاد الأنبياء مثل الإمام علي بن الحسين في تقواه وورعه ، وشدة انابته إلى الله ، كما لم يبتل أحد منهم بمثل ما ابتلي به فقد داهمته المحن والخطوب في أكثر أيام حياته .

٢ ـ عبدالله بن عباس :

كان عبد الله بن عباس على جلالة شأنه وتقدمه في السن يجل الإمام زين العابدين وينحني خضوعاً وتكريماً له ، فإذا رآه قام تعظيماً ، ورفع صوته قائلاً : مرحباً بالحبيب الحبيب[٢].

٣ ـ الزهري :

كان محمد بن مسلم القرشي الزهري الفقيه أحد الأئمة الأعلام ، وعالم الحجاز والشام[٣] ممن أخلص للإمام (ع) وهام بحبه ، وقد أدلى بمجموعة من الكلمات القيمة أعرب فيها عما يتصف به (ع) من القيم الكريمة والمثل العظيمة ، وهذه بعض كلماته :

(أ) « ما رأيت هاشمياً مثل علي بن الحسين . . »[٤]

(ب) « ما رأيت قرشياً أورع ، ولا أفضل منه . . . »[٥] .

---

(١) حياة الإمام محمد الباقر ١/.

(٢) تأريخ دمشق ١٤٧/٣٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩.

(٤) خلاصة تهذيب الكمال م ٧/ق/ ٢ الأغاني ٣٢٥/١٥.

(٥) البداية والنهاية ١٠٤/٩.

(ج) « ما رأيت قرشياً افضل من علي بن الحسين . . . »[1] .

(د) « لم أدرك بالمدينة أفضل منه»[2] .

(هـ) « لـم أدرك في أهـل البيـت رجـلاً كـان أفضـل مـن علي بـن الحسين . . . »[3] .

(و) « مـا كان أكثـر مجالستي من علي بن الحسين، ما رأيت أحـداً أفقـه منه »[4] .

(ز) « كان علي بن الحسين أفضل أهل زمانه ، وأحسنهم طاعة »[7] .

(ح) « ينادي مناد في القيامة ليقم سيد العابدين في زمانـه فيقوم علي بن الحسين . . »[6] أشـار بذلـك إلى الحـديث النبـوي المشهـور « إذا كـان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ليقم سيد العابدين ، فيقوم »[7] .

(ط) « سئـل الـزهـري عن أزهـد النـاس في الـدنيـا ؟ فقـال : علي بن الحسين »[8] .

ي : قـال سفيان بن عيينـة : قلت للزهـري : لقيت علي بن الحسين ؟ قـال: نعم لقيته، ومـا لقيت أحداً أفضـل منه ، والله مـا علمت له صـديقاً في السر ، ولا عدواً في العلانية ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال لأني لم أر أحداً، وإن كان يحبه إلا وهو لشدة معرفته بفضله يحسـده ، ولا رأيت أحداً وإن كـان يبغضه إلا وهو لشدة مداراته له يداريه . . »[9] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٣٧، تأريخ الإسلام ٢/٢٦٦ الكاشف ٢/٢٨٢ طبقات الفقهاء ١٠/٣٤.

(٢) تهذيب اللغات والأسماء القسم الأول (ص ٣٤٣).

(٣) الجرح والتعديل القسم الأول من المجلد الثالث (ص ١٧٨).

(٤) خلاصة تهذيب م ٧/ق ٢/ ورقة ٣٣٦ تذكرة الحفاظ ١/٧٥ شذرات الذهب ١/١٠٥ العبر في خبر من غير ١/١١١.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/٢٣٨، تأريخ دمشق ١٢/١٩.

(٦) روضات الجنات ٧/٢٤٨ كشف الغمة .

(٧) تأريخ دمشق ٣٦/١٤٠.

(٨) بحار الأنوار .

(٩) علل الشرائع (ص ٨٨) وسائل الشيعة ٥/٥٤١ بحار الأنوار ٤٦/٦٤.

ومن المؤكد أن الزهري لم يدل بهذه الكلمات إلا بعد اتصاله الوثيق بالإمام ، ومعرفته التامة بما اتصف به من المثل العليا والقيم الكريمة ، وقد بلغ من إعجابه به أنه إذا ذكره بكى وقال : زين العابدين[1] .

٤ ـ سعيد بن المسيب :

وكان سعيد بن المسيب من الفقهاء البارزين في يثرب ، ويقول الرواة : انه ليس من التابعين من هو أوسع علماً منه[2] وقد صحب الإمام زين العابدين ووقف على ورعه ، وشدة تحرجه في الدين ، وقد سجل ما رآه وبهر به من مثل الإمام بهذه الكلمات :

(أ) « ما رأيت أورع منه ـ أي من علي بن الحسين ـ . . »[3] .

(ب) « ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين ، وما رأيته قط إلا مقت نفسي ، ما رأيته ضاحكاً يوماً قط . . . »[4] .

(ج) قال رجل لسعيد : ما رأيت أورع من فلان ، فقال له سعيد : هل رأيت علي بن الحسين ؟ قال لا : قال : ما رأيت أورع منه . . . »[5] .

(د) كان سعيد جالساً وإلى جانبه فتى من قريش فطلع الإمام زين العابدين فسأل القرشي سعيداً عنه ، فأجابه سعيد :

« هذا سيد العابدين علي بن الحسين . . . »[6] .

(هـ) « ما رأيت أودع وأورع من زين العابدين علي بن الحسين . . »[7]

وألمّت هذه الكلمات التي أدلى بها هذا الفقيه ببعض صفات الإمام (ع) ،

---

(١) تأريخ دمشق ١٢ / ١٩ كشف الغمة ٢ / ٢٨٨ روضات الجنات ٢٤٦/٧ .

(٢) تهذيب التهذيب ٤ / ٨٥.

(٣) العبر في خبر من غبر ١ / ١١١ خلاصة تهذيب الكمال (ص ٢٣١) .

(٤) تأريخ اليعقوبي ٤٦/٣ .

(٥) سير أعلام النبلاء ٣٨/٤ كشف الغمة ٣٩٢/٣ .

(٦) الفصول المهمة (ص ١٨٩) .

(٧) جمهرة الأولياء ٢ / ٧٤ .

من الورع والطاعة لله ، والوداعة في سلوكه وسيرته مع الناس ، وهي من أنـدر الصفات واعزها وأعظمها عند الله .

٥ ـ زيد بن اسلم :

كـان زيد بن أسلم في طليعـة فقهاء المـدينة ، كمـا كان من المفسـرين للقـرآن الكريم[١] وقـد اختص بالإمـام زين العابـدين عليه السـلام ، وبهر في فضله وورعه وتقواه وانطلق يعرب عن إعجابه البالغ بمثـل الإمام وقيمـه ، وقد أدلى بعدة كلمات كان منها ما يلي :

(أ) « « مـا جـالسـت في أهـل القبـلة مثـله ـ أي مثـل عـلي بـن الحسين ـ . . . »[٢] .

(ب) « مـا رأيـت مثـل عـلي بن الـحسيـن فـيـهـم ـ أي فـي أهـل البيت . . »[٣] .

(ج) « ما رأيت مثل علي بن الحسين فهماً حافظاً . . »[٤] .

ومعنى ذلك أن الإمام أفضل مسلم ، وأفضل هـاشمي في عصره ، كمـا أنه لم ير مثله في فهمه وسرعة إدراكه وحفظه ، وهذا مما تؤكد عليه الشيعة من أن الإمام لابد أن يكون أفضل أهل عصره في عبقرياته ومواهبه .

٦ ـ حماد بن زيد :

أما حماد بن زيد الجهضي فهو من أبـرز فقهاء البصـرة ، وكان من أئمـة المسلمين[٥] وقد اتصل بالإمام زين العابدين عليه السلام ، وراح يبدي إعجابه بمثله قائلاً :

« كان علي بن الحسين أفضل هاشمي أدركته . . . »[٦] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٣/٣٩٥ .
(٢) تاريخ دمشق ١٢/ ق ١/ ورقة ١٩ .
(٣) تاريخ دمشق ١٢ / ق١/ ورقة ١٩ .
(٤) طبقات الفقهاء ٢/٣٤ .
(٥) تهذيب التهذيب ٣/٩ .
(٦) تهذيب اللغـات والأسماء القسم الأول (ص ٣٤٣) .

لقد امتاز الإمام على جميع الهاشميين في عصره بسمو آدابه وأخلاقه وكماله .

٧ ـ يحيى بن سعيد :

أما يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني فكان من كبار التابعين، ومن أفاضل الفقهاء والعلماء[١] وقد صحب الإمام وعرف فضله ، وأدلى بحقه هذه الكلمة القيمة :

« سمعت علي بن الحسين وكان أفضل هاشمي رأيته . . . »[٢] .

لقد ساد الإمام عليه السلام جميع الهاشميين بإيمانه وتقواه وغزارة علمه وفضله .

٨ ـ مالك :

قال مالك : « لم يك في أهل البيت مثل علي بن الحسين. . . »[٣].

٩ ـ أبو بكر بن البرقي :

قال أبو بكر بن البرقي : « كان علي بن الحسين أفضل زمانه. . . »[٤].

لقد كان الإمام أفضل أهل زمانه بعلمه وتقواه وطاعته لله ، وليس أحد في عصره من يضارعه في كماله وسمو ذاته .

١٠ ـ أبو زرعة :

قال أبو زرعة : « ما رأيت أحداً كان أفقه منه ـ أي من علي بن الحسين ـ »[٥].

---

(١) تهذيب التهذيب ٢٢٢/٨١ .

(٢) تهذيب الكمال م ٧/ ق٢/ ورقة ٣٣٦ ، تهذيب اللغات والأسماء القسم الأول (ص ٣٤٣) التأريخ الكبير القسم الثاني من الجزء الثالث (ص٢٦٦) طبقات ابن سعد ٢١٤/١ الجرح والتعديل ق/١ من المجلد الثالث (ص ١٧٨).

(٣) سير اعلام النبلاء ٢٣٨/٤ ، وفي تهذيب التهذيب ٣٠٥/٧ « لم يك في أهل بيت رسول الله مثل علي بن الحسين » .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣٨/٤ .

(٥) تأريخ دمشق ١٢/ ق١/ الورقة ١٨ .

١١ ـ أبو حازم :

قال أبو حازم : « ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين »[١] وقال أيضاً : « ما رأيت أفقه من علي بن الحسين »[٢].

١٢ ـ أبو حاتم الأعرج :

قال ابو حاتم الأعرج : « ما رأيت هاشمياً افضل من علي بن الحسين »[٣] .

١٣ ـ أبو حمزة الثمالي :

قال ثابت بن أبي صفية : المشهور بأبي حمزة الثقة المأمون « ما سمعت بأحد من الناس كان أزهد من علي بن الحسين إلا ما بلغني من علي بن أبي طالب »[٤] وقال مرة أخرى : « ما سمعت بأحد قط كان أزهد من علي بن الحسين إذا تكلم في الزهد ووعظ ابكى من بحضرته . . »[٥].

١٤ ـ الإمام الصادق :

قال حفيده الإمام الصادق (ع) « ما من ولده ـ أي ولد الإمام أمير المؤمنين (ع) ـ ولا أهل بيته أحد اقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين (ع))»[٦] ، لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام أشبه الناس بجده الإمام أمير المؤمنين في عبادته وعلمه وسائر مواهبه ، فقد كان صورة لذلك العملاق العظيم الذي أضاء سماء الدنيا بعلومه ومعارفه .

١٥ ـ عمر بن عبد العزيز :

وكان عمر بن عبد العزيز ممن يقيم الإمام زين العابدين (ع) ويعرف سمو مكانته وقد التقى (ع) به فلما انصرف من عنده التفت عمر إلى اصحابه قائلاً :

---

(١) تأريخ دمشق ١٢/ ورقة ١/ ورقة ١٩ .
(٢) تهذيب الكمال م ٧/ق ٢/ ورقة ٣٣٦ كشف الغمة ٣/ ٢٩٢ .
(٣) تذكرة الحفاظ ١/٧٥ شذرات الذهب ١/١٠٥ العبر في خبر من غبر ١/١١١ تأريخ الإسلام٢/ ١٦ .
(٤) سفينة البحار ١/٥٧١ .
(٥) أمالي المفيد (ص ١١٧) .
(٦) هامش ديوان الحميري (ص ٣٦٢) .

« من أشرف الناس؟» .
فانبرى المرتزقة من أصحابه قائلين :
« أنتم . . » .
فصارحهم بالحقيقة قائلاً :

« كلا إن أشرف الناس هذا القائم ـ يعني الإمام زين العابدين ـ من عندي ، من أحب الناس أن يكونوا منه ، ولم يحب أن يكون من أحد . . . »[1].

ومعنى ذلك أن الإمام (ع) قد بلغ من الشرف منزلة لم يبلغها أحد من الناس على اختلاف طبقاتهم ، فقد احبوا أن يكون لهم صلة أو اتصال به وذلك لسمو منزلته ومكانته الإجتماعية في حين أنه لا يرغب ولا يحب أن يكون من أحد لأنه دون منزلته وبلغ من إكبار عمر للإمام أنه لما بلغه وفاته أبنه بهذه الكلمة القيمة :

« ذهب سراج الدنيا ، وجمال الإسلام ، وزين العابدين . . »[2].

١٦ ـ يزيد بن معاوية :

ولم يقتصر الاعتراف بالفضل للإمام زين العابدين على شيعته ، وإنما تعدى إلى اعدائه ومبغضيه ، فهذا يزيد بن معاوية الذي هو من ألد أعداء أهل البيت (ع) قد اعترف بمواهبه وعبقرياته وذلك حينما الح عليه أهل الشام في أن يخطب الإمام ، فابدى الطاغية مخاوفه منه قائلاً :

« إنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً إنه لا ينزل إلا بفضيحتي ، وفضيحة آل أبي سفيان . . . » .

وقد اعرب بذلك عن مقدرات الإمام العلمية ومواهبه الخطابية ، وأنه يملك من قوة البيان وروعة الأستدلال ما يستطيع به أن يغير الموقف في غير صالح حكومته .

---

(١) بحار الأنوار ٤٦/٣ـ ٤ ، وقريب منه جاء في محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ١٦٦/١ .
(٢) تأريخ اليعقوبي ٤٨/٣ .

١٧ ـ عبد الملك بن مروان :

وهـذا عدو آخـر من اعداء أهـل البيت وهـو عبـد الملك بن مـروان قـد اعترف بفضل الإمام وذلك حينما التقى به ، ورأى ذبوله من كثرة العبادة فقال له منبهراً :

« لقـد بان عليـك الاجتهـاد ، ولقـد سبق لـك من الله الحسنى ، وأنت بضعـة من رسول الله (ص) قـريب النسب ، وكيد السبب ، وأنـك لـذو فضـل عـظيم على أهـل بيتـك وعصـرك ، ولقـد أوتيت من الفضـل والعلم، والـدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ، ولا قبلك إلا من مضى من سلفك . . . »[١] .

١٨ ـ منصور الدوانيقي :

وثمة عدو آخر لأهل البيت (ع) قد اشاد بفضل الإمام عليـه السلام وهـو المنصور الدوانيقي ، فقـد قال في رسـالته التي بثهـا إلى ذي النفس الزكيـة . ولم يولد فيكم . أي في العلويين ـ بعد وفاة رسول الله (ص) مولـود مثله ـ أي مثل زين العابدين[٢] .

١٩ ـ الفرزدق :

وكان الفرزدق شاعر العرب الأكبر ممن غمرته قيم الإمـام زين العابـدين عليه السلام وآمن بسمو ذاته وقـداستـه ، وقـد انبرى في رائعتـه الخالـدة التي ارتجلها للإشادة بمواهب الإمـام وسائـر نزعـاته وصفـاته ، وذلـك حينما انكـر الطاغية هشام معرفته أمام أهل الشام لئلا يفتتنوا بمعرفته، فعرفه الفـرزدق لهم بقوله :

هـذا الذي تعـرف البـطحـاء وطـأتـه ... والبيت يعـرفـه والـحـل والحـرم

هـذا ابـن خيـر عبـاد الله كـلهـم ... هـذا التقي النقي الـطاهـر الـعلم

إذا رأتـه قـريش قـال قـائلهـا: ... إلى مكـارم هـذا ينتهي الـكـرم

يرقى إلى ذروة المجد التـي قصرت ... عن نيلهـا عـرب الإسـلام والعجم

---

(١) بحار الأنوار ٤٦/٧٥.

(٢) الكامل للمبرد ٢/٤٦٧ العقد الفريد ٥/٣١٠.

يكـاد يمسكـه عـرفـان راحتـه | ركن الحـطيم إذا مـا جـاء يستلم
يغضي حيـاءً ويغضى من مهـابتـه | فـلا يكـلم إلا حـيـن يـبتـسـم
بـكفـه خـيـزران ريـحـهـا عبـق | من كف اروع فـي عـرنينـه شمـم
من جـده دان فضـل الأنبيـاء لـه | وفـضـل امتـه دانـت لـه الأمـم
ينشق نـور الهـدى عن نـور غـرتـه | كالشمس تنجاب عن اشراقها الـظلم
مـشتـقـة من رسـول الله نـبعـتـه | طـابت عنـاصـرهـا والخيم والشيم
هـذا ابن فـاطمـة إن كنت جاهله | بـجـده أنبـيـاء الله قـد خـتمـوا
الله شـرفـه قـدمـاً وفـضـله | جـرى بـذاك لـه في لـوحـه القلم

لقد كان الإمام اعظم صورة رآها الفرزدق في دنيا الشرف والفضائل فهام بحبه والولاء له ، وسنذكر تمام هذه القصيدة في البحوث الآتية .

٢٠ ـ الحميري :

أمـا السيد الحميري فقد وقف مـواهبـه لأهـل البيت الـذين هم معـدن الـرحمة والفضيلة في الأرض، فلم يتـرك مأثـرة من مـآثـرهم ، ولا فضيلة من فضائلهم إلا نظمها في البديع من شعره، وقد مدح الإمـام زين العابـدين عليه السلام بهذا البيت :

ورابـعـهـم عـلي ذو الـمـسـاعـي | بـه لـلديـن والـدنـيـا قـوام[١]

٢١ ـ ابن شهاب :

قال ابن شهاب :

« ما رأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين[٢] .

٢٢ ـ قال ابن زيد :

كان أبي يقول : ما رأيت مثل علي بن الحسين اعظم قط[٣] .

هؤلاء بعض المعاصرين للإمام (ع) بما فيهم من محبين ومبغضين له قد اجمعوا على أن الإمام صرح من صروح التقوى والعلم في الإسلام .

(١) ديوان الحميري (ص ٣٦).
(٢) المعرفة والتاريخ للبسوي ١/ ٣٦٠.
(٣) المعرفة والتاريخ للبسوي ١/ ٣٦٠ .

المؤرخـون :

أمـا المؤرخون على اختـلاف أفكارهم وميـولهم فقد اتفقـوا على تبجيل الإمام (ع) وتعظيمه، وأنه قد أوتي من المواهب والعبقريات ما رفعته إلى قمـة الشرف التي انتهى إليها العظماء من آبائه ، وفيما يلي بعض ما قالوه :

١ ـ ابن عساكر :

قال الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بـابن عساكـر في ترجمة الإمام (ع) : « كان علي بن الحسين ثقة مأمـوناً ، كثيـر الحديث ، عالياً رفيعاً ورعاً . . . »[1] وهـذه الصفات من أثمن الصفـات وأجـلها في دنيـا الإسلام .

٢ ـ ابن سعد :

قـال محمـد بن سعـد : « كـان علي بن حسين ثقـة ، مـأمـونـاً ، كثيـر الحديث ، عالياً رفيعاً ، ورعاً»[2] لقد اتفق ابن عساكر مع ابن سعد في اضفاء هذه الصفات الرفيعة على الإمام (ع).

٣ ـ ابن حجر العسقلاني :

قال ابن حجر العسقـلاني : « علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، زين العابدين، ثقة ثبت ، عابد ، فقيه ، فاضل ، مشهور ، قال ابن عيينـة عن الزهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه »[3].

٤ ـ ابن حجر الهيثمي :

قال شهاب الـدين احمد بن حجـر الهيثمي : « وزين العابـدين هذا هـو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادة . . . وأضاف يقـول: وكان زين العـابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح . . . »[4] لقد كان زين العـابدين قـد خلف أباه

---

(١) تأريخ دمشق ٣٦/ ١٤٢.

(٢) الطبقات الكبرى ٥/٢٢٢.

(٣) تقريب التهذيب ٢/٣٥.

(٤) الصواعق المحرقة (ص ١١٩).

وورث اعز صفاتـه من العلم والزهـد والعبادة مضـافاً إلى مـا كان يتمتـع به من عظيم التجاوز والعفو عمن اساء إليه .

٥ ـ الذهبي :

قـال محمـد بن أحمـد بن عثمـان الـذهبي : « كـانت لـه ـ أي لـزين العابدين ـ جلالة عجيبة وحق له، والله ذلك ، فقد كان أهلاً لـلإمامـة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله . . . »[١] .

لقد اعترف الذهبي بالواقع المشرق الذي تمتع به الإمام عليه السـلام ، وأنـه أهل لـلإمامـة العظمى وللقيـادة الروحيـة والزمنيـة لهذه الأمـة ، وهي من أسمى المراتب وأهمها في الإسلام .

٦ ـ أبو الفتح :

قـال أبو الفتـح بن صـدقـة : « الإمـام علي بن الحسين بن علي بن أبي طـالب رضوان الله عليهم اجمعـين المعروف بـزين العابـدين ، وهو أحـد الأئمـة الأثني عشر ، ومن سادات التابعين . . . »[٢] .

٧ ـ أبو نعيم :

قال الحافظ أبـو نعيم : « علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليـه السلام زين العابدين ، ومنار القانتين ، كان عابداً وفياً ، وجواداً حفيـاً . . »[٣] لقد تحدث أبو نعيم عن بعض الصفات الماثلـة في الإمام من العبادة والوفـاء والسخاء .

٨ ـ اليعقوبي :

قـال أحمد بن أبي يعقـوب : « كان ـ أي الإمـام زين العابـدين ـ أفضل النـاس ، وأشدهم عبـادة، وكان يُسمى زين العـابدين ، وكـان يُسمى ايضاً ذا

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٤٠ .

(٢) درر الأبكار (ورقة ٧٠) مصور .

(٣) الحلية ٣/١٣٣ .

الثفنات ، لما كان في وجهه من أثر السجود. . . »[1].

لقد كان الإمام زين العابدين من أفضل الناس ، واعظمهم شأناً ، وأكثرهم عبادة وطاعة لله .

٩ ـ الواقدي :

قال الواقدي : « كان ـ أي زين العابدين ـ من أورع الناس ، وأعبدهم واتقاهم لله عزّ وجلّ ، وكان إذا مشى لا يخطر بيده. . . »[2].

لقد نظر الواقدي الى ورع الإمام وعبادته وتقواه وتواضعه ، وهو بهذه الصفات كان من أفضل الناس ، ومن أجلهم .

١٠ ـ صفي الدين :

قال صفي الدين : « كان زين العابدين عظيم الهدى ، والسمت الصالح ، وقد أخرج الخطيب في جامعه عن ابن عباس أن النبي (ص) قال: إن الهدى والسمت الصالح ، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة. . »[3].

١١ ـ النووي :

قال النووي : « واجمعوا على جلالته ـ أي الإمام زين العابدين ـ في كل شيء . . . »[4] .

لقد اجمع المسلمون على تعظيم الإمام وإكباره وذلك لما يتمتع به من الصفات الرفيعة التي هي موضع الاعتزاز والفخر لجميع المسلمين.

١٢ ـ عماد الدين :

قال الداعي عماد الدين إدريس القرشي : « كان الإمام علي بن

---

(١) تأريخ اليعقوبي ٣/٤٦.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ١٠٤ .

(٣) وسيلة المآل في عد مناقب الآل (ص ٢٠٨).

(٤) تهذيب اللغات والأسماء ق ١/ ٣٤٣ .

الحسين زين العابدين افضل بيت رسول الله(ص) وأشرفهم بعد الحسن والحسين عليهم جميعاً الصلاة والسلام ، وأكثرهم ورعاً وزهداً وعبادة »[1] .

١٣ ـ ابن عنبة :

قال النسابة الشهير بابن عنبة : « وفضائله ـ أي فضائل الإمام زين العابدين ـ أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف . . . »[2] إن مآثر الإمام زين العابدين وفضائله لا يحيط بها الوصف ، ولا تحصى ، فقد كانت مآثره امتداداً ذاتياً لسيرة آبائه الذين أضاءت هذه الدنيا بمآثرهم وفضائلهم .

١٤ ـ الشيخ المفيد :

قال الشيخ المفيد : « كان علي بن الحسين أفضل خلق الله بعد أبيه علماً وعملاً وقد روى عنه فقهاء العامة من العلوم ما لا يحصى كثرة ، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية ، وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء . . . »[3].

لقد كان الإمام زين العابدين عليهُ السلام ثروة من ثروات الفكر الإسلامي ، فأشاع العلوم والمعارف في دنيا الإسلام ، وقد روى عنه العلماء ، والفقهاء احكام الإسلام وآداب الشريعة وغير ذلك من مختلف الفنون .

١٥ ـ الجاحظ :

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: «وأما علي بن الحسين فلم أر الخارجي في أمره إلا كالشيعي ، ولم أر الشيعي إلا كالمعتزلى ، ولم ار المعتزلي إلا كالعامي ولم أر العامي إلا كالخاصي ، ولم أجد أحداً يتمارى في تفضيله ، ويشك في تقديمه . . . »[4] .

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار (ص ١٤٤).

(٢) عمدة الطالب (ص ١٩٣).

(٣) الارشاد .

(٤) عمدة الطالب (ص ١٩٣ـ ١٩٤).

ومعنى ذلك أن المسلمين على اختلاف أفكارهم واتجاهاتهم قد أجمعوا على تعظيم الإمام والاعتراف له بالفضل ، وإعلان المودة والولاء له .

١٦ ـ الشراوي :

قال الشراوي : « كان ـ أي الإمام زين العابدين ـ رضي الله عنه عابداً زاهداً ، ورعاً ، متواضعاً ، حسن الأخلاق . . »[١] .

وهذه الصفات هي التي رفعت الإمام إلى قمة المجد ، وجعلت الناس قد هاموا بحبه وبالاخلاص له .

١٧ ـ القليوبي :

قال أحمد القليوبي الشافعي : « فضائله ـ أي فضائل الإمام ـ أكثر من أن تحصى ، أو يحيط بها الوصف . . »[٢] .

١٨ ـ ابن تيمية :

وحتى ابن تيمية المنحرف عن أهل البيت والمعادي لهم قد اعترف بفضل الإمام وسمو منزلته ومكانته قال : « أما علي بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً . . . وله من الخشوع وصدقة السر وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف . . »[٣] .

١٩ ـ الشيخاني :

قال الشيخاني القادري : « سيدنا زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب اشتهرت أياديه ومكارمه ، وطارت بالجو في الجود محاسنه عظيم

(١) الاتحاف بحب الاشراف (ص ٤٩) .
(٢) تحفة الراغب (ص ١٣) .
(٣) منهاج السنة ٢ / ١٢٣ الطبعة الأولى .

القـدر ، رحب الساحـة والصدر ، ولـه الكرامـات الظاهـرة ما شـوهد بـالأعين الناظرة ، وثبت بالآثار المتواترة . . »[1] .

لقد تحدثت الركبان عن فضائل الإمام زين العابدين ومآثره ومناقبه ،واشتهر بين الناس مكارمه وفضائله ، مضافاً لذلك ما منحه الله من الكرامات التي يمنحهـا المخلصين من عباده .

٢٠ ـ ابن خلكان :

قال ابن خلكان : « هـو ـ أي الإمام زين العـابدين ـ أحـد الأئمة الإثني عشـر ، ومن سـادات التـابعين ، قـال الـزهـرى : « مـا رأيت قـرشيـاً أفضـل منه »[2] .

٢١ ـ ابن شدقم :

قـال ابن شـدقم : « الإمـام الحبـر ، الـزاهـد عـلي بن الحسـين زين العابدين . . »[3] .

٢٢ ـ المنوفى :

قال السيد محمود المنوفى : « كان زين العابدين عابداً ، وفياً ، وجـواداً صفياً وكان إذا مشى لا تجاوز يده فخذه . . »[4] .

٢٣ ـ أبو الفتوح :

قـال أبو الفتـوح الحسينى : « كـان الـذكـر المخلـد ، والاشتهـار لعلي

(١) الصراط السوي (ورقة ١٩) مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين .
(٢) وفيات الأعيان ٢/٤٢٩ .
(٣) زهرة المقول (ص ٦) .
(٤) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ٢/٧١ .

الأوسط زين العابدين الملقب بالسجاد . . . وهو أول سبط[1] من أسباط الحسين ورابع معصوم على رأي الإثني عشرية ، وزاهد على رأي غيرهم . . »[2] .

٢٤ ـ المناوي :

قال المناوي : « زين العابدين إمام سند اشتهرت أياديه ، ومكارمه ، وطارت بالجو في الوجود حمائمه ، كان عظيم القدر ، رحب الساحة والصدر ، رأساً لجسد الرياسة ، مؤملاً للإيالة[3] والسياسة . . »[4] .

إن الصفات العظيمة التي اتصف بها الإمام عليه السلام رشحته بإجماع المسلمين إلى الإمامة والقيادة العامة ، وإدارة شؤون المسلمين ، فليس في عصره من يدانيه أو يشابهه في نزعاته الخيرة وملكاته العظيمة .

٢٥ ـ محمد بن طلحة :

قال كمال الدين محمد بن طلحة القرشي الشافعي : « هذا زين العابدين ، قدوة الزاهدين وسيد المتقين ، وإمام المؤمنين ، شيمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله (ص) وسمته يثبت قربه من الله ، وثفناته تسجل له كثرة صلاته وتهجده ، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها ، درت له أخلاف التقوى فتفوقها وأشرقت له أنوار التأييد فاهتدى بها ، وألفته أوراد العبادة فآنس بصحبتها ، وحالفته وظايف الطاعة فتحلى بحليتها ، طالما اتخذ الليل مطية ركبها لقطع طريق الآخرة ، وظمأ الهواجر دليله استرشد به في منارة المسافر ، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة ، وثبت بالآثار المتواترة انه من ملوك الآخرة . . »[5] .

---

(١) السبط هو الولد على ما ذكره ابن الأعرابي .

(٢) النفحة العنبرية مصور .

(٣) الإيالة : سياسة الرعية وتدبير شؤونها .

(٤) الكواكب الدرية ٢ / ١٣٩ .

(٥) مطالب السؤول ٢ / ٤١ .

٢٦ ـ محمد بن سعد :

قال محمد بن سعد : « كان ـ أي الإمام زين العابدين ـ ثقة مأموناً ، كثير الحديث عالياً ، رفيعاً ، ورعاً . . »[١] .

٢٧ ـ السيد عباس :

قال السيد عباس الموسوى : « كان زين العابدين أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم ريحاً ، وأكرمهم نفساً ، وأعلاهم حسباً ، وأعظمهم شرفاً . . »[٢] .

٢٨ ـ السيد محسن :

قال السيد محسن الأمين العاملي : «كان ـ أي الإمام زين العابدين ـ أفضل أهل زمانه ، وأعلمهم ، وأفقههم ، وأورعهم ، وأعبدهم ، وأكرمهم ، وأحلمهم ، وأصبرهم ، وأفصحهم ، وأحسنهم أخلاقاً ، وأكثرهم صدقة ، وأرأفهم بالفقراء ، وأنصحهم للمسلمين ، كان معظماً عند القريب والبعيد ، والولي والعدو ، حتى ان يزيد بن معاوية لما أمر أن يبايعه أهل المدينة على أنهم عبيد وخول لم يستثن من ذلك إلا علي بن الحسين فأمر أن يبايعه على أنه أخوه وابن عمه . . »[٣] .

لقد اتصف الإمام عليه السلام بجميع الصفات العظيمة فما من فضيلة يمتاز بها الإنسان ويشرف بها إلا وهي من صفاته وفضائله فهو كما قيل :

خلقت مهذباً من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء

٢٩ ـ النويري :

قال شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى : « كان علي بن

---

(١) البداية والنهاية ٩/١٠٤ .
(٢) نزهة الجليس ٢/٢٤ .
(٣) أعيان الشيعة ٤/ق ١/٣٠٨ .

الحسين رحمه الله ثقة ورعاً ، مأموناً ، كثير الحديث من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة . . . »[1] .

٣٠ ـ الشافعي :

قال الإمام الشافعي : « إن علي بن الحسين أفقه أهل المدينة . . »[2] .

٣١ ـ علي بن عيسى الأربلي :

قال أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي : « مناقب الإمام علي بن الحسين تكثر النجوم عدداً ، ويجري واصفها إلى حيث لا مدى ، وتلوح في سماء المناقب كالنجوم لمن بها اهتدى، وكيف لا وهو يفوق العالمين إذا عدا عليا وفاطمة والحسن والحسين ومحمداً ، وهذا تقديم لسجع في الطبع فلا تكن متردداً ، ومتى أعطيت الفكر حقه وجدت ما شئت فخاراً وسؤدداً ، فإنه الإمام الرباني ، والهيكل النوراني ، بدل الأبدال ، وزاهد الزهاد ، وقطب الأقطاب وعابد العباد ، ونور مشكاة الرسالة ، ونقطة دايرة الإمامة ، وابن الخيرتين ، والكريم الطرفين ، قرار القلب ، وقرة العين علي ابن الحسين، وما أدراك ما علي بن الحسين ؟ !! الأواه الأواب، العامل بالسنة والكتاب ، الناطق بالصواب ، ملازم المحراب ، المؤثر على نفسه ، المرتفع في درجات المعارف ، فيومه يفوق على أمسه ، المتفرد بمعارفه ، الذي فضل الخلائق بتليده وطارفه ، وحكم في الشرف فتسنم ذروته ، وخطر في مطارفه ، وأعجز بما حواه من طيب المولد ، وكريم المحتد ، وذكاء الأرومة ، وطهارة الجرثومة ، عجز عنه لسان واصفه ، وتفرد في خلواته بمناجاته ، فتعجبت الملائكة من مواقفه ، وأجرى مواضعه خوف ربه ، فأربى على هامي الصوب وواكفه[3] فانظر أيدك الله في أخباره ، والمح بعين

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٢١/٣٢٤ .

(٢) رسائل الجاحظ (ص ١٠٦) نهج البلاغة ١٥/٢٧٤ .

(٣) الصوب : المطر ، والواكف : المطر المنهل .

الاعتبار عجائب آثاره ، وفكر في زهـده وتعبده وخشـوعه ، وتهجده ودؤوبه في صلاته وأدعيته في أوقات مناجاتـه ، واستمراره على مـلازمة عبـادته ، وإيثـاره وصدقاته، وعطايـاه وصلاتـه ، وتوسـلاته التي تـدل مع فصـاحته وبـلاغته على خشوعه لربه ، وضراعته ووقوفه موقف العصاة مع شدة طاعته واعترافه بالذنوب على بـراءة ساحتـه ، وبكائه ونحيبه، وخفوق قلبـه من خشية الله ، ووجيبـه ، وانتصابه ، وقـد أرخى الليل سـدوله ، وجـر على الأرض ذيولـه ، مناجيـاً ربه تقدست أسماؤه ، مخاطباً له تعالى ، ملازماً بابه عـز وجل ، مصـوراً نفسه بين يـديه ، معـرضاً عن كـل شيء ، مقبلاً عليـه ، قد انسلخ من الـدنيا الـدنية ، وتعرى من الجثة البشـرية ، فجسمـه ساجـد في الثرى وروحـه متعلقة بـالمـلأ الأعلى ، يتململ إذا مرت به آية من آيات الوعيد حتى كأنه المقصود بها ، وهو عنها بعيد ، تجد أموراً عجيبة وأحوالاً غريبة ، ونفساً من الله سبحانه قريبـة ، وتعلم يقيناً لا شك فيه ولا إرتياب ، وتعرف معرفة من قد كشف له الحجاب ، وفتحت له الأبواب ان هذه الثمرة من تلك الشجرة ، كما إن الـواحد جـزء من العشرة و ان هذه النطفة العذبة من ذلك المعين الكريم ، وإن هذا الحديث من ذلـك القديم ، وان هـذه الدرة من ذلـك البحر الـزاخر ، وان هـذا النجم من ذلك القمر الباهر ، وان هذا الفرع النابت من ذلك الأصل الثابت ، وان هـذه النتيجة من هذه المقدمة ، و ان خليفة محمد وعلي والحسن والحسين وفـاطمة المكرمة المعظمة هذا أصله الطاهر . . . »[1] .

وألـم العلامة المحقق الأربلي بأبرز صفات الإمام عليـه السلام التي هي من مواضع الاعتزاز والفخر لكـل مسلم ، لقد كـانت صفاتـه المشرقـة امتداداً ذاتياً لنزعات آبائه وصفاتهم التي غيروا بها مجرى تاريخ الإنسان فقد أضاؤا لـه الـطريق ، وأرشدوه إلى معـالم الحق بعدمـا كان تـائهاً في ميـادين سحيقة من مجاهل هذه الحياة .

إن فضائل الإمام عليه السلام ومآثره لا يحيط بها الوصف ، ولا يستوفيها

---

(١) كشف الغمة في ترجمة علي بن الحسين .

البيان ، فهو فرع من شجرة النبوة ، ودوحة الإمامة التي أودع الله فيها الكمال المطلق لتكون مناراً للحق في الأرض .

٣٢ ـ البستاني :

قال البستاني : « زين العابدين هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، ولكثرة عبادته لقب بزين العابدين ، ولقب أيضاً بسيد العابدين ، والزكي والأمين ، وذي الثفنات . . »[١] .

٣٣ ـ وجدي :

قال محمد فريد وجدي : « زين العابدين هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، المعروف بزين العابدين ، ويقال له علي الأصغر ، وليس للحسين بن علي عقب إلا من ولد زين العابدين . . . هو أحد الأئمة الإثني عشر في مذهب الإمامية ، كان من سادات التابعين ورؤسائهم . . »[٢] .

٣٤ ـ اغابزرك :

قال شيخ المحققين الشيخ محمد حسن الشهير باغابزرك الطهراني : « الإمام زين العابدين ، وسيد الساجدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام رابع أئمة الشيعة الإمامية ، الذي اتفق مؤرخو الإسلام على أنه من أشهر رجال التقوى ، والزهد والعبادة . . »[٣] .

٣٥ ـ ابن الجوزي :

قال ابن الجوزي : « هذا زين العابدين ، وقدوة الزاهدين ، وسيد

(١) دائرة معارف البستاني ٣٥٥/٩ .
(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٧٩٣/٤ .
(٣) الذريعة ٣٤٥/١٣ .

المتقين ، وإمام المؤمنين ، شيمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله (ص) وسمته يثبت مقام قربه من الله زلفى ، وثفناته تسجل له كثرة صلاته وتهجده ، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده . . »[1] .

٣٦ ـ تاج الدين :

قال تاج الدين بن محمد بن حمزة الحسيني نقيب حلب : « كان علي ابن الحسين سيد بني هاشم ، وموضع علمهم ، والمشار إليه منهم . . »[2] .

٣٧ ـ عارف تامر :

قال عارف تامر : « اشتهر ـ أي الإمام زين العابدين ـ بالزهد والعبادة ولم يك يوجد من يماثله في هذه الصفات ، ولذلك لقب بزين العابدين والسجاد »[3] .

٣٨ ـ الزركلي :

قال خير الدين الزركلي : « علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، الملقب بزين العابدين : رابع الأئمة الأثني عشر عند الإمامية ، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع ، يقال له « علي الأصغر » للتمييز بينه وبين أخيه « علي الأكبر » . . »[4] .

٣٩ ـ أحمد محمود صبحي :

قال الدكتور أحمد محمود صبحي : « هذا هو علي بن الحسين ، ورث إمامته من انتسابه إلى فاطمة الزهراء ، ورسم للشيعة طريق الإمامة الروحية ،

(١) تذكرة الخواص .
(٢) غاية الاختصار (ص ١٠٦) .
(٣) الإمامة في الإسلام (ص ١١٦) .
(٤) الأعلام ٥/٨٦ .

وطبع التشيع بطابع الحزن المقيم ، والبكاء المتصل على الحسين ، وعكف على العبادة ، فسمي بالسجاد ، وكني بزين العابدين ، وانتسب إلى النبي (ص) وإلى كسرى فعرف بابن الخيرتين . . »[1] .

ولا بد لنا من وقفة قصيرة مع الدكتور أحمد صبحي فيما أفاده ، فقد ذكر أن الإمام زين العابدين (ع) قد ورث الإمامة من جهة انتسابه إلى جدته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين فإن ذلك لا واقع له لأن الإمامة ليست خاضعة لعملية المواريث ، وإنما هي خاضعة للنص ، وهي بيد الله تعالى فهو الذي يختار لهذا المنصب الرفيع من يشاء من عباده ممن تتوفر فيه النزعات الخيرة والصفات العظيمة ، وهذا هو ما تذهب إليه الشيعة وتدلل عليه في كتبهم الكلامية ، كما ان الإمام زين العابدين عليه السلام ليس هو الذي طبع التشيع بطابع الحزن على الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة ، وإنما كانت رزية كربلاء التي تذوب من هولها القلوب هي التي طبعت التشيع بعالم الأسى والحزن ، وكان الإمام زين العابدين في طليعة المتأثرين بها لأنه شاهد فصولها الحزينة .

٤٠ ـ أحمد فهمي :

قال الشيخ أحمد فهمي : « كان أي الإمام زين العابدين ـ أفضل أهل زمانه ، وأعلمهم ، وأفقههم ، وأورعهم ، وأعبدهم ، وأكرمهم ، وأحلمهم ، وأفصحهم لساناً ، وأكرمهم احساباً ، يحدب على الفقراء ويعين الضعفاء . . . »[2] .

٤١ ـ حسين علي محفوظ :

قال الدكتور حسين علي محفوظ : « كان زين العابدين أفضل خلق

---

(١) نظرية الإمامة (ص ٣٠٧) .
(٢) الإمام زين العابدين (ص ٦٥) .

الله ـ بعد أبيه ـ علماً وعملاً ، وكان أقرب أهل البيت عليهم السلام شبهاً بأمير المؤمنين في لباسه وفقهه وعبادته . . »[1] .

نقاط مهمة :

وحفلت كلمات الأعلام من المعاصرين للإمام ، ومن المؤرخين بنقاط مهمة من بينها ما يلي :

أولاً : ـ ان الإمام كان أفقه علماء عصره ، وأكثرهم دراية وإحاطة بشؤون الشريعة وأحكام الدين .

ثانياً : ـ أنه أفضل هاشمي ، بل وأفضل قرشي في عصره ، وذلك لما يتمتع به من الصفات الكريمة ، والمثل العليا التي قل أن تتوفر بعضها في أي إنسان عدا آبائه .

ثالثاً : ـ أنه أفضل أهل زمانه ، وأعلاهم شأناً ومكانة ، وذلك لنسبه الرفيع ، فهو ابن الخيرتين ، مضافاً إلى عبقرياته ، ومواهبه العظيمة .

رابعاً : ـ أنه من أزهد الناس ، وأكثرهم إعراضاً عن مباهج الحياة الدنيا وزينتها ، فلم يحفل ولم يعن بها .

خامساً : ـ أنه من أورع الناس ، ومن أكثرهم تقوى ، وحريجة في الدين .

سادساً . ـ أنه سراج الدنيا ، وجمال الإسلام[2] وذلك لسيرته الندية العاطرة التي هي نفحة من نفحات النبوة والإمامة .

سابعاً . ـ أنه من أحسن الناس ، وأطيبهم ريحاً ، وأكرمهم نفساً ، وأعظمهم شرفاً .

---

(١) مجلة البلاغ العدد ٧/السنة الأولى (ص ٥٤) .

(٢) وصفه بذلك عمر بن عبد العزيز .

ثامناً : ـ أنه من أفصح الناس ، وأعظمهم بلاغة ، فقد كانت أدعيته ومواعظه وكلماته الحكمية من مناجم الأدب العربي ، ومن أنفس الذخائر الثقافية في دنيا الإسلام .

تاسعاً : ـ أنه من أبر الناس بالفقراء ، ومن أكثرهم عطفاً وحناناً على البؤساء والمحرومين .

عاشراً : ـ أنه من أعبد الناس ، وأكثرهم طاعة لله ، فليس هناك من يضارعه في عبادته وطاعته لله عدا آبائه .

الحادي عشر . ـ أنه من أحسن الناس أخلاقاً ، فقد كان يضارع جده الرسول (ص) في سمو أخلاقه وآدابه .

الثاني عشر . ـ أنه أهل للرياسة ، وزعامة الأمة ، وقيادتها الروحية والزمنية .

الثالث عشر : ـ أن المسلمين قد اجمعوا على تعظيمه ، والاعتراف له بالفضل وليس هناك أي أحد من مناوئيه من يخدش به أو ينال منه .

هذه بعض النقاط التي احتوت عليها كلمات المعاصرين للإمام ، والمؤرخين له على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم ، وهي تدلل على سمو الفكرة التي تذهب إليها الشيعة من أن الإمام لا بد أن يكون أفضل أهل زمانه وأعلمهم .



مع رزايا كربلاء



وعاش الإمام زين العابدين عليه السلام المحنة القاسية التي عاشها أبوه الإمام الحسين عليه السلام أيام حكومة معاوية ويزيد ، وشاركه في آلامه وشجونه ، وكان من أشق ما عاناه الإمام الحسين في تلك الحقبة السوداء أنه رأى السياسة الأموية قد اتجهت في مسارها إلى ضرب الإسلام ، وإبادة ركائزه وقواه ، والعمل على انحطاط الإنسان المسلم ، وشل نشاطاته الفكرية والعقلية ، والحيلولة بينه وبين مبادىء دينه العظيم ، ولم يستطع الإمام في أيام معاوية أن يفجر ثورته الكبرى ، وذلك لعلمه بفشلها وعدم استطاعتها على تغيير الأوضاع القائمة في البلاد ، لأن معاوية كان يتمتع بدبلوماسية قوية و حكمة يستحيل التغلب عليه ، وإفشال مخططاته ، ولكن لما هلك هذا الطاغية ، وتسلم من بعده يزيد مقاليد الحكم رأى الإمام الحسين عليه السلام أن واجبه الديني يقضي عليه بمناجزة يزيد وإسقاط حكومته حفظاً لمصالح المسلمين ، ورعاية لحقوقهم ، ووفاءً لمبادىء دين جده العظيم فأعلن عليه السلام ثورته الكبرى التي أوضح الله بها الكتاب ، وجعلها عبرة لأولي الألباب ، ونعرض ـ بإيجاز ـ إلى لقطات من تلك الثورة ، وما رافقها من الأحداث المروعة ، والتي كانت بمرأى ومسمع من الإمام زين العابدين عليه السلام ، وبالرغم مما كان يعانيه من شدة المرض إلا أنه استوعب جميع فصول تلك المأساة بإحساسه المرهف ، وعاطفته اليقظة ، وفيما يلي ذلك .

على صعيد كربلاء :

وانتهى موكب العترة الطاهرة التي تبنت حقوق المظلومين والمضطهدين إلى صعيد كربلا ، وقد تواكبت عليهم المحن والخطوب ، وألمت بهم الرزايا والكوارث ، وأيقنوا بالرزء القاصم ، فقد أحاطت بهم قوى البغي والعدوان وهي مصممة على إراقة دمائهم ، أو إخضاعهم إلى الذل والهوان ، ويأبى الله لهم ذلك .

ونظر الإمام الحسين عليه السلام إلى الفتية من أهل بيته وهم في نضارة العمر وريعان الشباب ، فأغرق في البكاء وراح يقول :

« اللهم انا عترة نبيك محمد (ص) قد أخرجنا ، وطردنا ، وأزعجنا عن حرم جدنا وتعدت بنو أمية علينا ، اللهم فخذ لنا بحقنا ، وانصرنا على القوم الظالمين . . » .

ثم خاطب الأبطال من أهل بيته وأصحابه قائلاً :

« الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون . . »[1] .

وحكت هذه الكلمات المشرقة الواقع العملي من حياة الناس في جميع مراحل التاريخ ، فهم عبيد الدنيا في كل زمان ومكان ، أما الدين ، فلا ظل له في أعماق قلوبهم ، فإذا دهمتهم الكوارث تنكروا له ، وابتعدوا عنه ، فكان حقاً لعقاً على ألسنتهم .

والتفت الإمام إلى أصحابه فقال لهم :

« أما بعد : فقد نزل بنا ما قد ترون ، وإن الدنيا قد تغيرت ، وتنكرت ، وادبر معروفها ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل[2] ألا ترون إلى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب

---

(١) حياة الإمام الحسين ٩٧/٣ .

(٢) المرعى الوبيل : هو الطعام الوخيم الذي يخاف وباله .

المؤمن في لقاء الله ، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً . . »[1] . وأعرب في هذا الخطاب عما نزل به من صنوف المحن والبلاء ، وان منطق الدنيا معهم قد تغير ، فقد ساقت لهم المقادير ، صنوفاً مرهقة من الخطوب ، ولكن حفيد النبي (ص) العظيم لم يعبأ ولم يحفل بها ، لأنه على بصيرة من أمره ، فهو يرى الحق لا يعمل به ، والباطل لا يتناهى عنه ، وقد عادت له الحياة كريهة والموت والشهادة في سبيل الله سعادة .

ولما أنهى خطابه هبَّ أصحابه جميعاً ، وهم يضربون أروع الأمثلة للتضحية والفداء من أجل إقامة الحق والعدل ، وقد تكلم كل واحد منهم بكلمة الإخلاص فشكرهم الإمام وأثنى عليهم .

الإمام ينعي نفسه :

وفي ليلة العاشر من المحرم دخل الإمام الحسين عليه السلام إلى خيمته ، وجعل يعالج سيفه ويصلحه ، وقد أيقن بالقتل ، وهو يقول :

يا دهر أف لك من خليل   كم لك بالاشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل   والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل   وكل حي سالك سبيلي

وقد نعى نفسه العظيمة بهذه الأبيات ، وكان في الخيمة الإمام زين العابدين وحفيدة النبي (ص) زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فلما سمع الإمام زين العابدين عرف ما أراده أبوه فخنقته العبرة ، ولزم السكوت وعلم أن البلاء قد نزل ـ حسبما يقول ـ وأما عقيلة بني هاشم فقد أحست أن شقيقها وبقية أهلها عازمون على الموت ، ومصممون على الشهادة فأمسكت قلبها في ذعر ، ووثبت وهي تجر ثوبها ، وقد فاضت عيناها بالدموع ، فوقفت أمام أخيها ، وقالت له بنبرات لفظت فيها شظايا قلبها :

---

(١) معجم الطبراني ، تاريخ ابن عساكر ١٣/٧٤ .

« واثكلاه ! واحزناه ، ليت الموت أعدمني الحياة ، ياحسيناه ، ياسيداه ، يا بقية أهل بيتاه ، استسلمت ، ويئست من الحياة ، اليوم مات جدي رسول الله (ص) وأمي فاطمة الزهراء ، وأبي علي ، وأخي الحسن ، يا بقية الماضين وثمال الباقين . . . » .

فنظر إليها برفق وحنان ، وقال لها :

« يا أخية لا يذهبن بحلمك الشيطان . . » .

وإنبرت العقيلة إلى أخيها ، وهي شاحبة اللون ، قد مزق الأسى قلبها الرقيق المعذب ، فقالت له :

« أتغتصب نفسك اغتصاباً ، فذاك أطول لحزني ، وأشجى لقلبي » .

ولم تملك صبرها بعدما أيقنت أن شقيقها مقتول ، فعمدت إلى جيبها فشقته ، ولطمت وجهها ، وخرت على الأرض فاقدة لوعيها ، وشاركتها السيدات من عقائل الوحي في المحنة القاسية ، وصاحت أم كلثوم :

« وامحمداه ، واعلياه ، وأماه، واحسيناه ، واضيعتنا بعدك . . » .

وأثر المنظر الرهيب في نفس الإمام الحسين ، فذاب قلبه أسى وحسرات ، وتقدم إلى السيدات من بنات الوصي فجعل يأمرهن بالخلود إلى الصبر ، والتحمل لأعباء هذه المحنة الكبرى قائلاً :

« يا أختاه ، يا أم كلثوم ، يا فاطمة ، يا رباب ،أنظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن علي جيباً ، ولا تخمشن وجهاً ، ولا تقلن هجراً . . »[1] .

لقد أمرهن بالخلود إلى الصبر ، والتجمل به ، واجتناب هجر الكلام أمام المحن القاسية التي ستجري عليهن .

يوم عاشوراء :

وليس هناك حادث في التاريخ يضارع في كوارثه وآلامه مثل ما جرى

(١) حياة الإمام الحسين ٣/١٧٢ - ١٧٣ .

على الإمام الحسين في يوم عاشوراء ، فلم تبق محنة من محن الدنيا ، ولا كارثة من كوارث الدهر إلا جرت على ريحانة رسول الله (ص) وقد تحدث الإمام زين العابدين عليه السلام عن ذلك اليوم العصيب الخالد في دنيا الأحزان قال :

« ما من يوم أشد على رسول الله (ص) من يوم أحد قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ، وبعده يوم مؤتة قُتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب ، ثم قال : ولا يوم كيوم الحسين إذ دلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه ، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً . . »[1] .

وليس في دنيا الإسلام على امتداد التاريخ يوم أشد وأقسى من يوم الحسين عليه السلام فقد ثار هذا الإمام العظيم ليقيم في هذا الشرق معالم الحياة الكريمة ويوفر الحرية والرخاء والأمن والإستقرار لجميع شعوب العالم ، وقد وقفت في وجهه أولئك الصعاليك من حثالة البشرية ، فأراقت دمه الزاكي في وحشية قاسية لم يشاهد التأريخ لها مثيلاً في فظاعتها ومرارتها وقد اقترفت هذه الجرائم لتعيش هي تحت كابوس من العبودية والظلم والجور .

خطبة الإمام :

فقبل أن تندلع نار الحرب رأى الإمام العظيم أن يقيم الحجة على أولئك الممسوخين ويسد أمامهم كل عذر ، ويجعلهم على بصيرة وبينة من أمرهم ، فقد دعا عليه السلام براحلته فركبها ، واتجه نحوهم ، وهو بتلك الهيبة التي تحكي هيبة جده رسول الله (ص) فخطب فيهم خطابه التأريخي الذي هو من أبلغ وأروع خطاب ورد في الكلام العربي ، وقد نادى بصوت عالٍ يسمعه جلهم قال :

---

(١) بحار الأنوار ١٤٧/٩ .

« أيها الناس اسمعوا قولي ، ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم علي ، وحتى أعتذر إليكم ، من مقدمي عليكم ، فإن قبلتم عذري ، وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم علي سبيل ، وإن لم تقبلوا مني العذر ، ولم تعطوا النصف من أنفسكم فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . . » .

ونقل الأثير كلماته إلى السيدات من عقائل النبوة ، وحرائر الوحي فتصارخن بالبكاء ، وارتفعت أصواتهن ، فبعث إليهن أخاه العباس وابنه عليا ، وقال لهما : سكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن ، ولما سكتن استرسل في خطابه فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي (ص) وقال في ذلك ما لا يحصى ذكره ، ولم يسمع لا قبله ، ولا بعده أبلغ منه في منطقه[1] وقال :

« أيها الناس : إن الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال ، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال ، فالمغرور من غرته ، والشقي من فتنته ، فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها ، وتخيب طمع من طمع فيها ، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم ، وأعرض بوجهه الكريم عنكم ، وأحل بكم نقمته ، فنعم الرب ربنا ، وبئس العبيد أنتم ، أقررتم بالطاعة ، وآمنتم بالرسول محمد (ص) ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم ، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم ، فتباً لكم ولما تريدون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين . . » .

لقد وعظهم بهذه الكلمات ، فحذرهم من فتنة الدنيا وغرورها ، ودلل على عواقبها الخاسرة ، وأهاب بهم من الإقدام على قتل عترة نبيهم ، فإنهم بذلك يخرجون من الإسلام إلى الكفر ويستوجبون عذاب الله ونقمته ، ثم استرسل الإمام العظيم في خطابه قائلاً :

---

(١) الطبرى ٢٤٢/٦ .

« أيها الناس انسبوني من أنا ؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ، وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ألست ابن بنت نبيكم ، وابن وصيه وابن عمه ، ؟ وأول المؤمنين بالله ، والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه ، أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أوليس جعفر الطيار عمي ؟ أولم يبلغكم قول رسول الله (ص) لي ولأخي ! « هذان سيدا شباب أهل الجنة » فإن صدقتموني بما أقول : وهو الحق ، والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ، ويضر به من اختلقه ، وإن كذبتموني فإن فيكم من إذا سألتموه أخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري ،وأبا سعيد الخدري ، وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (ص) لي ولأخي ، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟ » .

وكان خليقاً بهذا الخطاب أن يرجع إلى قطعات ذلك الجيش عوازب أحلامه ، ويحدث انقلاباً عسكرياً في صفوفهم ، لقد دعاهم ليرجعوا إلى نفوسهم وعقولهم لو كانوا يملكونها ، فيمعنوا النظر في شأنه ، فهو حفيد نبيهم ، وابن وصيه ، وألصق الناس وأمسهم رحماً بالنبي (ص) وهو سيد شباب أهل الجنة ، وفي ذلك حصانة له من سفك دمه ، وانتهاك حرمته ، إلا أن ذلك الجيش لم يع هذا المنطق الفياض ، فقد خلد إلى الجريمة ، وغرق في الضلال .

وانبرى إليه الرجس الخبيث شمر بن ذي الجوشن فقال له :

« هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول . . » .

وتصدى لجوابه حبيب بن مظاهر وهو من ذخائر الإيمان والإسلام فقال له :

« والله إني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً ، وأنا أشهد أنك صادق ، ما تدري ما يقول : قد طبع الله على قلبك . . »

واستمر الإمام العظيم في خطابه فقال :

« فإن كنتم في شك من هذا القول ، أفتشكون أني ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ، ولا في غيركم ، ويحكم أتطلبونني بقتيل منكم قتلته ، أو مال استهلكته ، أو بقصاص جراحة . . » .

وزلزلت الأرض تحت أقدامهم ، وغدوا حيارى لا يملكون جواباً لرده ، ثم نادى الإمام عليه السلام قادة الجيش من الذين كاتبوه بالقدوم لمصرهم فقال :

« يا شبث بن ربعي ، ويا حجار بن ابحر ، ويا قيس بن الأشعث ، ويا زيد بن الحرث ، ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار ، واخضر الجناب ، وإنما تقدم على جند لك مجندة . . » .

ولم تخجل تلك الذوات القذرة من خيانة العهد ونقض الميثاق ، فأجابوه مجمعين على الكذب :

« لم نفعل . . » .

واستغرب الإمام منهم ذلك فقال :

« سبحان الله ، بلى والله لقد فعلتم . . » .

وأشاح الإمام بوجهه عنهم ، ووجه خطابه إلى قطعات الجيش فقال لهم :

« أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمن من الأرض » . .

وانبرى إليه قيس بن الأشعث وهو من ركائز الإثم والباطل في الكوفة ، ومن أسرة لم تنجب شريفاً قط فقال له :

« أولا تنزل على حكم بني عمك ؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب ، ولن يصل إليك منهم مكروه . . » .

فأجابه الإمام :

« أنت أخو أخيك ؟ أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أفر فرار العبيد[1] عباد الله إني عذت بربي وربكم أن ترجمون ، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب . . »[2] .

ومن المؤسف أن هذا الخطاب النير لم ينفذ إلى قلوبهم ، فقد ختم الجهل على قلوبهم فكانوا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً .

الحرب :

ولما فشلت جميع الوسائل التي اتخذها الإمام لصيانة السلم وعدم سفك الدماء أعلن ابن سعد الحرب العامة على الإمام ، فقد زحف إلى مقربة من معسكر الإمام ، وأخذ سهماً فأطلقه صوب الإمام وهو يصيح :

« إشهدوا لي عند الأمير اني أول من رمى معسكر الحسين . . » .

لقد طلب الباغي اللئيم من الجيش أن يشهدوا له عند أميره وسيده ابن مرجانة انه أول من رمى معسكر الحق والكرامة والشرف ، وتتابعت السهام كأنها المطر من رماة جيشه على الحسين وأصحابه ، فلم يبق أحد منهم إلا أصيب بسهم ، والتفت الإمام إلى أصحابه فقال لهم : « قوموا يا كرام فهذه رسل القوم إليكم . . » .

وتقدمت طلائع الحق من أصحاب الإمام إلى ساحة الحرب ، وبدأت بذلك المعركة بين المعسكرين ، وهي من أعنف المعارك ، التي جرت على الأرض .

مصارع الأبرار :

والتحم معسكر الحق مع جيوش الضلال والباطل ، وقد تسابق أصحاب

---

(١) وفي رواية « ولا أقر لكم إقرار العبيد » .
(٢) حياة الإمام الحسين ٣/١٨٤ ـ ١٨٨ .

الإمـام الحسين مع أهـل بيتـه بشـوق ورغبـة إلى المـوت ، ليـظفـروا بـالنعيم الدائم ، وقد قادوا بذلك حركة الإيمان ، ولم تضعف لأي واحـد منهم عزيمـة الإيمان ، وقد دللوا بتضحياتهم الهائلة على عظمة الإسـلام الذي منحهم تلك الـروح الوثـابة التي استـطاعـوا بهـا ـ على قلتهم ـ أن يقـابلوا تلك الـوحـوش الكاسرة ، وينزلوا بها أفدح الخسائر .

لقد أبدى أصحاب الحسين وأهل بيته من صنوف البسالة والشجـاعة مـا يفوق حد الوصف والإطراء ، خصوصاً أبا الفضل العبـاس عليه السـلام ، فقد واسى أخـاه الحسين ، وفداه بـروحه ، وليس في تـاريخ الإنسـانية في جميـع مراحلها أخوة أصدق ، ولا أنبـل ولا أوفى من تلك الأخوة ، وقـد أشاد الإمـام زين العابدين عليه السلام بها قال عليه السلام :

« رحم الله عمي العباس ، فلقد آثـر وأبلى ، وفدى أخـاه بنفسه ، حتى قطعت يداه ، فأبدله الله عز وجـل بهما جنـاحين يطيـر بهما مـع الملائكـة في الجنة ، كما جعل لجعفر بن أبي طالب ، وإن للعباس منزلة ، عنـد الله تعالى يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة . . »[1] .

وكان أبو الفضل العباس هو آخر من قتل من اخوة الحسين ، وقـد وقف الإمـام (ع) على الجثمان المقـدس ، وهو يلفظ شـظايـا قلبـه الـذي مـزقتـه الكوارث قائلاً :

« الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي . . » .

وشعر الإمام بالوحـدة والضيعة بعـد فقده لأخيـه الذي لم يتـرك لونـاً من ألوان البر والمواساة إلا قدمها لـه ، وقد أتينـا على أخبار شهـادته وعـظيم رزية الإمام بها في كتابنا (حياة الإمام الحسين) .

إستغاثة الإمام :

وألقى الإمـام الممتحن نظرة مشفـوعة بـالأسى والحسرة على أهـل بيتـه

(١) البحار ١٤٧/٩ .

وأصحابه فرآهم مجزرين كالأضاحي على رمال كربلاء تصهرهم الشمس ، وسمع عياله ، وقد ارتفعت أصواتهن بالعويل والبكاء يندبن قتلاهن ، ولا يعرفن ماذا سيجري عليهن بعد قتل الحسين ، وقد أثر ذلك على الإمام تأثيراً بالغاً فأخذ يستغيث ، ويطلب الناصر والمعين ليحامي عن حرم رسول الله (ص) قائلاً :

« هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله (ص) ؟ هل من موحد يخاف الله فينا ؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا ؟ . . »[1] .

ولما سمع الإمام زين العابدين هذه الاستغاثة المثيرة ، وثب من فراش المرض وجعل يتوكأ على عصا لشدة مرضه ، فبصر به الحسين ، فصاح بأخته السيدة أم كلثوم : احبسيه لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمد ، وبادرت إليه عمته فأرجعته إلى فراشه وأخذ يعاني من الآلام النفسية أكثر مما يعاني من آلام مرضه ، فقد طافت به المحن والخطوب ، فهو يرى الكواكب المشرقة من اخوته وأبناء عمومته صرعى على الأرض ، ويرى أصحابهم الأوفياء مجزرين كالأضاحي ، ويرى أباه وقد أحاط به أعداء الله قد صمموا على قتله ، ويرى عقائل الوحي ، ومخدرات الرسالة في حالة من الذعر والخوف ما لا سبيل إلى تصويره ، وقد قابل تلك الكوارث المفزعة بالصبر ، وتفويض أمره إلى الله .

مصرع الإمام العظيم :

وأحاط الجفاة الجناة بريحانة رسول الله (ص) وهم يوسعونه ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح ، ورمياً بالحجارة، وقد أعياه نزف الدم ، وبادر المجرم الخبيث شمر بن ذي الجوشن ، فاحتز رأس الإمام عليه السلام ، ويقول الرواة : انه كان على شفتيه ابتسامة الرضا والنصر الذي أحرزه الإمام إلى الأبد .

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣/ ٢٧٤ .

لقد استشهد الإمام من أجل أن يقيم في ربوع هذا الشرق دولة الحق ، ويقضي على الظلم والغبن ، ويوزع خيرات الله على المحرومين والمضطهدين ، وينقذ الأمة من حكم الأمويين الذين كفروا بحقوق الإنسان ، وحولوا البلاد إلى مزرعة لهم يصيبون منها حيثما شاؤا .

حرق الخيام :

وعمد أجلاف البشرية وأوغادها إلى حرق خيام الإمام الحسين عليه السلام غير حافلين بما فيها من عقائل النبوة ومخدرات الوحي وأطفال أهل البيت عليهم السلام ، وقد حملوا أقبسة من النار ومناديهم ينادي :

« احرقوا بيوت الظالمين . . » .

لقد غدا في عرف هؤلاء أن أخبية الحسين هي بيوت الظلم ، وبيوت الأمويين وعملائهم هي بيوت العدل ، وهم الذين أغرقوا البلاد في الظلم والجور .

وحينما التهبت النار في الخيام فرّت بنات رسول الله (ص) في البيداء ، والنار تلاحقهن ، أما اليتامى فقد علا صراخهم وقد هاموا على وجوههم في البيداء ، وهم يستغيثون فلا يجدون من يحميهم ويغيثهم ، وكان هول ذلك المنظر من أفجع ما رآه الإمام زين العابدين ولم يغب عن ذهنه طيلة المدة التي عاشها بعد أبيه ، فكان دوماً يقول :

« والله ما نظرت إلى عماتي وأخواتي إلا وخنقتني العبرة ، وتذكرت فرارهن يوم الطف من خيمة إلى خيمة ، ومن خباء إلى خباء ، ومنادي القوم ينادي أحرقوا بيوت الظالمين . . »[1] .

الهجوم على زين العابدين :

وهجم الكفرة الجفاة على الإمام زين العابدين ، وقد أنهكته العلة

(١) حياة الإمام الحسين ٣/ ٢٩٩ .

ومزقت الأحداث الرهيبة قلبه ، وقد أراد المجرم الخبيث شمر بن ذي الجوشن قتله فنهره حميد بن مسلم قائلاً :

« سبحان الله !! أتقتل الصبيان ؟ إنما هو مريض . . » .

فلم يحفل به ، وبادرت إليه العقيلة عمته زينب فتعلقت به ، وقالت : لا يقتل حتى أقتل دونه[1] فكف اللئام عنه ، وقد نجا منهم بأعجوبة .

جزع الإمام زين العابدين :

وجزع الإمام زين العابدين كأشد ما يكون الجزع ، وتمنى مفارقة الحياة ، وذلك من هول ما رأى من المآسي التي جرت على أهل البيت ، وقد أخذ يعاني آلام الاحتضار حينما رأى جثة أبيه ، وجثث أهل بيته وأصحابه منبوذة بالعراء لم ينبر أحد إلى مواراتها ، وبصرت به عمته العقيلة زينب فبادرت إليه مسلية قائلة :

« ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وإخوتي ، فوالله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك ، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض ، وهم معروفون في أهل السماوات انهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة ، والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ، ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيام ، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه ، فلا يزداد أثره إلا علواً . . »[2] .

وأخذت تسليه بهذا ونحوه حتى أزالت ما ألم به من عظيم الأسى الذي كاد أن يقضي عليه .

---

(١) تاريخ القرماني (ص ١٠٨) .
(٢) كامل الزيارات (ص ٢٦١) .

مواراته للجثث الطاهرة :

وعمد الأجلاف اللئام من أهل الكوفة إلى مواراة جيف قتلاهم ، وتركوا جثمان ريحانة رسول الله (ص) وجثث أهل بيته وأصحابه الممجدين على رمضاء كربلا ، وانبرى قوم من بني أسد من الذين لم يشتركوا في الحرب فحفروا القبور لتلك الجثث الزواكي ، وكانوا متحيرين في معرفتها لأن الرؤوس قد فصلت عنها ، وبينما هم كذلك إذ أطل عليهم الإمام زين العابدين ـ حسبما نصت عليه بعض المصادر الشيعية ـ فأوقف بني أسد على شهداء أهل البيت وغيرهم من الأصحاب ، وبادر بنفسه إلى حمل جثمان أبيه فواراه في مثواه الأخير وهو يذرف أحر الدموع قائلاً :

« طوبى لأرض تضمنت جسدك الطاهر ، فإن الدنيا بعدك مظلمة ، والآخرة بنورك مشرقة ، أما الليل فمسهد ، والحزن سرمد أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم ، وعليك مني السلام يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته . . » .

ورسم على القبر الشريف هذه الكلمات : « هذا قبر الحسين بن علي ابن أبي طالب ، الذي قتلوه عطشاناً غريباً » ودفن عند رجلي الإمام فلذة كبده ولده علي الأكبر ، ودفن بقية الشهداء من هاشميين وغيرهم في حفرة واحدة ، ثم انطلق مع الأسديين إلى نهر العلقمي فحفر قبراً ووارى فيه قمر بن هاشم أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام ، وجعل يبكي أمر البكاء وهو يقول :

« على الدنيا بعدك العفا يا قمر بن هاشم ، وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته . . »[1] .

وأصبحت تلك القبور الطاهرة رمزاً للكرامة الإنسانية ، ورمزاً لكل تضحية تقوم على الشرف والعدل والحق ، وقد أصبحت من أقدس مراكز العبادة ، وأفضلها في الإسلام .

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣/٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

سبايا أهل البيت في الكوفة :

وأدخلت عقائل الوحي ومخدرات الرسالة سبايا إلى الكوفة ، وقد عزفت أبواق الجيش وخفقت راياتهم معلنة النصر والظفر بقتلهم لريحانة رسول الله (ص) وسيد شباب أهل الجنة ، وقد وصف ذلك المنظر مسلم الجصاص ، يقول : دعاني ابن زياد لإصلاح دار الامارة بالكوفة ، فبينما أنا أجصص الأبواب ، وإذا بالزعقات قد ارتفعت من جميع الكوفة فأقبلت على أحد خدام القصر فقلت له :

- « ما لي أرى الكوفة تضج ؟ » .
- « الساعة يأتون برأس خارجي خرج على يزيد . . » .
- « من هذا الخارجي ؟ . . » .
- « الحسين بن علي . . » .

يقول : فتركت الخادم ، وأخذت ألطم على وجهي حتى خشيت على عيني أن تذهبا ، وغسلت يدي من الجص ، وخرجت من القصر حتى أتيت إلى الكناس ، فبينما أنا واقف ، والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ أقبل أربعون جملاً تحمل النساء والأطفال ، وإذا بعلي بن الحسين على بعير بغير وطاء وأوداجه تشخب دماً وهو يبكي وقول :

يا أمة السوء لا سقيا لربعكم ... يا أمة لم تراع جدنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا ... يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيرون فينا على الأقتاب عارية ... كأننا لم نشيد فيكم دينا[1]

ويقول جذلم بن بشير : قدمت الكوفة سنة (٦١ هـ) عند مجيء علي ابن الحسين من كربلاء إلى الكوفة، ومعه النسوة وقد أحاطت بهم الجنود ، وقد خرج الناس للنظر إليهم ، وكانوا على جمال بغير وطاء فجعلت نساء أهل الكوفة يبكين ويندبن ، ورأيت علي بن الحسين قد أنهكته العلة ، وفي عنقه

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣/٣٣٣ .

الجامعه ويده مغلولة إلى عنقه[1] وهو يقول بصوت ضعيف : إن هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا فمن قتلنا ؟[2] .

خطاب الإمام زين العابدين :

وأحاطت الجماهير بالإمام زين العابدين عليه السلام ، فرأى أن يخطب فيهم ، ويعرفهم اثم ما اقترفوه ، وما جنوه على أنفسهم وعلى الأمة، فقال عليه السلام بعد حمد الله والثناء عليه :

« أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أنا ابن من انتهكت حرمته ، وسلبت نعمته ، وانتهب ماله ، وسبي عياله ، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ، ولا ترات ، أنا ابن من قتل صبراً، وكفى بذلك فخراً .

أيها الناس ناشدتكم الله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه ، واعطيتموه من أنفسكم العهود والميثاق والبيعة ، وقاتلتموه ، فتبا لما قد متم لأنفسكم وسوأة لرأيكم ، بأية عين تنظرون إلى رسول الله ؟ إذ يقول لكم : قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي ، فلستم من أمتي . . . ».

وعلت أصوات أولئك العبيد الذين سودوا وجه التاريخ بالبكاء والنحيب ونادى مناد منهم :

« هلكتم وما تعلمون . . » .

واستمر الإمام في خطابه فقال :

« رحم الله امرأً قبل نصيحتي ، وحفظ وصيتي ، في الله وفي رسوله

---

(١) امالي الشيخ المفيد (ص ١٤٣) مخطوط .

(٢) مقتل الحسين لعبد الله مخطوط .

وأهل بيته ، فإن لنا في رسول الله (ص) أسوة حسنة ».

فهتفوا اجمعين بلسان واحد :

«نحن يا ابن رسول الله ، سامعون مطيعون ، حافظون لذمامك ، غير زاهدين فيك ، ولا راغبين عنك ، فمرنا بأمرك يرحمك الله ، فإنا حرب لحربك ، وسلم لسلمك نبرأ ممن ظلمك وظلمنا . .».

ورد الإمام عليهم هذا الولاء الكاذب قائلاً :

« هيهات، هيهات ، أيها الغدرة المكرة ، حيل بينكم ، وبين شهوات انفسكم ، اتريدون أن تأتوا إلي كما أتيتم إلى أبي من قبل ، كلا ورب الراقصات [1] فإن الجرح لما يندمل ، قُتل أبي بالأمس وأهل بيته ، ولم ينس ثكل رسول الله (ص) وثكل أبي ، وبني أبي ، إن وجده والله بين لهاتي ، ومرارته بين حناجري وحلقي ، وغصته تجري في فراش صدري . . . »[2]

وأمسك الإمام عن الكلام معرضاً عن أولئك الغدرة الفجرة الذين هم وصمة عار على البشرية ، فهم الذين قتلوا ريحانة رسول الله (ص) الذي جاء ليحررهم ، وينقذهم من ظلم الأمويين وجورهم ، وبعد ذلك ندموا ، وراحوا يبكون عليه .

الطاغية مع الإمام :

وأدخلت سبايا آل رسول الله (ص) إلى قصر الامارة حيث يقيم فيه حاكم الكوفة ابن مرجانة ، وقد بصر الطاغية بالإمام زين العابدين عليه السلام وقد انهكته العلة ، فسأله قائلاً :

- «من أنت؟ . . »

- «علي بن الحسين. . »

-«أو لمْ يقتل الله علي بن الحسين؟».

فأجابه الإمام بأناة :

---

(١) الراقصات : مطايا الحجيج.

(٢) مثير الأحزان لابن نما ، اللهوف .

« كان لي أخ يُسمى علياً قتلتموه ، وان له منكم مطلباً يوم القيامة . . . »

فثار ابن زياد في وقاحة وصلف ، وصاح بالإمام :

« الله قتله . . »

فأجابه الإمام بكل شجاعة وثبات :

« الله يتوفى الأنفس حين موتها ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله . . . » .

ودارت الأرض بابن مرجانة ، وأخذته العزة بالإثم ، وغاظه أن يتكلم هذا الغلام الأسير بهذه الطلاقة وقوة الحجة ، والأستشهاد بالقرآن ، ويرد عليه كلامه فصاح به :

« وبك جرأة على رد جوابي !! وفيك بقية للرد علي؟ . . . » .

وصاح الرجس الخبيث بأحد جلاديه :

« خذ هذا الغلام واضرب عنقه . . . »

وطاشت أحلام السيدة زينب حفيدة الرسول (ص)، وانبرت بشجاعة لا يرهبها سلطان ، فاعتنقت الإمام ، وقالت لابن مرجانة :

« حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت ، وهل ابقيت أحداً غير هذا ؟ فإن أردت قتله فاقتلني معه » .

وبهر الطاغية ، وقال متعجباً :

« دعوه لها ، يا للرحم ودث أنها تقتل معه . . »

ولولا هذا الموقف البطولي من العقيلة لقتل الإمام زين العابدين وذهبت البقية من نسل الإمام الحسين عليه السلام التي هي مصدر الخير والشرف في الأرض . . وروى الجاحظ في رسائله أن ابن مرجانة قال لأصحابه في علي بن الحسين :

« دعوني اقتله فإنه بقية هذا النسل ـ يعني نسل الحسين ـ فاحسم به هذا القرن ، وأميت به هذا الداء ، واقطع به هذه المادة . . . » .

إلا أنهم أشاروا عليه بالإمساك عنه معتقدين أن ما ألم به من المرض سوف يقضي عليه[1].

اختطاف الإمام :

واختطف بعض الكوفيين الإمام زين العابدين، وأخفاه في داره، وجعل يكرمه ويحسن إليه ، وكان كلما رآه أجهش بالبكاء فظن الإمام به خيراً إلا أنه لم تمض فترة يسيرة من الزمن حتى نادى منادي ابن زياد ، من وجد علي بن الحسين وأتى به فله ثلاث مائة درهم ، فلما سمعه الكوفي أسرع إلى الإمام فجعل في عنقه حبلاً وربط يديه بالحبل ، وأخذ الدراهم[2] وهذه البادرة الغريبة ـ إن صحت ـ فإنها تعطي صورة عن تهالك المجتمع الكوفي على المادة ، وتفانيه في الحصول عليها بأي طريق كان .

سبايا آل البيت إلى دمشق :

وحملت ودائع الرسالة ، وعقائل الوحي إلى دمشق الشام ، وهن في حالة مشجية تذوب من هولها النفوس ، وقد خرجت الكوفة بجميع طبقاتها لتوديع سبايا نبيهم ، وقد عج الرجال والنساء بالبكاء ، وقد استغرب الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك منهم وراح يقول :

« هؤلاء قتلونا ، ويبكون علينا !!»[3].

وأمر الخبيث الدنس شمر بن ذي الجوشن أن يغل الإمام زين العابدين بغل في عنقه فغل[4] ، وانطلق الركب في مسيرته نحو الشام ، ويقول المؤرخون : إن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يتكلم مع الجفاة الذين

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣/٣٤٥ـ ٣٤٧.
(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ٩٨) المنتظم لابن الجوزي الجزء الخامس ، طبقات ابن سعد .
(٣) مرآة الزمان (ص ٩٩) .
(٤) انساب الأشراف ق ١/ج ١.

رافقوه بكلمة واحدة ولا طلب منهم أي شيء في طيلة الطريق[1] فقد عرفهم اخباثاً لئاماً لا يستجيبون لأي أمر يأمرهم به .

وسارت القافلة لا تلوي على شيء حتى انتهت إلى القرب من دمشق ، فأقيمت هناك حتى تتزين البلد بمظهر الزهو والأفراح .

ولما تزينت دمشق بأبهى زينة ادخلت سبايا آل النبي (ص) وسط هالة من التهليل والتكبير للنصر الذي احرزه حفيد أبي سفيان على حفيد رسول الله (ص).

الشامي مع زين العابدين :

وانبرى شيخ من أهل الشام قد ضللته الدعايات الكاذبة نحو الإمام زين العابدين عليه السلام ، وقد رفع عقيرته :

« الحمدلله الذي اهلككم ، وأمكن الأمير منكم . . . »

وبصر به الإمام فرآه مخدوعاً ، قد خفي عليه الحق ، وخدعه الإعلام الأموي فقال له :

« يا شيخ قرأت القرآن ؟ . . ».

« بلى . . »

« أقرأت قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ وقوله تعالى : ﴿ واعلموا انما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى ﴾؟ . . . »

وبهر الشيخ فقال بصوت خافت :

« نعم قرأت ذلك . . »

قال له الإمام :

« نحن والله القربى في هذه الآيات ، يا شيخ أقرأت قوله تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾.

« بلى ».

« نحن أهل البيت الذين خصهم الله بالتطهير . . . » .

وسرت الرعدة في أوصال الشيخ ، وتمنى أن تكون الأرض قد وارته ولم يقل ذلك، وقال للإمام :

« بالله عليكم أنتم هم؟ . . »

« وحق جدنا رسول الله (ص) انا لنحن هم من غير شك . . . »

وألقى الشيخ بنفسه على الإمام وهو يوسع يديه تقبيلاً ودموعه تجري على سحنات وجهه قائلاً :

« ابرأ الى الله ممن قتلكم . . . »

وطلب الشيخ من الإمام أن يمنحه التوبة، ويعفو عنه ، فعفا عليه السلام عنه[1] . . .

الإمام في مجلس يزيد:

وعمد جلاوزة يزيد إلى عقائل الوحي وأطفال الإمام الحسين فربقوهم بالحبال كما تربق الأغنام ، فكان الحبل في عنق الإمام زين العابدين إلى عنق عمته زينب ، وباقي بنات رسول الله (ص) وكانوا كلما قصروا عن المشي أوسعوهم ضرباً بالسياط ، وجاؤوا بهم على مثل هذه الحالة التي تتصدع من هولها الجبال ، فأوقفوهم بين يدي يزيد ، فالتفت إليه الإمام زين العابدين فقال له :

« ما ظنك بجدنا رسول الله (ص) لو يرانا على مثل هذه الحالة؟ » . . فتهافت الطاغية ، ولم يبق أحد في مجلسه إلا بكى ، وتألم يزيد من ذلك المنظر المفجع فراح يقول :

« قبح الله ابن مرجانة لو كان بينكم وبينه قرابة لما فعل بكم هذا . . »

ثم أمر الطاغية بالحبال فقطعت ، والتفت إلى زين العابدين فقال له :

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣/٣٧١.

« ايه يا علي بن الحسين أبوك الذي قطع رحمي ، وجهل حقي ، ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما رأيت . . »

فأجابه شبل الحسين بكل هدوء واطمئنان :

« ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور . . . »

وتميز الطاغية غضباً ، وذهبت نشوة أفراحه ، وتلا قوله تعالى : ﴿ ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم . ﴾ ورد عليه الإمام قائلاً :

« هذا في حق من ظلم ، لا في حق من ظُلم . . ».

وزوى بوجهه عنه احتقاراً له ، واستهانة بشأنه[1] .

خطاب الإمام زين العابدين :

وأذن يزيد للناس إذناً عاماً ، وقد ازدحم بهو قصره بمختلف الطبقات ، وهم يهنئونه بالنصر الكاذب ، وهو جذلان مسرور قد استوسقت له الدنيا ، وصفا له الملك ، وقد أوعز إلى الخطيب أن يعتلي المنبر ، وينال من الإمام الحسين ، وأبيه الإمام أمير المؤمنين ، وصعد الخطيب المنبر ، وبالغ في ذم العترة الطاهرة واثنى ثناءً كاذباً على يزيد وأبيه ، فانبرى إليه الإمام زين العابدين عليه السلام فصاح به :

« ويلك أيها الخاطب اشتريت رضاء المخلوق بسخط الخالق ، فتبوأ مقعدك من النار . . ».

واتجه الإمام نحو يزيد فقال له :

« اتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فاتكلم بكلمات فيهن لله رضا ، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب . . ».

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣٧٦/٣.

وبهت الحاضرون ، وعجبوا من هذا الفتى العليل الذي رد على الخطيب والأمير وهو أسير ، فرفض يزيد إجابته ، وألح عليه الجالسون بالسماح له ، فرد عليهم يزيد قائلاً :

« إن صعد المنبر لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان . . . ».

فعجبوا من ذلك ، وقالوا له :

وما مقدار ما يحسن هذا العليل؟ ».

إنهم لا يعرفون الإمام ، وحسبوا أنه كبقية الناس ، ولكن الطاغية يعرفه فقال لهم :

« إنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً. . . ».

وأخذوا يلحون عليه في أن يسمح له في الخطاب ، ولم يجد بُداً من إجابتهم فسمح له ، واعتلى الإمام اعواد المنبر فخطب خطاباً رائعاً لم يشاهد له التاريخ مثيلاً في روعته وبلاغته وقد ابكى العيون ، واضطرب الجالسون، فقد هيمن على قلوبهم ومشاعرهم ، وكان من جملة ما قاله : « أيها الناس اعطينا ستاً ، وفضلنا بسبع : اعطينا العلم والحلم ، والسماحة والفصاحة ، والشجاعة ، والمحبة في قلوب المؤمنين ، وفضلنا بأن منا النبي المختار محمد (ص) ومنا الصديق ، ومنا الطيار ، ومنا أسد الله ، وأسد الرسول (ص) ومنا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول ، ومنا سبطا هذه الأمة وسيدا شباب اهل الجنة .

وبعد هذه المقدمة التعريفية لأسرته ، أخذ عليه السلام في بيان فضائلهم قال :

« فمن عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني انبأته بحسبي ونسبي ، أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن زمزم والصفا ، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء ، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى ، أنا ابن خير من انتعل واحتفى ، أنا ابن خير من طاف وسعى ، أنا ابن خير من حج ولبى ، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا ، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فسبحان من أسرى ، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى ، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من صلّى

بملائكة السمـا ، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى ، أنا ابن محمد المصطفى ، أنا ابن علي المرتضى ، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا : لا إلّه إلا الله ، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله (ص) بسيفين ، وطعن برمحين ، وهاجر الهجرتين ، وبايع البيعتين ، وصلى القبلتين ، وقاتل ببدر وحنين ، ولم يكفر بالله طرفة عين ، أنا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيين ، وقاطع الملحدين ، ويعسوب المسلمين ، ونور المجاهدين وزين العابدين ، وتاج البكائين ، واصبر الصابرين ، وأفضل القائمين من آل ياسين ، ورسول رب العالمين ، أنا ابن المؤيد بجبرئيل ، المنصور بميكائيل ، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين ، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، والمجاهد اعداءه الناصبين ، وأفخر من مشى من قريش أجمعين ، وأول من أجاب واستجاب لله من المؤمنين ، وأقدم السابقين ، وقاصم المعتدين ، ومبير المشركين ، وسهم من مرامي الله على المنافقين ، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين الله ، وولي أمر الله ، وبستان حكمة الله ، وعيبة علم الله ، سمح ، سخي ، بهلول ، زكي ابطحي، رضي ، مرضي مقدام همام ، صابر ، صوام ، مهذب قوام ، شجاع قمقام ، قاطع الأصلاب ، ومفرق الأحزاب ، أربطهم جنانا ، واطلقهم عنانا ، واجرأهم لساناً ، وأمضاهم عزيمةً ، وأشدهم شكيمة ، أسد ، باسل ، وغيث هاطل ، يطحنهم في الحروب، ويذرهم ذرو الريح الهشيم ، ليث الحجاز ، وصاحب الاعجاز ، وكبش العراق ، الإمام بالنص ، والاستحقاق ، مكي مدني ابطحي ، تهامي ، خيعن عقبي ، بدري ، احدي ، وشجري مهاجري ، من العرب سيدها ، ومن الوغى ليثها ، وارث المشعرين وأبو السبطين الحسن والحسين ، مظهر العجائب ، ومفرق الكتائب والشهاب الثاقب ، والنور العاقب ، اسد الله الغالب مطلوب كل طالب ، غالب كل غالب ، ذاك جدي علي بن أبي طالب، أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا ابن سيدة النساء ، أنا ابن الطهر البتول ، أنا ابن بضعة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم[1] أنا ابن

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣٨٧/٣.

المزمل بالدماء ، أنا ابن ذبيح كربلاء ، أنا ابن من بكى عليه الجن من الظلماء ، وناحت عليه الطير في الهواء[1].

ولم يزل يقول الإمام أنا : حتى ضج الناس بالبكاء ، وخشي يزيد من وقوع الفتنة وحدوث مالا تحمد عقباه، فقد أوجد خطاب الإمام انقلاباً فكرياً ، فقد عرف الإمام نفسه لأهل الشام ، وأحاطهم علماً بما كانوا يجهلون ، فأوعز يزيد إلى المؤذن أن يؤذن ليقطع على الإمام كلامه فصاح المؤذن :

« الله أكبر. . »

فالتفت إليه الإمام فقال له : « كبرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله ، فلما قال المؤذن :

« أشهد أن لا إله إلا الله. . ».

قال علي بن الحسين : شهد بها شعري وبشري ، ولحمي ودمي ، ومخي وعظمي ، ولما قال المؤذن :

« أشهد أن محمداً رسول الله ». .

التفت الإمام إلى يزيد فقال له :

« يا يزيد ، محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت ، وإن قلت : إنه جدي فلم قتلت عترته. . . »[2].

ووجم يزيد ، ولم يطق جواباً، فإن الرسول العظيم هو جد سيد العابدين وأما جد يزيد فهو أبو سفيان العدو الأول للنبي (ص) واستبان لأهل الشام أنهم غارقون في الإثم ، وأن الحكم الأموي قد جهد في غوايتهم واضلالهم .

لقد اقتصر خطاب الإمام على التعريف بالأسرة النبوية ، وما لها من عظيم الفضل والشأن عند الله ، وما قامت به من أعمال جهادية في سبيل الإسلام ، كما تعرض لما جرى عليهم من صنوف القتل والارهاق ، ولم

---

(١) نفس المهموم (ص ٢٤٢).
(٢) مقتل الخوارزمي ٢٤٢/٢.

يتعرض لغير ذلك ، وفيما احسب أن الاقتصار على ذلك من أروع صور الالتفات ، ومن أدق انواع البلاغة فقد كان المجتمع الشامي لا يعرف شيئاً عن أهل البيت سوى ما كان يفتعله ضدهم وعاظ السلاطين ، فقد غذتهم السلطة وعملاؤها بالعداء لآل البيت وبالولاء لبني أمية .

وعلى أي حال فقد أثر خطاب الإمام في أوساط أهل الشام تأثيراً بالغاً ، وجعل بعضهم يسر إلى بعض بدجل الاعلام الأموي ، وبالخيبة والخسران اللذين آلوا إليهما، حتى تغيرت أحوالهم مع يزيد[1] وأخذوا ينظرون إليه باذدراء واحتقار.

الإمام مع المنهال :

والتقى الإمام زين العابدين عليه السلام بالمنهال بن عمر ، فبادره قائلاً : « كيف امسيت يا ابن رسول الله؟ . . »

فرمقه الإمام بطرفه ، وقال له :

« أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون ، يذبحون ابناءهم، ويستحيون نساءهم ، امست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها ، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها ، وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين ، فانا لله وانا إليه راجعون »[2].

لقد كان الرسول الأعظم المصدر الأصيل لشرف الأمة العربية فهو الذي خطط لها الحياة الكريمة ، وبنى لها دولة كانت من أعز دول العالم وامنعها، فكان جزاؤه أن عمدت قريش التي تفتخر على العرب بأن محمداً منها إلى قتل ذريته ، واستئصال شأفتهم، وسبي نسائهم .

---

(١) جوهرة الكلام في صلاح السادة الأعلام (ص ١٢٨).
(٢) حياة الإمام الحسين ٣/٢٩١ .

اعتذار الطاغية من الإمام :

ولما كثر الناقمون على يزيد بقتله لريحانة رسول الله (ص) دعا الإمام زين العابدين عليه السلام فأبدى له معاذيره ، والقى المسؤولية على ابن مرجانة، قائلاً :

« لعن الله ابن مرجانة ، أما والله لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلا اعطيته اياها ، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ، ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن قضى الله ما رأيت ، يا بني كاتبني بكل حاجة تكون لك[1] وانه سيكون في قومك أمور فلا تدخل معهم في شيء »[2] .

واعرض الإمام عنه ، ولم يجبه بشيء ، فقد عرف واقع اعتذاره ، وأنه كان هرباً من الجريمة التي اقترفها .

حبر يسأل عن الإمام :

وكان في مجلس الطاغية يزيد حبر يهودي ، وقد اعجب بالإمام زين العابدين عليه السلام، فقال ليزيد:

- «من هذا الغلام ؟»
- «علي بن الحسين . . »
- «من الحسين؟ » . .
- «ابن علي بن أبي طالب . . »
- «من أمه؟»
- «بنت محمد . . »
- «يا سبحان الله !! هذا ابن بنت نبيكم قتلتموه ، بئسما خلفتموه في ذريته ، فوالله لو ترك نبينا موسى بن عمران فينا سبطاً لظننت أنا كنا نعبده من دون ربنا ، وأنتم فارقكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابنه وقتلتموه سوأة لكم من أمة . . . » .

---

(١) تأريخ ابن الأثير ٣/٣٠٠.
(٢) تهذيب التهذيب ١٥٧/١.

وغضب الطاغية ، وأمر فوجئ[1] في حلقه ، فرفع الحبر عقيرته قائلاً :

« إن شئتم فاقتلوني ، فإني وجدت في التوراة من قتل ذرية نبي فلا يزال ملعوناً أبداً ما بقي فإذا مات اصلاه الله نار جهنم »[2] .

الإمام مع يزيد :

واجتمع الإمام زين العابدين بالطاغية يزيد فعرض عليه أن يطلب منه حاجة ، فقال عليه السلام :

« أريد منك أن تريني وجه أبي ، وأن تعيد على النساء ما أخذ منهن ، ففيها مواريث الآباء والأمهات ، وإذا كنت تريد قتلي ، فأرسل مع العيال من يؤدي بهن إلى المدينة . . » .

وإنما طلب الإمام عليه السلام أن يريه رأس أبيه ، وذلك ليودعه الوداع الأخير ، أو ليواريه مع جسده الشريف ، ولكن الطاغية لم يجبه إلى ذلك فقد أمر أن يطاف به في جميع أنحاء البلاد ، وذلك لإشاعة الذعر والفزع بين الناس ، وحتى يكون عبرة لكل من يحاول الخروج عليه .

وأما طلب الإمام أن يعيد على النساء ما نهب منهن في يوم العاشر من المحرم ، فإنه لم يرد بذلك الحلي والحلل ، وإنما أراد أن يرد عليهن المواريث النفيسة التي ورثوها من جدهم الرسول (ص) كعمامته ودرعه وسيفه ، وغير ذلك مما هو أثمن من المال .

وأطرق الطاغية برأسه إلى الأرض يفكر فيما طلبه الإمام منه ثم رفع رأسه ، وقال له :

« أما وجه أبيك فلن تراه، وأما ما أخذ منكم فيرد إليكم ، وأما النسوة فلا يردهن غيرك ، وقد عفوت عن قتلك . . »[3] .

---

(١) فوجئ : أي ضرب ودق .
(٢) الحدائق الوردية ١/١٣١، الفتوح ٥/٢٤٦ .
(٣) حياة الإمام الحسين ٣/٤١٤ .

السفر إلى يثرب :

وعهد يزيد إلى النعمان بن بشير أن يصاحب ودائع رسول الله (ص) وعقائل الرسالة ، ويردهن إلى يثرب[1] وأمر بإخراجهن ليلاً خوفاً من الفتنة ، وإضطراب الأوضاع[2] وسارت القافلة تطوي البيداء لا تلوي على شيء ، وطالبت العلويات من الوفد المكلف بحراستهن أن يعرج بهن إلى كربلاء ليجددن عهداً بقبر سيد الشهداء عليه السلام ولما انتهى إلى كربلاء هرعت العلويات إلى مرقد الإمام أبي عبد الله عليه السلام بالصراخ والعويل ، وسالت الدموع منهن كل مسيل ، وبقين ثلاثة أيام في كربلاء وهن يندبن الإمام بأشجى ندبة حتى بُحت الأصوات ، وتفتتت القلوب ، وصرحت بعض المصادر أن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري قد تشرف بزيارة قبر أبي عبد الله (ع) فالتقى به الإمام زين العابدين (ع) وحدثه عما جرى على أهل البيت (ع) من صنوف الرزايا ، وأنواع الخطوب ، ثم غادروا كربلاء متوجهين إلى يثرب[2] .

وأخذ موكب أهل البيت يجد في السير لا يلوي على شيء حتى إنتهى إلى القرب من يثرب ، وقد جللته الأحزان والآلام ، وقد فاضت عيون العلويات بالدموع على الإمام الحسين ، وهن يذكرن بمزيد من اللوعة والأسى ما جرى عليهن من أسر الذل والهوان .

نعي بشر للإمام :

ولما وصل الإمام زين العابدين عليه السلام بالقرب من يثرب نزل فضرب فسطاطه ، وأنزل عماته وأخواته ، والتفت إلى بشر بن حذلم فقال له : يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً ، فهل تقدر على شيء منه ؟ فقال له : نعم يا ابن رسول الله ، فأمره الإمام أن يدخل المدينة وينعى لأهلها الإمام

---

(١) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام (ص ١٢٨) .

(٢) تفسير المطالب في امالي أبي طالب ص (٩٣) ، الحدائق الوردية ١/١٣٣ .

الحسين ، وإنطلق بشر إلى المدينة فلما انتهى إلى الجامع النبوي رفع صوته مشفوعاً بالبكاء ، وهو يقول :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القناة يدار

وهرعت الجماهير نحو الجامع النبوي ، وقد علا صراخهم بالبكاء على الإمام عليه السلام ، وقد احتفت ببشر تنتظر منه المزيد من الأنباء وهو غارق بالبكاء ، فقال لهم :

« هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه . . »[1] .

وهرعت الجماهير إلى استقبال الإمام زين العابدين ، وقد عجوا بالبكاء والعويل ، فكان ذلك ـ كما وصفه المؤرخون ـ كاليوم الذي مات فيه رسول الله (ص)[2] وازدحموا على الإمام وهم يعزونه بمصابه الأليم ، ويشاركونه الأسى واللوعة .

خطاب الإمام زين العابدين :

ورأى الإمام عليه السلام أن يحدث الناس بما جرى عليهم من عظيم الرزايا والنكبات ، ولم يكن باستطاعته أن يقوم خطيباً فقد ألمت به الأمراض ، وأنهكته الآلام فجيء له بكرسي فجلس عليه فقال :

« الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، بادىء الخلق أجمعين ، الذي بعُد فارتفع في السماوات العلى ، وقرب فشهد النجوى ، نحمده على عظائم الأمور ، وفجائع الدهور ، وألم الفجائع ، ومضاضة اللواذع ، وجليل الرزء ، وعظيم المصائب الفاظعة ، الكاظة ، الفادحة ، الجائحة .

---

(١) حياة الإمام الحسين ٣/٤٢٣ .
(٢) اللهوف (ص ١١٦) .

أيها القوم إن الله تعالى ابتلانا بمصائب جليلة ، وثلمة في الإسلام عظيمة ، قُتل أبو عبد الله الحسين وعترته ، وسبيت نساؤه وصبيته ، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان ، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية .

أيها الناس فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله أم أي فؤاد لا يحزن من أجله أم أية عين منكم تحبس دمعها ، وتضن عن انهمالها ، فلقد بكت السبع الشداد لقتله ، وبكت البحار بأمواجها . والسماوات بأركانها ، والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها ، والحيتان في لجج البحار ، والملائكة المقربون ، وأهل السماوات أجمعون .

أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله ، أم أي فؤاد لا يحن إليه ، أم أي سمع يسمع بهذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم .

أيها الناس أصبحنا مشردين ، مطرودين ، مذودين ، شاسعين عن الأمصار كأننا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، إن هذا إلا اختلاق ، والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، من مصيبة ما أعظمها ، وأفجعها ، وأكظها ، وأفظعها وأمرها ، وأفدحها ،فعنده نحتسب ما أصابنا ، فإنه عزيز ذو انتقام . . » .

وعرض الإمام في خطابه إلى الخطوب السود التي عانتها الأسرة النبوية وما جرى عليها من النكبات والظلم الهـائل ، فلم تراع فيهم حق النبي (ص) .

وانبرى إليه صعصعة فألقى إليه معاذيره ، لأنه كان زمناً ، فترحم الإمام عليه السلام على أبيه ، ثم سار الإمام مع عماته وأخواته ، وقد احتفت به الجماهير ، وقد علا منها البكاء والصراخ حتى انتهوا إلى الجامع النبوي فأخذت عقيلة آل أبي طالب بعضادتي باب الجامع ، وجعلت تخاطب جدها الرسول صلى الله عليه وآله قائلة :

« يا جداه إني ناعية إليك أخي الحسين »[1] .

وأقامت السيدات من عقائل الوحي المآتم على سيد الشهداء ، ولبسن السواد ، وأخذن يندبنه بأشجى ما تكون الندبة .

حزن الإمام زين العابدين :

وخلد الإمام زين العابدين عليه السلام إلى البكاء ليلاً ونهاراً حزناً على أبيه وأهل بيته ، يقول الإمام الصادق عليه السلام : إن جدي علي بن الحسين بكى على أبيه عشرين سنة ، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى[2] وعذله بعض مواليه فقال له :

« إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين . . » .

فقال الإمام برفق :

« يا هذا إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون ، إن يعقوب كان نبياً فغيب الله عنه واحداً من أولاده ، وعنده إثنا عشر ولداً ، وهو يعلم أنه حي ، فبكى عليه ، حتى ابيضت عيناه من الحزن ، وإني نظرت إلى أبي واخوتي وعمومتي ، وصحبتي ، مقتولين حولي ، فكيف ينقضي حزني ؟ وإني لا أذكر مصرع ابن فاطمة إلا خنقتني العبرة ، وإذا نظرت إلى عماتي وأخواتي ذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة[3] .

ويزداد وجيب الإمام ، وتتضاعف الآمه حينما كان ينظر إلى الماء ، فإنه كان يذكره بعطش أبيه وأهل بيته ، ويقول الرواة : انه كان إذا أخذ ماءً ليشرب بكى ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : كيف لا أبكي ، وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش[4] .

(١) مقتل الحسين للقرم ص ٤٧٢ .
(٢) الإمام زين العابدين لأحمد فهمي (ص ٣١) .
(٣) مقتل الحسين للمقرم (ص ٤٧) وقريب منه في حلية الأولياء ١٣٨/٣ .
(٤) بحار الأنوار ١٠٨/٤٦ .

لقد كان دائم البكاء على أبيه ، وقد قيل له : إنك لتبكي دهرك ، فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا ، فقال : نفسي قتلتها ، وعليها أبكي[1] .

وقد أشفق عليه جماعة من مواليه وأهل بيته من كثرة بكائه على أبيه فقال له بعضهم :

« أما آن لحزنك أن ينقضي ؟ . . » .

فرد عليه الإمام قائلاً :

« ويحك إن يعقوب النبي كان له إثنا عشر إبناً فغيب الله واحداً منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه ، واحدودب ظهره من الغم ، وكان ابنه حياً في الدنيا ، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي ، وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني ؟ . . »[2] .

لقد ذابت نفسه الزكية أسى وحزناً على أبيه وأهل بيته وأصحابه الذين حصدت رؤوسهم سيوف البغي بصورة قاسية لم يعهد لها مثيل في تأريخ الحروب .

وفاؤه لديون أبيه :

وكان الإمام الحسين عليه السلام مديناً لجماعة ما يزيد على سبعين ألف دينار ، وقد اهتم الإمام زين العابدين عليه السلام اهتماماً بالغاً بوفائها ، حتى امتنع عن الطعام والشراب ، ولما تهيأ له المبلغ بادر إلى تسديدها وتفريغ ذمة أبيه منها[3] .

حنوه على آل عقيل :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يحنو كثيراً على آل عقيل ، ويميل

---

(١) بحار الأنوار ٤٦/١٠٩ .
(٢) بحار الأنوار ٤٦/١٠٨ .
(٣) سر السلسلة العلوية (ص ٣٢) .

لهم أكثر مما يميل إلى أبناء عمومته وأسرته ، وذلك لما لهم من المواقف المشرفة يوم الطف ، فقد انبرى أبناء عقيل وأحفاده الممجدون إلى التضحية والشهادة بين يدي الإمام الحسين عليه السلام ، وكان معظمهم في غضارة العمر ، وريعان الصبا ، ولم يبلغوا الحلم ، وقد تسابقوا إلى الشهادة بصورة مذهلة ، ففدوا دين الله بأرواحهم ، ولم يسلم أحد منهم في تلك المعركة .

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يعطف عليهم ، ويقدمهم على البقية الباقية من أسرته ، وقد قيل له في ذلك ، فقال عليه السلام : إني أذكر يومهم مع أبي عبد الله عليه السلام فأرق لهم[1] وكان من بره بآل عقيل ، وتعاطفه معهم أن المختار بن يوسف الثائر العظيم ، قدم للإمام أموالاً كثيرة ، فبنى بها دور آل عقيل التي هدمتها السلطة الأموية[2].

إقامته في يثرب :

وأقام الإمام عليه السلام في يثرب لم يخرج عنها إلا لحج بيت الله الحرام ويقول الرواة : انه سافر إلى العراق لزيارة قبر جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[2] ومن المؤكد انه زار قبر أبيه الإمام الحسين عليه السلام وبهذا ينتهي بنا الحديث عن رزايا كربلاء ، وما عاناه الإمام عليه السلام من أهوال وخطوب .

---

(١) كامل الزيارات (ص ١٠٧) .

(٢) غاية الاختصار (ص ١٦٠) .

عباداته

وأجمع المسلمون على أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان من أعبد الناس ، وأكثرهم طاعة لله تعالى ، ولم ير الناس مثله في عظيم انابته وعبادته ، وقد بهر بها المتقون والصالحون ، وحسبه أنه وحده في تأريخ الإسلام قد لُقب بزين العابدين وسيد الساجدين .

أما عبادته عليه السلام فلم تكن تقليدية ، وإنما كانت ناشئة عن إيمانه العميق بالله تعالى ، وكمال معرفته به ، فقد عبده لا طمعاً في جنته ، ولا خوفاً من ناره وإنما وجده أهلاً للعبادة فعبده ، شأنه في ذلك شأن جده الإمام أمير المؤمنين وسيد العارفين وإمام المتقين ، الذي عبد الله عبادة الأحرار ، وقد اقتدى به حفيده العظيم زين العابدين (ع) وقد اعرب (ع) عن عظيم اخلاصه في عبادته، فقال : « إني أكره أن أعبدالله، ولا غرض لي إلا ثوابه ، فأكون كالعبد الطامع ، إن طمع عمل ، وإلا لم يعمل ، واكره أن اعبده لخوف عذابه ، فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل . . » .

فانبرى إليه بعض الجالسين فقال له :

« فبم تعبده ؟ » .

فأجابه عن خالص إيمانه .

واعبده لما هو أهله بأياديه وأنعامه . . . »[1] .

---

(١) تفسير العسكري (ص١٣٢).

لقد كانت عبادته عن معرفة لا يشوبها شك أو وهم ، كما لم تك وليدة طمع أو خوف ، وإنما كانت وليدة إيمان عميق ، وقد تحدث عليه السلام عن أنواع العبادة بقوله : « إن قوماً عبدوا الله عز وجل رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ، وقوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار . . »[1] هذه أنواع العبادة والطاعة، واثقلها في الميزان ، وأحبها لله هي عبادة الأحرار التي لا تكون إلا شكراً للمنعم العظيم لا طمعاً في ثوابه ، ولا خوفاً من عقابه ، وقد أكد الإمام عليه السلام ذلك في حديث آخر له قال: « عبادة الأحرار لا تكون إلا شكراً لله لا خوفاً ولا رغبة »[2].

لقد امتزج حب الله في قلب الإمام ، وعواطفه فكان من ذاتياته وعناصره ، ويقول الرواة : أنه كان مشغولاً بعبادة الله وطاعته في جميع اوقاته وقد سئلت جارية له عن عبادته فقالت :

« أطنب ، أو أختصر . . . ».

« بل اختصري . . ».

ما أتيته بطعام نهاراً قط ، وما فرشت له فراشاً بليل قط . . . »[3]

لقد قضى الإمام (ع) معظم حياته صائماً نهاره ، قائماً ليله ، مشغولاً تارة في الصلاة، وأخرى في صدقة السر . . . ومن المؤكد انه ليس في تأريخ زهاد المسلمين وعبادهم مثل الإمام علي بن الحسين في عظيم اخلاصه وطاعته لله ، ونعرض لبعض شؤون عباداته .

وضوؤه :

أما الوضوء فهو نـور وطهارة من الـذنوب ،والمقـدمة الأولى للصـلاة ، وكان الإمام عليه السلام دوماً على طهارة ، وقد حدث الرواة عن خشوعه لله

---

١) صفة الصفوة ٢/٥٣ شذرات الذهب ١/١٠٥ الحلية ٣/١٣٤ البداية والنهاية ٩/١٠٥ ودرر الابكار (ورقة ٧٠) .

٢) الكواكب الدرية ٢/١٣٩.

٣) الخصال (ص ٤٨٨).

في وضوئه، فقالوا : إنه إذا أراد الوضوء اصفر لونه ، فيقول له أهله :

« ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء ؟ . . » .

فأجابهم عن خوفه ، وخشيته من الله قائلاً :

« اتدرون بين يدي من أقوم؟ . . . »[1].

وبلغ من اهتمامه أنه كان لا يعينه أحد عليه ، وكان بنفسه يستقي الماء لطهوره ويخمره قبل أن ينام ، فإذا قام من الليل بدأ بالسواك ثم شرع في وضوئه وبعد الفراغ منه يقبل على صلاته[2].

صلاتــه :

أما الصلاة فمعراج المؤمن ، وقربان كل تقي - كما في الحديث - وكانت الصلاة من أهم الرغبات النفسية للإمام (ع) فقد اتخذها معراجاً ترفعه إلى الله ، وتسمو به إلى الاتصال بخالق الكون وواهب الحياة ، وكانت تأخذه رعدة إذا أراد الشروع في الصلاة فقيل له في ذلك فقال : اتدرون بين يدي من أقوم ، ومن أناجي ؟[3] ونعرض لبعض شؤونه في حال صلاته وتطيبه .

تطيبه للصلاة:

وكان الإمام إذا أراد الصلاة تطيب من قارورة كان قد جعلها في مسجد صلاته[4] فكانت روائح المسك تعبق منه .

لباسه في صلاتــه :

وكان الإمام عليه السلام إذا أراد الصلاة لبس الصوف ، واغلظ الثياب[5] مبالغة منه في اذلال نفسه أمام الخالق العظيم .

---

(١) درر الأبكار ورقة ٧٠ نهاية الأرب ٣٢٦/٢١ سير أعلام النبلاء ٢٣٨/٤ الأتحاف بحب الأشراف (ص ٤٩) أخبار الدول (ص ١٠٩).

(٢) صفة الصفوة ٥٣/٢ .

(٣) وسيلة المآل (ورقة ٢٠٧) سير أعلام النبلاء ٣٨/٤، صفوة الصفوة ٥٢/٢ حلية الأولياء ١٣٢/٣ العقد الفريد ١٠٣/٣.

(٤) البحار ٥٨/٤٦ .

(٥) البحار ١٠٨/٤٦ .

خشوعه في صلاته :

أما صلاة الإمام عليه السلام فكانت تمثل الانقطاع التام إلى الله تعالى ، والتجرد من عالم الماديات ، فكان لا يحس بشيء من حوله ، بل لا يحس بنفسه ، فقد تعلق قلبه بالله ، ووصفه الرواة في حال صلاته، فقالوا : كان إذا قام إلى الصلاة غشى لونه بلون آخر ، وكانت اعضاؤه ترتعد من خشية الله ، وكان يقف في صلاته موقف العبد الذليل بين يدي الملك الجليل ، وكان يصلي صلاة مودع يرى أنه لا يصلي بعدها أبداً ، وتحدث الإمام الباقر عن خشوع أبيه في صلاته فقال : كان علي بن الحسين إذا قام في الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء إلا ما حركت الريح منه[١] ونقل أبان بن تغلب إلى الإمام الصادق عليه السلام صلاة جده الإمام زين العابدين (ع) فقال له :

« إني رأيت علي بن الحسين إذا قام في الصلاة غشي لونه لوناً آخر. . . » وبهر الإمام الصادق عليه السلام فقال :

« والله ان علي بن الحسين كان يعرف الذي يقوم بين يديه . . . »[٢] أجل والله انه كان على معرفة تامة بعظمة الخالق الحكيم ، فكانت عبادته له عن معرفة وطاعته له عن إيمان .

وكان من مظاهر خشوعه في صلاته انه إذا سجد لا يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً[٣] أو كأنه غمُس في الماء من كثرة دموعه وبكائه[٤] ونقل الرواة عن أبي حمزة الثمالي أنه رأى الإمام قد صلى فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوه فسأله أبو حمزة عن ذلك فقال له : ويحك اتدري بين يدي من كنت؟ ان العبد لا يقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه[٥] .

---

(١) وسائل الشيعة ٤/٦٨٥.
(٢) وسائل الشيعة ٤/٦٨٥.
(٣) تهذيب الأحكام ٢/٢٨٦ البحار ٤٦/٧٩.
(٤) البحار ٤٦/١٠٨.
(٥) علل الشرايع (ص ٨٨) البحار ٤٦/٦١ وسائل الشيعة ٤/٦٨٨.

وبلغ من شدة تعلقه بالله في حال صلاته أن ابناً له سقط في بئر ففزع أهل المدينة فانقذوه ، وكان الإمام قائماً يصلي في محرابه ، ولم يشعر بذلك ، ولما انتهى من صلاته قيل له بذلك فقال : ما شعرت ، إني كنت أناجي رباً عظيماً[1] .

ووقع حريق في بيته ، وكان مشغولاً في صلاته فلم يعن به ، ولما فرغ من صلاته ، قيل له في ذلك فقال : الهتني عنها النار الكبرى[2] وفسر عبد الكريم القشيري هذه الظاهرة المذهلة التي كانت ملازمة للإمام حال صلاته بأنها من باب غيبة القلب غن علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه . . . انه قد يغيب القلب عن إحساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب[3] .

صلاة الف ركعة :

وأجمع المترجمون للإمام (ع) أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة[4] وأنه كانت له خمسمائة نخلة فكان يصلي عند كل نخلة ركعتين[5] ونظراً لكثرة صلاته فقد كانت له ثفنات في مواضع سجوده كثفنات البعير وكان يسقط منها في كل سنة فكان يجمعها في كيس ، ولما توفي دفنت معه[6] .

---

(١) أخبار الدول (ص ١١٠) البحار ٩٩/٤٦.
(٢) صفة الصفوة ٥٢/٢ المنتظم ٦/ورقة ١٤١ نهاية الأرب ٣٢٥/٢١ سير اعلام النبلاء ٢٣٨/٤ .
(٣) الرسالة القشرية ٢١٤/١ .
(٤) تهذيب التهذيب ٣٠٦/٧ نور الأبصار (ص ١٣٦) الأتحاف بحب الأشراف (ص٤٩) تذكرة الحفاظ ٧١/١ شذرات الذهب ١٠٤/١ الفصول المهمة (ص ١٨٨) أخبار الدول (ص ١١٠) تأريخ دمشق ١٥١/٣٦ الصراط السوي (ورقة ١٩٣) إقامة الحجة (ص ١٧١) العبر في خبر من غبر (١١١/١) دائرة المعارف للبستاني ٣٥٥/٩ تأريخ اليعقوبي ٤٥/٣ المنتظم ٦/ورقة ١٤٣ تأريخ الإسلام للذهبي ، الكواكب الدرية ١٣١/٢ البداية والنهاية ١٠٥/٩ .
(٥) البحار ٦١/٤٦ الخصال (ص ٤٨٧).
(٦) الخصال (ص ٤٨٨).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قضاؤه للنوافل :

ولم تفته نافلة من النوافل طيلة حياته ، وكان يقضي ما فاته من صلاة النهار بالليل ، وكان يوصي ابناءه بذلك، ويقول لهم : يا بني ليس هذا عليكم بواجب ولكن أحب لمن عود نفسه منكم عادة من الخير أن يدوم عليها[1].

كثرة سجوده :

إن أقرب ما يكون العبد من ربه هو في حال سجوده ـ كما في الحديث ـ وكان الإمام زين العابدين عليه السلام كثير السجود لله خضوعاً له ، وتذليلاً أمامه ، ويقول الرواة : إنه خرج مرة إلى الصحراء فتبعه مولىً له فوجده ساجداً على حجارة خشنة فأحصى عليه ألف مرة يقول : لا إله إلا الله حقاً حقاً ، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً ، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً[2]. وكان يسجد سجدة الشكر ، ويقول فيها : مائة مرة « الحمد لله شكراً » وبعدها يقول : « يا ذا المن الذي لا ينقطع أبداً ، ولا يحصيه غيره عدداً ، ويا ذا المعروف الذي لا ينفذ أبداً ، يا كريم ، يا كريم ، ويتضرع بعد ذلك ويذكر حاجته[3].

كثرة تسبيحه :

وكان دوماً مشغولاً بذكر الله وتسبيحه وحمده ، وكان يسبح الله بهذه الكلمات المشرقة « سبحان من أشرق نوره كل ظلمة ، سبحان من قدر بقدرته كل قدرة ، سبحان من احتجب عن العباد بطرائق نفوسهم ، فلا شيء يحجبه ، سبحان الله وبحمده[4].

---

(١) صفة الصفوة ٢/٥٣.
(٢) وسائل الشيعة ٤/٩٨١.
(٣) وسائل الشيعة ٤/١٠٧٩.
(٤) دعوات قطب الراوندي (ص ٣٤) مخطوط في مكتبة الحكيم .

ملازمته لصلاة الليل :

من النوافل التي كان لا يدعها الإمام (ع) صلاة الليل فكان مواظباً عليها في السفر والحضر[1] إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.

دعاؤه بعد صلاة الليل :

وكان عليه السلام إذا فرغ من صلاة الليل دعا بهذا الدعاء الشريف، وهو من غرر ادعية ائمة أهل البيت عليهم السلام وهذا نصه :

« اللهم يا ذا الملك المستأبد بالخلود والسلطان ، الممتنع بغير جنود ولا أعوان ، والعز الباقي على مر الدهور وخوالي الأعوام[2] ومواضي الأزمان والأيام، عز سلطانك عزاً لا حد له بأولية ، ولا منتهى له بآخرية ، واستعلى ملكك علواً ، سقطت الأشياء دون بلوغ أمده ، ولا يبلغ ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين، ضلت فيك الصفات ، وتفسخت فيك النعوت ، وحارت في كبريائك لطائف الأوهام ، كذلك أنت الله في أوليتك، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول ، وأنا العبد الضعيف عملاً ، الجسيم أملاً ، خرجت من يدي أسباب المواصلات إلا ما وصلته رحمتك، وتقطعت عني عصم الآمال إلا ما أنا معتصم به من عفوك ، قل عندي ما أعتد به من طاعتك ، وكثر علي ما أبوء به من معصيتك ، ولن يضيق عليك عفو عن عبدك، وإن أساء فاعف عني . . . ».

واحتوى هذا المقطع من دعائه على تعظيمه وتوحيده، وذكر بعض صفاته الرفيعة من الخلود الذي لا حد لأوله ، ولا لآخره ، ومن السلطان القاهر القوي الذي لا يحتاج في تدعيم ملكه إلى الجنود والأعوان، وقد تفسخت النعوت وعجزت الصفات في ان تحكي أي صفة من صفاته أو أي ذاتية من ذاتياته فتعالى الله علواً كبيراً .

ويمضي الإمام في إظهار التذلل والخضوع والعبودية المطلقة لله تعالى

(١) صفة الصفوة ٥٣/٢ كشف الغمة ٢٦٣/٢.

(٢) خوالي الأعوام ، أي الأعوام الماضية .

الإمام عليه السلام من الله الحماية من هذا العدو الماكر الخبيث ، ولنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء :

« اللهم إنك أمرتني فتركت ، ونهيتني فركبت ، وسوّل لي الخطأ خاطر السوء ففرطت ، ولا استشهد على صيامي نهاراً، ولا استجير بتهجدي ليلاً ولا تثنى علي بإحيائها سنة ، حاشا فروضك التي من ضيعها هلك ، ولست أتوسل إليك بفضل نافلة ، مع كثير ما اغفلت من وظايف فروضك ، وتعديت عن مقامات حدودك إلى حرمات انتهكتها ، وكبائر ذنوب اجترحتها[1] كانت عافيتك لي من فضائحها ستراً ، وهذا مقام من استحيا لنفسه منك وسخط عليها ، ورضي عنك فتلقاك بنفس خاشعة ، ورقبة خاضعة ، وظهر مثقل من الخطايا ، واقفاً بين الرغبة اليك ، والرهبة منك ، وأنت أولى من رجاه ، وأحق من خشيه واتقاه، فاعطني يا رب ما رجوت ، وآمني ما حذرت ، وعد علي بعائدة رحمتك ، إنك أكرم المسؤولين . . » ويعرض الإمام راهب أهل البيت (ع) تذلله وخضوعه أمام الله ، ويرى أن ما عمله من الحسنات العظام من إحياء ليله في العبادة، والصيام في النهار وأدائه لجميع النوافل والمستحبات ، وإحيائه لسنن الإسلام، وغير ذلك من ضروب المبرات التي لا تحصى ، إنما هو قليل في جنب الله ، فأي انابة إلى الله مثل هذه الانابة؟ وأي انقطاع إليه مثل هذا الانقطاع؟ حقاً لقد كان هذا الإمام انموذجاً فريداً في دنيا المتقين والصالحين . . . ولنستمع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء :

« اللهم وإذ سترتني بعفوك ، وتغمدتني[2] بفضلك في دار الفناء ، بحضرة الأكفاء ، فاجرني من فضيحات دار البقاء عند مواقف الأشهادمن الملائكة المقربين ، والرسل المكرمين ، والشهداء والصالحين، من جار كنت اكاتمه سيئاتي[3] ومن ذي رحم كنت احتشم منه[4] في سريراتي[5] لم اثق

---

(١) اجترحتها : أي اقترفتها.
(٢) تغمدتني : أي شملتني .
(٣) اكاتمه سيئاتي : أي أخفي عليه سيآتي .
(٤) احتشم منه : أي استحي منه .
(٥) سريراتي : أي الأعمال التي ارتكبها سراً .

وقد تعلقت جميع آماله وأمانيه به تعالى ، فقد اعتصم به ، وانقطع إليه ، ولنستمع إلى لوحة أخرى من هذا الدعاء الجليل :

« اللهم : وقد أشرف على خفايا الأعمال علمك ، وانكشف كل مستور دون خبرك ، ولا تنطوي عنك دقائق الأمور ، ولا تعزب عنك غيبات السرائر ، وقد استحوذ عليَّ عدوك الذي استنظرك[1] لغوايتي واستمهلك إلى يوم الدين لإضلالي فأمهلته ، فأوقعني ، وقد هربت إليك من صغائر ذنوب موبقة ، وكبائر أعمال مردية ، حتى إذا فارقت معصيتك ، واستوجبت بسوء سعيي سخطتك ، فتل[2] عني عذار[3] غدره ، وتلقاني بكلمة كفره[4] وتولى البراءة مني ، وأدبر مولياً فاصحرني[5] لغضبك فريداً ، وأخرجني إلى فناء نقمتك طريداً لا شفيع يشفع لي إليك ، ولا خفير[6] يؤمنني عليك ، ولا حصن يحجبني عنك ولا ملاذ الجأ إليه منك ، فهذا مقام العائذ بك ، ومحل المعترف لك فلا يضيقن عني فضلك ، ولا يقصرن دوني عفوك ، ولا أكن أخيب عبادك التائبين ، ولا اقنط وفودك الآملين ، واغفر لي إنك خير الغافرين . . » .

وتحدث الإمام عليه السلام في هذه الفقرات عن ضعف النفس البشرية أمام الشهوات وعدم استطاعتها لمقاومة الشيطان الرجيم الذي استخدم النزعات الشريرة الكائنة في نفس الإنسان من الطمع والحرص والكبرياء وغيرها ، وقد ملك زمامه واستولى على مشاعره وعواطفه ، فأخذ يسخره في ميادين الآثام والموبقات ، ويبعده عن كل طريق يقربه من الله زلفى ، ويطلب

---

(١) أشار عليه السلام إلى إبليس العدو للإنسان الذي طلب المهلة من الله لغواية الناس حيث قال كما في الآية : ﴿ انظرني إلى يوم يبعثون ﴾ .

(٢) فتل : أي صرف عني .

(٣) العذار : لجام الفرس .

(٤) أشار الإمام (ع) بذلك إلى الآية الكريمة ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك ﴾ .

(٥) اصحرني : أي اظهرني .

(٦) الخفير : المجير .

بهم رب في الستر علي[1] ووثقت ربك رب في المغفرة لي ، وأنت أولى من وثق به ، واعطى من رغب إليه ، وأرأف من استرحم فارحمني . . . ».

واعرب الإمام عليه السلام في هذه الفقرات عن عظيم ثقته ورجائه بعفو الله والطافه وطلب منه المغفرة والرضوان في دار الجزاء ، وعرض عليه السلام لستر الله المرخى على عصاة عباده ، كما طلب منه أن يجيره من فضيحات دار البقاء عند مواقف الأشهاد من الملائكة المقربين ، والرسل المكرمين ، والشهداء والصالحين ، واعطى عليه السلام بذلك درساً إلى عصاة المسلمين في أن يتوبوا إلى الله توبة نصوحة ، ويعملوا صالحاً ليظفروا برضوان الله ورحمته التي وسعت كل شيء . . . ونعود إلى النظر في لوحة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« اللهم : وأنت حدرتني[2] ماءً مهيناً من صلب متضائق العظام[3] حرج المسالك[4] إلى رحم ضيقة سترتها بالحجب ، تصرفني حالاً عن حال ، حتى انتهيت بي إلى تمام الصورة ، وأثبت فيَّ الجوارح كما نعت في كتابك[5] نطفة، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ، ثم كسوت العظام لحماً ، ثم انشأتني خلقاً آخر كما شئت ، حتى إذا احتجت إلى رزقك، ولم استغن عن غياث فضلك ، جعلت لي قوتاً من فضل طعام ، وشراباً اجريته لأمتك[6] التي اسكنتني جوفها ، وأودعتني قرار رحمها ، ولو تكلني يا رب في تلك الحالات إلى حولي ، أو تضطرني إلى قوتي لكان الحول عني معتزلاً[7]

---

(١) أراد عليه السلام انه لم يثق بمن عرفه أنهم ان عرفوا السريرة قاموا بإفشائها ، وفي ذلك درس إلى المسلمين في أن يتصلوا بالله وإلا فإنه منزه عن كل ذنب .

(٢) حدرتني : أي انزلتني .

(٣) متضايق العظام : أراد بها عظام الصلب ، وهي متداخلة .

(٤) حرج المسالك : أي ضيق الطريق .

(٥) أشار (ع) إلى الآية الكريمة: ﴿ لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ، ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾.

(٦) لأمتك : اراد بها والدته .

(٧) معتزلاً : أي بعيداً .

ولكانت القوة مني بعيدة، فغذوتني بفضلك غذاء البر اللطيف ، تفعل ذلك بي تطولاً علي إلى غايتي هذه ، لا اعدم برك ، ولا يبطىء بي حسن صنيعك، ولا تتأكد مع ذلك ثقتي فاتفرغ لما هو احظى لي عندك ، قد ملك الشيطان عناني في سوء الظن وضعف اليقين ، فأنا أشكو سوء مجاورته[1]لي ، وطاعة نفسي له ، واستعصمك من ملكته ، واتضرع إليك في صرف كيده عني وأسألك في أن تسهل إلى رزقي سبيلاً، فلك الحمد على ابتدائك بالنعم الجسام ، والهامك الشكر على الإحسان والإنعام ، فصل على محمد وآله وسهل علي رزقي ، وان تقنعني بتقديرك لي ، وأن ترضيني بحصتي فيما قسمت لي ، وأن تجعل ما ذهب من جسمي وعمري في سبيل طاعتك ، إنك خير الرّازقين . . ».

وحفلت هذه الفقرات بأوثق الأدلة على وجود الخالق العظيم ، وهو خلقه تعالى للإنسان من ماء مهين ، وضع في رحم ضيق ، وأخذه بعد ذلك بالتطور والانتقال من حال إلى حال حتى ينتهي إلى التكامل ، وهو من أعظم مخلوقات الله لما فيه من الأجهزة العجيبة كأجهزة الفكر والبصر والسمع وغيرها مما تدلل على وجود الخالق الحكيم ، وقد كان حديث الإمام عليه السلام مستقى من القرآن الكريم الذي فصل تطور خلق الإنسان ، ومن الجدير بالذكر أن القرآن قد اكتشف كيفية تكوين الجنين على وجه الدقة ، وأفاد الإنسانية بهذه الحقيقة المذهلة ، يقول السيد قطب : « يقف الإنسان مدهوشاً أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين ، لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيراً بعد تقدم علم الأجنة التشريحي ذلك أن خلايا العظم غير خلايا اللحم وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكون أولاً ، في الجنين ، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام ، وتمام الهيكل العظمي للجنين ، وهي الحقيقة التي سجلها النص القرآني . . . »[2].

وعلى أي حال فإن الإمام عليه السلام بعد ما ذكر نعمة الله الكبرى

(١) مجاورته : الضمير يرجع إلى الشيطان .
(٢) في ظلال القرآن ١٧/١٦.

عليه ، فزع إليه متضرعاً في أن ينجيه من كيد الشيطان وغروره فإنه العدو الأول للإنسان . . . ولنستمع إلى القطعة الأخيرة من هذا الدعاء :

« اللهم إني اعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك ، وتوعدت بها من صدف عن رضاك ، ومن نار نورها ظلمة ، وهينها اليم[1] وبعيدها قريب ، ومن نار يأكل بعضها بعض ،ويصول[2] بعضها على بعض ، ومن نار تذر العظام رميماً ، وتسقي أهلها حميماً[3] ومن نار لا تبقي على من تضرع إليها ، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عمن خشع لها ، واستسلم إليها ، تلقي سكانها بأحر ما لديها من أليم النكال ، وشديد الوبال ، وأعوذ بك من عقاربها الفاغرة أفواهها[4] وحياتها الصالقة[5] بأنيابها ، وشرابها الذي يقطع امعاء وأفئدة سكانها ، وينزع قلوبهم واستهديك لما باعد منها ، وأخر عنها . . .

اللهم صل على محمد وآله ، وأجرني منها بفضل رحمتك ، واقلني عثراتي بحسن اقالتك ، ولا تخذلني يا خير المجيرين ، اللهم إنك تقي الكريهة ، وتعطي الحسنة ، وتفعل ما تريد ، وأنت على كل شيء قدير ، اللهم صل على محمد وآله إذا ذكر الأبرار[6] وصل على محمد وآله ما اختلف الليل والنهار صلاة لا ينقطع مددها ، ولا يحصى عددها، صلاة تشحن[7] الهواء وتملأ الأرض والسماء ، صلّى الله عليه حتى يرضى ، وصلى الله عليه وآله بعد الرضا ، صلاة لا حد لها ، ولا منتهى، يا أرحم الراحمين[8] واحتوت هذه الفقرات على وصف مفزع ومذهل لنار جهنم التي أعدها الله للفجرة

---

(١) أليم : أي مؤلم.

(٢) يصول : أي يهجم بعضها على بعض .

(٣) الحميم : المعادن المصهورة والذائبة.

(٤) الفاغرة أفواهها : الفاتحة افواهها .

(٥) الصالقة : الضاربة .

(٦) الأبرار: جمع بر وهو الذي يفعل الأفعال الحسنة .

(٧) تشحن الهواء : أي تملأ الهواء .

(٨) الصحيفة السجادية الدعاء الواحد والثلاثون .

والمستبدين والطغاة من عباده من الذين أشاعوا الجور والفساد في الأرض فإنهم يعانون في نار جهنم من صنوف التعذيب ما لا يوصف لهوله وفظاعته أعاذنا الله منها .

وبهذا ينتهي هذا الدعاء الشريف الذي كان يدعو به الإمام بعد صلاة الليل وهو من غرر أدعية أهل البيت عليهم السلام .

ضعفه وذبوله :

وذبل الإمام زين العابدين عليه السلام من كثرة الصلاة ، فقد اجهدته العبادة أي إجهاد ، وقد بلغ به الضعف أن الريح كانت تميله يميناً وشمالاً بمنزلة السنبلة[1] التي تميلها الريح إذ لـم تكن عنده قوة يستطيع بها الوقوف ، وروى ابنه عبد الله قال : كان أبي يصلي بالليـل فإذا فـرغ يزحف إلى فراشه[2] وذلك لأنه لا طاقة له على القيام لشدة التعب والضعف والأعياء .

وأشفق عليه أهله ومحبوه من كثرة ما بـان عليه من الضعف والجهـد من كثـرة صلاتـه وعبادتـه ، وخافـوا عليه من المـوت ، فكلموه في ذلـك فأبى أن يجيبهم ، وأصـر على ملازمتـه لنوافله وعبـادته حتى يلحق بـآبائـه ، وفيما يلي بعض من كلموه :

١ ـ بعض أبنائه :

وخاف عليه بعض أبنائه ، فانبرى إليه بلهفة ووجل قائلاً :

« يا أبة كم هذا الدؤوب ـ يعني على الصلاة ـ؟ . . » .

فأجابه الإمام برفق وحنان :

« أتحبب إلى ربي . . »[3] .

---

(١) الإرشاد (ص ٢٧٢) روضة الواعظين ١/٢٣٧ .

(٢) البحار ٤٦/٩٩ .

(٣) البحار ٤٦/٩١ .

لقد تحبب إلى ربه ، وتقرب إليه بجميع الطرق والوسائل ، وليس في دنيا المتقين والصالحين من يضارعه في إنابته وشدة تعلقه بالله .

٢ ـ جابر الأنصاري :

وكان الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الأنصاري قد أشفق على الإمام عليه السلام وطلب منه أن يخفف من عبادته ، ولا يجهد نفسه ، وقد روى حديثه الإمام الباقر عليه السلام قال : لما رأت فاطمة بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ما يفعل ابن أخيها علي بن الحسين بنفسه من الدأب في العبادة أقبلت إلى جابر بن عبد الله الأنصاري فقالت له :

« يا صاحب رسول الله إن لنا عليكم حقوقاً ، ومن حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكروه الله ، وتدعوه إلى البقيا على نفسه ، وهذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين قد انخرم أنفه ، ونقبت جبهته وركبتاه وراحتاه مما دأب على نفسه في العبادة . . . » .

وانطلق جابر إلى الإمام زين العابدين عليه السلام فوجده في محرابه قد أضنته العبادة ، وأجهدته الطاعة ، ولما رآه الإمام استقبله ، وأجلسه إلى جنبه وسأله سؤالاً حفياً عن حاله ، فالتفت إليه جابر قائلاً :

« يا ابن رسول الله أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم ، ولمن أحبكم ، وخلق النار لمن أبغضكم ، وعاداكم ، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك ؟ » .

فأجابه الإمام برفق ولطف :

« يا صاحب رسول الله ، أما علمت أن جدي رسول الله (ص) قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فلم يدع الاجتهاد له ، وتعبد ـ بأبي وأمي ـ حتى انتفخ ساقه ، وورم قدمه وقد قيل له : أتفعل هذا ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال :

« أفلا أكون عبداً شكوراً . . »

ولما نظر جابر إلى الإمـام لا يغني معه قـول يميل بـه من الجهد والتعب طفق يقول له :

« يا ابن رسول الله ، البُقيـا على نفسك ، فـإنك من أسـرة بهم يستدفـع البلاء وبهم يستكشف الأدواء ، وبهم تستمطر السماء . . . » .

فأجابه الإمام بصوت خافت :

« لا أزال على منهاج أبوي متأسياً بهما حتى ألقاهما . . . » .

وبهر جابر ، وأقبل على من حوله قائلاً :

ما رؤي في أولاد الأنبياء مثـل علي بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب ، والله لذرية الحسين أفضـل من ذرية يـوسف بن يعقوب !! إن منهم لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . . »[1] .

أجـل والله انـه ليس في أولاد الأنبيـاء مثـل علي بن الحسين في ورعـه وتقواه ، وسائر مثله العليا التي رفعتـه إلى القمة التي انتهى إليهـا العظمـاء من آبائه ، وأعلن جابر أن ذرية الإمام الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب ، لأن فيهم المصلح العظيم قائم آل محمد (ص) الـذي بشر بـه النبي (ص) وإنه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وذلك في أيام حكومتـه وسلطانه .

٣ ـ عبد الملك :

وممن أشفق عـلى الإمام من كثرة عبـادته عبـد الملك بن مروان ، وذلـك حينما وفد عليه الإمام ليشفعه في جماعة من المسلمين كانت السلطة قد ألقت القبض عليهم فلمـا رآه عبد الملك استعـظم ما رآه عليـه من أثـر السجـود بين عينيه فقال له :

---

(١) المناقب لابن شهرا شوب حياة الإمام الباقر .

« لقد بيَّن عليك الاجتهاد ، ولقد سبق لك من الله الحسنى ، وأنت بضعة من رسول الله (ص) قريب النسب ، وكيد السبب ، وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك ، وذوي عصرك ، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ، ولا قبلك إلا من مضى من سلفك . . » .

وأقبل على الإمام يطريه ، ويذكر فضله ومآثره ، فلما انتهى من كلامه ، قال له الإمام :

«كل ما ذكرته من فضل الله سبحانه ، وتأييده وتوفيقه ، فأين شكره على ما أنعم ؟ ولقد كان رسول الله (ص) يقف للصلاة حتى تتورم قدماه ، ويظمأ في الصيام حتى يعصب فوه[1] فقيل له يا رسول الله ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك ، وما تأخر ، فيقول صلى الله عليه وآله : أفلا أكون عبداً شكوراً .

الحمد لله على ما أولى ، وأبلى ، وله الحمد في الآخرة والأولى ، والله لو تقطعت أعضائي ، وسالت مقلتاي على صدري لن أقوم لله جلّ جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون، ولا يبلغ أحد نعمة منها، على جميع حمد الحامدين ، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ، ولا سر ولا علانية ، ولولا أن لأهلي علي حقاً ، ولسائر الناس من خاصهم وعامهم علي حقوقاً لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم لرميت بطرفي إلى السماء ، وبقلبي إلى الله ، ثم لم أردهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين . . » .

وبكى الإمام بكاءً شديداً ، وأثر كلامه ومنظره الذي تعنو له الجباه ، وتذل له الرقاب في نفس الطاغية عبد الملك ، فراح يقول بتأثر وإعجاب :

« شتان بين عبد طلب الآخرة ، وسعى لها سعيها ، وبين من طلب الدنيا من أين جاءته ، ما له في الآخرة من خلاق . . » .

---

(١) عصب فوه : أي جف ريقه .

وخضع عبد الملك فشفعه فيمن جاء فيهم ، وأطلق سراحهم[١] .

هؤلاء بعض الذين أشفقوا على الإمام من كثرة صلاته وعبادته فقد طلبوا منه بإلحاح أن يخفف منها ، ويميل من التعب إلى الراحة إلا أن الإمام لم يجبهم إلى ذلك ، فقد وجد في الصلاة راحة نفسية لا يعد لها أي شيء .

صومه :

وقضى الإمام معظم أيام حياته صائماً ، وقد قالت جاريته حينماسئلت عن عبادته : ما قدمت له طعاماً في نهار قط ، وقد أحب الصوم ، وحث عليه فقد قال : « إن الله تعالى وكل ملائكة بالصائمين »[٢] وكان عليه السلام لا يفطر إلا في يوم العيدين ، وغيرهما مما كان له عذر ، ونتحدث ـ بإيجاز ـ عن بعض شؤونه في شهر رمضان المبارك الذي هو شهر الله ، وشهر الطاعة .

في شهر رمضان :

وكان له شأن خاص في شهر رمضان المبارك ، فكان يعمل فيه كل ما يقربه إلى الله زلفى ، ويقول الرواة : إنه لم يترك نوعاً من أنواع البر والخير إلا أتى به ، وكان لا يتكلم إلا بالتسبيح والاستغفار والتكبير ، وإذا أفطر قال : اللهم إن شئت أن تفعل فعلت[٣] .

دعاؤه عند رؤية هلال رمضان :

وكان عليه السلام يستقبل شهر رمضان بشوق ورغبة لأنه ربيع الأبرار ، وكان يدعو حين رؤيته لهلاله بهذا الدعاء الشريف الذي يمثل روحانية الإسلام ، وهدي أهل البيت عليهم السلام ، وهذا نصه :

« الحمد لله الذي هدانا لحمده ، وجعلنا من أهله ، لنكون لإحسانه من

---

(١) البحار ٦٥/٤٦ .

(٢) دعوات الراوندي (ص ٤) .

(٣) فروع الكافي ٨٨/٤ .

الشـاكرين ، وليجـزينا على ذلـك جزاء المحسنين ، والحمـد لله الذي حبـانا بـدينه ، واختصنـا بملته ، وسبَّلنـا[1] في سبل[2] إحسـانـه لنسلكهـا بمنـه إلى رضوانه ، حمداً يتقبله منا ، ويرضى به عنا ، والحمد لله الذي جعل من تلك السبل شهره شهـر رمضان شهـر الصيام ، وشهـر الإسلام ، وشهـر الطهـور[3] وشهر التمحيص ، وشهر القيام ، الذي أنزل فيه القرآن هدى للنـاس ، وبينات من الهـدى والفرقـان ، فأبـان فضيلته على سـائر الشهـور ، بما جعـل لـه من الحـرمات المـوفورة ، والفضـائل المشهـورة ، فحـرم فيـه مـا أحـل في غيـره إعظاماً ، وحجر فيه المطاعم والمشارب إكراماً ، وجعل له وقتاً بيناً ، لا يجيـز جل وعز أن يقدم قبله ، ولا يقبل أن يؤخر عنه ، ثم فضل ليلة واحدة من لياليه على ليالي ألف شهر ، وسمـاها ليلة القـدر تنزل المـلائكة والـروح فيها بـإذن ربهم من كـل أمـر سـلام ، دائم البـركـة إلى طلوع الفجـر على من يشـاء من عباده ، بما أحكم من قضائه . . » .

واحتـوت هذه الكلمـات المشرقـة على تعظيم شهـر رمضـان وتبجيله ، ونعته بأسمى الأوصاف ، التي منها :

١ ـ إنه شهر الإسلام ، فمن صامـه فقد دخـل في إطار الإسـلام ، ومن أفطر فيه عالماً عامداً فهو ليس من الإسلام في شيء .

٢ ـ إنه شهر الطهور : لأن فيـه طهارة للنفس من الـذنوب ، وتـزكية لهـا من الآثام .

٣ ـ إنه شهر التمحيص : فيه يختبر المسلمون ، ويمحصون ، وبه يظهـر المطيع من العاصي .

٤ ـ إنـه شهر القيـام : إن هـذا الشهـر ربيـع الأبـرار والأخيـار ، فـإنهم يحيـون لياليه بالعبادة والطاعة .

---

(١) سبلنا : أي أدخلنا .

(٢) السبل : الطرق .

(٣) شهر الطهور : أراد (ع) أن الصائم يطهر في هذا الشهر المبارك من أدران الذنوب .

٥ ـ ومن مميزات هذا الشهر انه أنزل فيه القرآن العظيم ، فقد أنزل في ليلة القدر التي هي من أجل لياليه ، ففيها«تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر».

٦ ـ ومن مميزات هذا الشهر الشريف أن الله تعالى جعل له من الحرمات ما ليست لغيره من سائر الشهور فقد حرم فيه تعالى على الصائم في أثناء صومه المطاعم والمشارب إكراماً وتعظيماً لهذا الشهر . . . ولنستمع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء :

« اللهم صلِّ على محمد وآله ، وألهمنا معرفة فضله ، وإجلال حرمته مما حظرت فيه ، وأعنا على صيامه بكف الجوارح عن معاصيك ، واستعمالها فيه بما يرضيك حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو ، ولا نسرع بأبصارنا إلى لهو ، وحتى لا نبسط أيدينا إلى محظور ، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور وحتى لا تعي بطوننا إلا ما أحللت ، ولا تنطق ألسنتنا إلا بما قلت ، ولا نتكلف إلا ما يدني من ثوابك ، ولا نتعاطى إلا الذي يقي من عقابك ، ثم خلص ذلك كله من رئاء المرائين ، وسمعة المستمعين ، لا نشرك فيه أحداً دونك ، ولا نبتغي فيه مراداً سواك . . . » .

تعرض الإمام عليه السلام إلى ما ينبغي أن يتصف به الصائم في هذا الشهر العظيم من كف جوارحه عما حرمه الله ، والتي منها صيانة لسانه من الكذب والغيبة والبهتان ، وصيانة سماعه من اللغو والباطل ، وعدم بسط يده إلى السرقة والاعتداء على الناس ، وعدم سعيه إلى محظور ومحجوب عنه وذلك كالمشي إلى محل المعاصي ، وعدم أكل الحرام ، كما تعرض عليه السلام إلى أن الصائم ينبغي له أن تكون أعماله الصالحة ومبراته خالصة لوجه الله غير مشوبة برياء أو طلب جاه أو سمعة بين الناس فإن ذلك كله مما يفسد العمل ، ولنصغ بعد هذا إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« اللهم صلِّ على محمد وآله وقفنا[1] على مواقيت الصلوات الخمس

(١) وقفنا : أي اجعلنا نقف على مواقيت الصلاة .

بحدودها التي حددت ، وفروضها التي فرضت ، ووظائفها التي وظفت ، وأوقاتها التي وقت ، وأنزلنا فيها منزلة المصيبين لمنازلها ، الحافظين لأركانها ، المؤدين لها في أوقاتها ، على ما سنه عبدك ورسولك صلواتك عليه وآله في ركوعها وسجودها ، وجميع فواضلها على أتم الطهور وأسبغه وأبين الخشوع وأبلغه ، ووفقنا فيه لأن نصل أرحامنا بالبر والصلة وأن نتعاهد جيراننا بالأفضال والعطية ، وأن نخلص أموالنا من التبعات وأن نطهرها بإخراج الزكوات ، وأن نراجع من هاجرنا ، وأن ننصف من ظلمنا ، وأن نسالم من عادانا ، حاشا من عودي فيك ولك[1] فإنه العدو الذي لا نواليه ، والحزب الذي لا نصافيه ، وأن نتقرب إليك فيه من الأعمال الزاكية بما تطهرنا به من الذنوب ، وتعصمنا فيه مما نستأنف من العيوب ، حتى لا يورد عليك أحد من ملائكتك إلا دون ما نورد من أبواب الطاعة لك ، والقربة إليك . . » .

وعرضت هذه الفقرات إلى أمور بالغة الأهمية ينبغي للصائم مراعاتها ، والقيام بها وهي :

١ ـ الحفاظ على الإتيان بالصلاة ـ التي هي عمود الدين ـ في أوقاتها التي حددها الله ، مشفوعة بما سنه الرسول الأعظم (ص) من السنن والآداب والأذكار في ركوعها وسجودها بل وفي جميع شؤونها ، والإتيان بها على أكمل وجه من الخشوع والخضوع لله تعالى وحده .

٢ ـ البر بالأرحام والصلة لهم فإنها من أفضل الطاعات .

٣ ـ الإحسان إلى الجيران ، وإسداء المعروف لهم .

٤ ـ تطهير الأموال بإخراج الخمس والزكاة المفروضة فيها .

٥ ـ مراجعة من هجرنا من الأصدقاء والاخوان .

٦ ـ إنصاف الظالم وعدم الإعتداء عليه بقول أو فعل فإن ذلك من مكارم الأخلاق .

---

(١) ولك : أي لأجلك .

٧ ـ مسالمة العدو ، وعدم معاداته اللهم إلا أن تكون العداوة لله في الله تعالى ، فإن اللازم مقاطعته ، وعدم مسالمته .

٨ ـ التقرب إلى الله بالأعمال الطيبة ، فإنها يتأكد استحبابها في شهر رمضان المبارك .

ولنستمع بعد هذا إلى الفقرات الأخيرة من هذا الدعاء الشريف :

« اللهم إني أسألك بحق هذا الشهر ، وبحق من تعبد لك فيه من ابتدائه إلى وقت فنائه : من ملك قربته أو نبي أرسلته أو عبد صالح اختصصته ، أن تصلي على محمد وآله ، وأهِّلنا[١] فيه لما وعدت أولياءك من كرامتك ، وأوجب لنا فيه ما أوجبت لأهل المبالغة في طاعتك[٢] واجعلنا من نظم[٣] من إستحق الأعلى برحمتك .

اللهم صلِّ على محمد وآله ، وجنبنا الإلحاد في توحيدك ، والتقصير في تمجيدك والشك في دينك ، والعمى عن سبيلك ، والإغفال لحرمتك ، والانخداع لعدوك الشيطان الرجيم[٤] اللهم صل على محمد وآله ، وإذا كان لك في كل ليلة من ليالي شهرنا هذا رقاب يعتقها عفوك ، أو يهبها صفحك ، فاجعل رقابنا من تلك الرقاب ، واجعلنا لشهرنا من خير أهل وأصحاب .

اللهم صل على محمد وآله ، وامحق ذنوبنا[٥] مع إمحاق هلاله[٦] واسلخ عنا تبعاتنا مع انسلاخ أيامه ، حتى ينقضي عنا ، وقد صفيتنا فيه من الخطيئات ، وأخلصتنا فيه من السيئات ، اللهم صل على محمد وآله ، وإن ملنا فيه فعدلنا ، وإن زغنا فيه فقومنا ، وإن اشتمل علينا عدوك الشيطان فاستنقذنا منه .

---

(١) أهلنا : أي اجعلنا أهلاً .
(٢) أهل المبالغة في الطاعة : هم الذين يكثرون في طاعة الله ، ويبالغون فيها .
(٣) في نظم : أي في عداد .
(٤) الرجيم : هو المطرود .
(٥) امحق ذنوبنا : أي امحها .
(٦) المحاق : هي ثلاثة أواثنتان أو ليلة واحدة في آخر كل شهر لا يظهر فيه القمر ليلاً ولا نهاراً .

اللهم اشحنه بعبادتنا إياك ، وزين أوقاته بطاعتنا لك ، وأعنا في نهاره على صيامه ، وفي ليله على الصلاة والتضرع إليك ، والخشوع لك ، والذلة بين يديك ، حتى لا يشهد نهاره علينا بغفلة ، ولا ليله بتفريط ، اللهم واجعلنا في سائر الشهور والأيام ، كذلك ما عمرتنا ، واجعلنا من عبادك الصالحين «الذين يرثون الفردوس ، هم فيها خالدون»، «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ، انهم إلى ربهم راجعون»، ومن«الذين يسارعون في الخيرات ، وهم لها سابقون»، اللهم صلِّ على محمد وآله في كل وقت وكل آوان ، وعلى كل حال عدد ما صليت على من صليت عليه ، وأضعاف ذلك بالأضعاف التي لا يحصيها غيرك ، إنك فعال لما تريد . . »[1] .

إن أدعية الإمام مدرسة للوعي الديني ، وهي تفيض بروح الإيمان وجوهر الإخلاص لله . . . وقد احتوت هذه الفقرات المشرقة من دعائه على ما يلي :

١ ـ انه توسل إلى الله تعالى بحرمة رمضان ، وبحرمة من تعبد فيه من عباده الصالحين في أن يجعله من أوليائه المقربين ، وفي عداد من استحق المنزلة الرفيعة عنده .

٢ ـ أن يجعل أعماله الصالحة ، ومبراته خالصة لوجهه تعالى غير مشوبة برياء ونحوه مما يفسد العمل .

٣ ـ أن يجنبه الشك والأوهام الفاسدة في أمور الدين .

٤ ـ أن لا يسلك غير الطريق الذي شرعه الله ، وأن لا يغفل عن حرماته تعالى .

٥ ـ أن لا ينحرف في تيار الشيطان الرجيم .

٦ ـ أن يمنَّ عليه فيجعله من جملة عتقائه في هذا الشهر العظيم .

---

(١) الصحيفة السجادية الدعاء الثالث والأربعون .

٧ ـ أن يوفقه الله في هذا الشهر المبارك للعبادة والطاعة ، والتضرع والخشوع والذلة له تعالى .

هذه بعض الأمور المهمة التي احتوت عليها هذه الكلمات من دعائه .

مبراته في رمضان :

كان عليه السلام كثير البر في شهر رمضان ، وهذه بعض مبراته :

أ ـ إطعام الطعام :

وحث الإسلام على بذل الطعام للصائمين ، وندب إليه ، وكان الإمام زين العابدين في كل يوم من أيام شهر رمضان يأمر بذبح شاة وطبخها ، فإذا كان المساء أكب على القدور يشمها ، فإذا نضجت يقول : هاتوا القصاع ، ويأمر بأن يغرف إلى الفقراء والأرامل والأيتام حتى يأتي على آخر القدور ، ولا يبقي شيئاً لإفطاره وكان يفطر على خبز وتمر[1] .

ب ـ تحريره للعبيد :

ومن مبرات الإمام (ع) في شهر رمضان المبارك كثرة عتقه ، وتحرير ارقائه من رق العبودية ، على أنهم كانوا يعيشون في ظلاله محترمين ، وكان يعاملهم كأبنائه وكان يغضي عمن أساء إليه منهم ، ولا يعاقبه ، وكان يعتق جميع ما ملكت يمينه منهم في رمضان ، ونقل الرواة أنه كان لا يعاقب أمة ولا عبداً إذا اقترف أحدهما ذنباً وإنما كان يسجل اليوم الذي أذنبوا فيه ، فإذا كان آخر شهر رمضان جمعهم وأظهر الكتاب الذي سجل فيه ذنوبهم ، ويقول لهم : ارفعوا أصواتكم وقولوا :

« يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت ، كما

---

(١) المحاسن (ص ٣٩٦) البحار ٧٢/٤٦ .

أحصيت علينا ما عملناه ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ، ولا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها «وتجد كل ما عملت لديه حاضراً» ،كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً ، فاعف واصفح ، كما ترجو من المليك العفو ، وكما تحب أن يعفو المليك عنك ، فاعف عنا تجده عفوّاً ، وبك رحيماً ولك غفوراً ، ولا يظلم ربك أحداً . . . كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيناها إلا أحصاها ، فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل ، ويأتي بها يوم القيامة ، وكفى بالله حسيباً وشهيداً ، فاعف ، واصفح يعف عنك المليك ويصفح ، فإنه يقول :

« وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم »(١) .

وكان يلقنهم بتلك الكلمات التي تمثل مدى انقطاعه إلى الله واعتصامه به، وهو واقف يبكي من خشيته تعالى ، وهو يقول :

« ربنا إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا ، وقد عفونا عمن ظلمنا ـ كما أمرت ـ فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين ، وأمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوابنا ، وقد أتيناك سؤّآلاً ومساكين ، وقد انخنا بفنائك ، وببابك ، نطلب نائلك ومعروفك، وعطاءك فامنن بذلك علينا ، ولا تخيبنا فإنك أولى بذلك منا ، ومن المأمورين .

إلّهي : كرمت فاكرمني ، إذا كنت من سؤّالك ، وجدت بالمعروف فاخلطني بأهل نوالك، يا كريم . . . » .

ثم أقبل عليهم بوجهه الشريف وقد تبلل من دموع عينيه قائلاً لهم بعطف وحنان :

« قد عفوت عنكم ، فهل عفوتم عني ؟ ومما كان مني من سوء ملكة ، فإني مليك سوء لئيم ظالم ، مملوك لمليك كريم ، جواد ، عادل ، محسن ، متفضل . . . » .

(١) سورة النور آية ٢٢ .

أي نفس ملائكية هذه النفس العظيمة التي تمثلت روحانية الأنبياء ، ومحاسن صفاتهم وأخلاقهم !!

وينبري العبيد قائلين له :

« قد عفونا عنك يا سيدنا . . . » .

فيقول لهم : قولوا :

« اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفا عنا ، فاعتقه من النار كما اعتق رقابنا من الرق » .

فيقولون ذلك : ويقول بعدهم : اللهم آمين رب العالمين ، اذهبوا فقد عفوت عنكم ، واعتقت رقابكم رجاءً للعفو عني ، وعتق رقبتي ، فإذا كان يوم عيد الفطر أجازهم جائزة سنية تصونهم ، وتغنيهم عما في ايدي الناس[1] .

وليس في دنيا المتقين والصالحين مثل الإمام زين العابدين عليه السلام في تقواه ، وعظيم اخلاصه وطاعته لله فقد ملىء قلبه الشريف إيماناً ومعرفة بالله .

وعلى أي حال فإن الإمام (ع) قد عمل في شهر رمضان جميع الوان الخير من البر بالضعفاء ، وإكرام البؤساء ، وإنعاش المحرومين ، وتحرير العبيد ، وغير ذلك مما يقربه إلى الله زلفى .

دعاؤه في السحر :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يناجي ربه ، ويدعوه بتضرع وإخلاص في سحر كل ليلة من ليالي شهر رمضان بالدعاء الجليل الذي عرف بدعاء أبي حمزة الثمالي لأنه هو الذي رواه عنه ، وهو من غرر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام لأنه يمثل مدى الانابة والانقطاع إلى الله ، كما أن فيه من المواعظ ما يوجب صرف النفس عن غرورها وشهواتها وبالإضافة إلى ذلك فقد

---

(١) البحار ١٠٣/٤٦- ١٠٥.

امتاز بجمال الأسلوب وروعة البيان وبلاغة العرض وفيه من التذلل والخشوع والخضوع أمام الله تعالى ، ما لا يوجد في بقية الأدعية ونقتطف بعض القطع المضيئة منه دون أن نذكره بأسره ، وذلك لذيوعه وانتشاره في كتب الأدعية التي هي بمتناول الكثيرين من القراء .

وقبل أن نذكر بعض فقرات هذا الدعاء نود أن نبين أنه قد احتل مكانة مهمة في نفوس الأخيار والصلحاء من المسلمين فقد عكفوا على الدعاء به في سحر كل ليلة من ليالي رمضان، كما قد رأيت بعض المؤمنين قد حفظه ، ويدعو به ، وفيما يلي بعض فقراته :

« الهي : لا تؤدبني بعقوبتك ، ولا تمكر بي في حيلتك ، من أين لي الخير يا رب ولا يوجد إلا من عندك ، ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلا بك ، لا الذي احسن استغنى عن عونك ورحمتك ، ولا الذي أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك ، يا رب بك عرفتك ، وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ، ولولا أنت لم أدر ما أنت . . . ».

أرأيتم راهب أهل البيت كيف يناجي ربه ، ويتضرع إليه يحاججه بهذا الأسلوب الذي ينبض بواقع الإيمان والمعرفة . . . ولنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء الشريف :

« يا حبيب من تحبب اليك ، ويا قرة عين من لاذ بك ، وانقطع إليك ، أنت المحسن ، ونحن المسيئون، فتجاوز يا رب عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك ، وأي جهل يا رب لا يسعه جودك ؟ وأي زمان أطول من أناتك؟ وما قدر اعمالنا في جنب نعمك ، وكيف نستكثر أعمالاً نقابل بها كرمك ، بل كيف يضيق على المذنبين ما وسعهم من رحمتك، يا واسع المغفرة ، يا باسط اليدين بالرحمة ، فوعزتك لو نهرتني ما برحت من بابك ، ولا كففت عن تملقك لما انتهى إلي من المعرفة بجودك وكرمك . . ».

وهكذا يستمر الإمام عليه السلام في تملقه وتضرعه إلى الخالق العظيم طالباً منه المغفرة والرضوان ، واسمعوه كيف يقول :

« اللهم : اني كلما قلت : قد تهيأت ، وتعبّأت ، وقمتُ للصلاة بين يديك ، وناجيتك القيت علي نعاساً إذا أنا صليت ، وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت . . . مالي كلما قلت : قد صلحت سريرتي ، وقرب من مجالس التوابين مجلسي ، عرضت لي بلية أزالت قدمي ، وحالت بيني وبين خدمتك ، سيدي : لعلك عن بابك طردتني وعن خدمتك نحيتني ، أو لعلك رأيتني مستخفاً بحرمتك فاقصيتني ، أو لعلك رأيتني معرضاً عنك فقليتني ، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني ، أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني ، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني ، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك ايستني ، أو لعلك رأيتني الف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني ، أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني ، أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني ، أو لعلك بقلة حيائي منك جازيتني فإن عفوت يا رب فطالما عفوت عن المذنبين قبلي ، لأن كرمك أي رب يجل عن مكافأة المقصرين . . . » .

وعرض الإمام عليه السلام إلى الأمور التي تحجب الإنسان من الاقبال على الله في حال صلاته ومناجاته ، وهذه بعضها :

١ ـ الاستخفاف بحقوق الله ، وذلك بأن يستهين بها .
٢ ـ الاعراض عن الله ،
٣ ـ عدم اجتناب الكذب الذي هو مجمع الرذائل والموبقات . .
٤ ـ عدم شكر النعم التي أنعم الله بها على العبد .
٥ ـ عدم مجالسة العلماء الواقعيين الذين يذكرون الناس الدار الآخرة ويحثونهم على فعل الخيرات .
٦ ـ الغفلة عن ذكر الله ، والغفلة عن ذكر الموت فإنهما يجران الإنسان إلى الشقوة والهلاك .
٧ ـ مجالسة البطالين الذين يقضون أوقاتهم باللهو ، ويضيعون أعمارهم في توافه الأمور، فإن مجالستهم مما توجب الانصراف عن الله .

هذه بعض الأمور التي تحجب التوفيق من الاتصال بالله ، وتصده عن فعل الخير أعاذنا الله منها ، ولنستمع إلى فصل آخر من فصول هذا الدعاء : « الهي وسيدي وعزتك وجلالك لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك ، ولئن طالبتني بلؤمي لاطالبنك بكرمك ، ولئن ادخلتني النار لأخبرن أهل النار ، بحبي لك ، الهي وسيدي إن كنت لا تغفر إلا لأوليائك ، وأهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون ، وإن كنت لا تكرم إلا أهل الوفاء بك فبمن يستغيث المسيئون الهي إن ادخلتني النار ففي ذلك سرور عدوك ـ يعني الشيطان الرجيم ـ وإن ادخلتني الجنة ففي ذلك سرور نبيك ، وأنا والله أعلم أن سرور نبيك أحب إليك من سرور عدوك . . . »[1].

لقد استعطف سيد المتقين وإمام العارفين عليه السلام الخالق العظيم الذي وسعت رحمته كل شيء طالباً منه المغفرة والرضوان للمذنبين والمقصرين من عباده ، فإن فيضه وجوده لا يقتصر على المؤمنين والمطيعين ، وإنما هو شامل لجميع عباده . . . وبهذه اللقطات اليسيرة ينتهي بنا الحديث عن دعاء الإمام في سحر كل ليلة من ليالي رمضان المبارك .

دعاؤه في وداع رمضان :

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يتأثر إذا انطوت أيام رمضان لأنه ربيع الأبرار ، وكان يودعه بهذا الدعاء الجليل :

« اللهم يا من لا يرغب في الجزاء ، ويا من لا يندم على العطاء ، ويا من لا يكافىء عبده على السواء ، منتك ابتداء ، وعفوك تفضل ، وعقوبتك عدل ، وقضاؤك خيرة إن اعطيت لم تشب عطاءك بمن ، وإن منعت لم يكن منعك تعدياً ، تشكر من شكرك ، وأنت الهمته شكرك، وتكافىء من حمدك ، وأنت علمته حمدك ، تستر على من لو شئت فضحته ، وتجود على من لو شئت منعته ، وكلاهما أهل منك للفضيحة والمنع غير أنك بنيت فعالك على

(١) المصباح للطوسي ، المصباح للكفعمي.

التفضل ، وأجريت قدرتك على التجاوز ، وتلقيت من عصاك بالحلم ، وامهلت من قصد لنفسه بالظلم تستنظرهم باناتك إلى الانابة[1] ، وتترك معاجلتهم إلى التوبة ، لكيلا يهلك عليك هالكهم ، ولا يشقى بنعمتك شقيهم إلا عن طول الإعذار إليه ، وبعد ترادف الحجة عليه ، كرماً من عفوك يا كريم ، وعائدة من عطفك يا حليم . . . ».

ولا بد لنا من وقفة قصيرة للنظر في هذه الفقرات المضيئة من كلام الإمام عليه السلام فقد احتوت على ما يلي :

١ ـ كرم الله :

أما كرم الله تعالى وجوده على العباد ـ حسبما أدلى به الإمام ـ فقد تميز بما يلي .

(أ) إن نعمة الله تعالى على العباد لا يرجو منها جزاءاً لانه تعالى مستغن عن عباده وهم الفقراء إليه .

(ب) إنه تعالى إذا أنعم على عبد بنعمة مهما كبرت ، فإنه لا يندم على عطائه ، كما يندم المخلوقون في عطائهم إذا لم تكن هناك عائدة أو منفعة ترجع إليهم .

(ج) إن نعم الله على عباده غير مشوبة بالمن ، فإنه تعالى يعطي تفضلاً

(د) إنه تعالى هو الذي يبتديء بالإحسان والكرم على عباده .

٢ ـ عفو الله وعقابه :

أما عفو الله عن المذنبين والمسيئين فإنما هو تفضل ورحمة منه ، وأما عقابه لهم فإنما هو عدل لأنه لا يعاقب إلا بقدر ما يستحق المذنب من العقاب .

---

(١) الأناة : الحلم .

٣ ـ قضاء الله :

أما قضاء الله وصدور الأفعال منه فإنه باختياره ، وهو غير مجبور عليها كما يقول بذلك بعض الفلاسفة .

٤ ـ شكره للشاكرين :

إن الله تعالى يشكر من شكره ، وذلك بزيادة الطافه ونعمه عليه ، وهذا هو المراد من شكر الله لعبده ، كما أنه تعالى يكافىء من حمده ، ويزيد عليه الطافه .

٥ ـ ستره على العبد :

ومن الطاف الله على عبده ستره عليه في حال ارتكابه للمعاصي ، ولو شاء تعالى لفضحه، واسقطه من عيون الناس ، كما أن الطافه تعالى على المذنب ، أنه يجود عليه ، ويرزقه ، ولو شاء لمنعه رزقه ، وأماته جوعاً ، ولكنه تعالى قد جرت مشيئته وقدرته على التجاوز عن المذنبين ، رجاء أن يرجع إليهم حلمهم ويتوبوا إلى طريق الحق والرشاد ، ولا يشقى منهم إلا من أصر على العصيان ونبذ الحق . . . هذه بعض المحتويات في كلام الإمام عليه السلام ، ولنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء الشريف :

« أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك ، وسميته التوبة ، وجعلت على ذلك الباب دليله من وحيك لئلا يضلوا عنه ، فقلت : تبارك اسمك « توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبإيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير »[١] فما عذر من أغفل دخول ذلك المنزل بعد فتح الباب وإقامة الدليل ، وأنت الذي زدت في السوم[٢] على نفسك لعبادك ، تريد ربحهم في متاجرتهم لك ، وفوزهم بالوفادة عليك ، والزيادة منك ، فقلت

---

(١) سورة التحريم: آية ٨.

(٢) السوم : المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة .

تبارك اسمك وتعاليت : « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴾[1] وقلت : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾[2] وقلت : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له »[3] أضعافاً كثيرة وما أنزلت من نظائرهن في القرآن من تضاعيف الحسنات ، وأنت الذي دللتهم من غيبك وترغيبك ، الذي فيه حظهم على ما سترته عنهم ، لم تدركه أبصارهم ، ولم تعه اسماعهم ، ولم تلحقه أوهامهم ، فقلت: « اذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »[4] وقلت : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ﴾[5] وقلت : ﴿ ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾[6] فسميت دعاءك عبادة وتركه استكباراً ، وتوعدت على تركه دخول جهنم داخرين[7] . فذكروك بمنك ، وشكروك بفضلك ودعوك بأمرك ، وتصدقوا لك طلباً لمزيدك ، وفيها كانت نجاتهم من غضبك ، وفوزهم برضاك ، ولو دل مخلوق مخلوقاً من نفسه على مثل الذي دللت عليه عبادك منك كان موصوفاً بالإحسان ، ومنعوتاً بالامتنان ، ومحموداً بكل لسان ، فلك الحمد ما وُجد في حمدك مذهب ، وما بقي لفظ تحمد به ، ومعنى ينصرف إليه ، يا من تحمد إلى عباده بالإحسان والفضل ، وغمرهم بالمن[8] والطول[9] ما افشى فينا نعمتك ، واسبغ علينا منتك ، واخصنا ببرك ، هديتنا لدينك الذي اصطفيت ، وملتك التي ارتضيت ، وسبيلك الذي سهلت وبصرتنا الزلفة لديك ، والوصول إلى كرامتك » .

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٦٠ .
(٢) سورة البقرة : آية ٢٦١ .
(٣) سورة الحديد : آية ١١ .
(٤) سورة البقرة : آية ١٥٢ .
(٥) سورة إبراهيم آية ٧ .
(٦) سورة غافر : آية ٦٠ .
(٧) داخرين : أي أذلاء محقرين .
(٨) المن : النعمة .
(٩) الطول : الأحسان .

وتحدث الإمام عليه السلام في هذه القطعة عن عظيم لطف الله وفضله على العصاة من عباده فقد فتح لهم باب التوبة والمغفرة لينقذهم من الهلاك ، والشقاء في دار الآخرة ، والتوبة ماحية للذنوب ومنجية للإنسان من غمرات الأهوال ، ويشترط فيها الندم على ما اقترف الإنسان من ذنب ، وعدم العودة إليه .

وتحدث الإمام عليه السلام عن لطف آخر من الطاف الله على عباده ، وذلك بأن حثهم على الإحسان إلى الناس وفعل الخير ، وعلى الصدقة والبر بالفقراء والضعفاء وضمن لهم عوض ذلك الثمن الجزيل في دار البقاء والخلود كل ذلك لنجاتهم ، وسعادتهم ، فما أسبغ نعمته ، واعظم فضله على العباد .

وعرض عليه السلام في كلامه إلى شكر الله على نعمه وأنه مما يوجب المزيد ، كما تعرض عليه السلام إلى الدعاء إلى الله والتضرع اليه ، فقد جعل ذلك عبادة وتركه استكباراً حسب ما أعلن القرآن الكريم ، ولنستمع بعد هذا الى قطعة أخرى من هذا الدعاء :

« اللهم وأنت جعلت من صفايا تلك الوظائف ، وخصائص تلك الفروض شهر رمضان الذي اختصصته من سائر الشهور ، وتخيرته من جميع الأزمنة والدهور ، وآثرته على كل أوقات السنة بما أنزلت فيه من القرآن والنور ، وضاعفت فيه من الإيمان[1] وفرضت فيه من الصيام ، ورغبت فيه من القيام[2] واجللت فيه من ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، ثم آثرتنا به على سائر الأمم ، واصطفيتنا بفضله دون أهل الملل فصمنا بأمرك نهاره ، وقمنا بعونك ليله ، متعرضين بصيامه وقيامه لما عرضتنا له من رحمتك ، وتسببنا إليه من مثوبتك ، وأنت المليء بما رغب فيه إليك ، الجواد بما سئلت من فضلك ، القريب إلى من حاول قربك ، وقد أقام فينا هذا الشهر مقام حمد ، وصحبنا صحبة مبرور واربحنا أفضل أرباح العالمين ، ثم فارقنا عند

---

(١) وضاعفت فيه من الإيمان : أي جعلت ثواب الإيمان ، وثواب الأعمال الصالحة فيه مضاعفاً .
(٢) ورغبت فيه من القيام : أي ندبت إلى إحياء لياليه بالعبادة.

تمام وقته ، وانقطاع مدته، ووفاء عدده[1] فنحن مودعوه وداع من عزّ فراقه علينا وغمنا ، وأوحشنا انصرافه عنا ، ولزمنا له الذمام المحفوظ ، والحرمة المرعية، والحق المقضي . . .».

وأشاد الإمام عليه السلام بهذه الكلمات بفضل شهر رمضان المبارك الذي ميزه الله على سائر الشهور ، واختصه بالمزيد من الفضل ، ففرض فيه الصيام ، وندب فيه إلى إحياء لياليه بالعبادة والطاعة ، وجعل ثواب الأعمال الصالحة فيه مضاعفاً، كما خصه بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وقد آثر الله به المسلمين وحباهم به دون غيرهم من سائر الأمم لينالوا الدرجات العالية ، والمنزلة الكريمة عنده . . . وتعرض الإمام (ع) إلى حزنه على مفارقة هذا الشهر العظيم الذي كان يكتسب في كل ثانية منه الحسنات والأعمال التي تقربه إلى الله زلفى ، ولنستمع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء المبارك :

« فنحن قائلون : السلام عليك يا شهر الله الأكبر ، ويا عيد اوليائه السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات ، ويا خير شهر في الأيام والساعات ، السلام عليك من شهر قربت فيه الآمال ، ونشرت فيه الأعمال ، السلام عليك من قرين جل قدره موجوداً ، وأفجع فقده مفقوداً ، ومرجواً آلم فراقه ، السلام عليك من أليف انس مقبلاً فسرّ ، وأوحش منقضياً فمضّ ، السلام عليك من مجاور رقت فيه القلوب ، وقلت فيه الذنوب ، السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان ، وصاحب سهّل سبل الاحسان ، السلام عليك ما أكثر عتقاء الله فيك ، وما أسعد من رعى حرمتك بك ، السلام عليك ما كان أمحاك للذنوب ، واسترك لانواع العيوب ، السلام عليك ما كان اطولك على المجرمين واهيبك في صدور المؤمنين ، السلام عليك من شهر لا تنافسه الأيام ، السلام عليك من شهر هو من كل أمر سلام ، السلام عليك غير كريه المصاحبة ، ولا ذميم الملابسة، السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات وغسلت عنا دنس الخطيئات ، السلام عليك غير مودع برما ولا متروك صيامه

---

(١) ووفاء عدده : أي تمام عدده .

سأماً ، السلام عليك من مطلوب قبل وقته ، ومحزون عليه قبل فوته ، السلام عليك كم من سوء صرف بك عنا ، وكم من خير أفيض بك علينا ، السلام عليك وعلى ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، السلام عليك ما كان احرصنا بالأمس ، وأشد شوقنا غداً إليك ، السلام عليك وعلى فضلك الذي حرمناه وعلى ماض من بركاتك سلبناه . . . ».

لقد ودع الإمام عليه السلام شهر رمضان المبارك بهذه التحيات الحارة العاطرة مشفوعة بالمرارة والأسى على فراقه لأنه كان ميداناً لمبراته وأعماله الصالحة التي تقربه إلى الله تعالى ، وقد عرض عليه السلام إلى خصائص هذا الشهر العظيم ، وبيان امتيازاته على بقية الشهور ، ولنستمع إلى لوحة اخرى من هذا الدعاء الجليل :

« اللهم إنا أهل هذا الشهر الذي شرفتنا به ، ووفقتنا بمنك له ، حين جهل الأشقياء وقته ، وحرموا لشقائهم فضله ، أنت ولي ما آثرتنا به من معرفته ، وهديتنا له من سنته ، وقد تولينا بتوفيقك صيامه وقيامه على تقصير ، وأدينا فيه قليلاً من كثير .

اللهم فلك الحمد إقراراً بالإساءة، واعترافاً بالإضاعة[1] ولك من قلوبنا عقد الندم ، ومن ألسنتنا صدق الاعتذار، فاجرنا على ما أصابنا فيه من التفريط أجراً نستدرك به الفضل المرغوب فيه ، ونعتاض به من أنواع الذخر[2] المحروص عليه وأوجب لنا عذرك على ما قصرنا فيه من حقك ، وأبلغ باعمارنا ما بين أيدينا من شهر رمضان المقبل ، فإذا بلغتناه فاعنا على تناول ما أنت اهله من العبادة، وأدنا[3] إلى القيام بما يستحقه من الطاعة ، وأجر لنا من صالح العمل ما يكون دركاً لحقك في الشهرين[4] من شهور الدهر .

اللهم وما الممنا به في شهرنا هذا من لمم[5] أو اثم ، أو واقعنا فيه من

(١) اراد عليه السلام أنا اضعنا هذا الشهر ولم نقم بما يلزم من رعايته .
(٢) أنواع الذخر : أي الثواب الذي اذخره الله لعباده المؤمنين .
(٣) أدنا إلى القيام : أي اوصلنا إلى القيام بطاعتك .
(٤) الشهرين : هما رمضان الماضي والآتي .
(٥) اللمم : صغار الذنوب .

ذنب واكتسبنا فيه من خطيئة على تعمُّد منا ، أو على نسيان ظلمنا فيه أنفسنا ، أو انتهكنا به حرمة من غيرنا ، فصل على محمد وآله ، واسترنا بسترك ، واعف عنا بعفوك ولا تنصبنا لأعين الشامتين ، ولا تبسط علينا فيه ألسن الطاغين ، واستملنا بما يكون حطة[1] وكفارة لما انكرت منا فيه برأفتك التي لا تنفد ، وفضلك الذي لا ينقص، اللهم صل على محمد وآله واجبر مصيبتنا بشهرنا وبارك لنا في يوم عيدنا وفطرنا ، واجعله من خير يوم مرّ علينا، أجلبه لعفو ، وامحاه لذنب ، واغفر لنا ما خفي من ذنوبنا وما علن . . » .

أنظرتم إلى هذا الخضوع والتذلل أمام الخالق العظيم ، وطلب العفو والمغفرة منه ، والاعتراف أمامه بالتقصير في أداء ما ينبغي من عبادته وطاعته في شهر رمضان المبارك ، هذا وهو زين العابدين وداعية الله الأكبر !!! حقاً لقد كان هذا الإمام العظيم انموذجاً فريداً في عالم المتقين والصالحين . . . ولنستمع إلى الفصل الأخير من هذا الدعاء :

« اللهم اسلخنا بانسلاخ هذا الشهر من خطايانا ، وأخرجنا بخروجه من سيئاتنا واجعلنا من أسعد أهله به ، واجزلهم قسماً فيه ، وأوفرهم حظاً منه ، اللهم ومن رعى هذا الشهر حق رعايته ، وحفظ حرمته حق حفظها ، وقام بحدوده حق قيامها واتقى ذنوبه حق تقاتها ، أو تقرب إليك بقربة أوجبت رضاك له، وعطفت رحمتك عليه ، فهب لنا مثله من وجدك ، واعطنا اضعافه ، فإن فضلك لا يغيض[2] وان خزائنك لا تنقص بل تفيض ، وإن معادن إحسانك لا تفنى، وإن عطاءك للعطاء المهنّا.

اللهم صل على محمد وآله، واكتب لنا مثل أجور من صامه أو تعبد لك فيه إلى يوم، القيامة اللهم انا نتوب إليك في يوم فطرنا الذي جعلته للمؤمنين عيداً وسروراً ، ولأهل ملتك مجمعاً ومحتشداً من كل ذنب اذنباه أو سوء اسلفناه ، أو خاطر شر اضمرناه توبة من لا ينطوي على رجوع إلى ذنب ، ولا يعود بعدها إلى خطيئة توبة نصوحا[3] خلصت لك من الشك والارتياب ،

---

(١) حطة : أي سبباً لحط ذنوبنا .

(٢) لا يغيض : مأخوذ من غاض الماء إذا تسرب في باطن الأرض .

(٣) نصوحاً : أي خالصة لا يشوبها مما يفسدها .

فتقبلها منا ، وارض عنا وثبتنا عليها .

اللهم ارزقنا خوف عقاب الوعيد ، وشوق ثواب الموعود حتى نجد لذة ما ندعوك به ، وكآبة ما نستجيرك منه ، واجعلنا عندك من التوابين الذين أوجبت لهم محبتك وقبلت منهم مراجعة طاعتك يا أعدل العادلين اللهم تجاوز عن آبائنا وأمهاتنا وأهل ديننا جميعاً من سلف منهم ، ومن غبر إلى يوم القيامة ، اللهم صل على محمد نبينا وآله ، كما صليت على ملائكتك المقربين ، وصل عليه وآله كما صليت على انبيائك المرسلين ، وصل عليه وآله كما صليت على عبادك الصالحين ، وأفضل من ذلك يا رب العالمين ، صلاة تبلغنا بركتها ، وينالنا نفعها ، ويستجاب لها دعاؤنا ، إنك اكرم من رغب إليه ، وأكفى من توكل عليه ، واعطى من سئل من فضله ، وأنت على كل شيء قدير . . . »[1] .

إن هذا الدعاء الشريف بل وسائر ادعية الإمام عليه السلام مما تهتز لها أعماق النفوس ، وتضطرب منها دخائل القلوب ، وتبعث للتقوى والإيمان كما تبعث على الندم والحسرات على ما فرط الإنسان في جنب الله .

في يوم عيد الفطر :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يستقبل يوم عيد الفطر بالدعاء إلى الله تعالى طالباً منه أن يتقبل صومه وسائر عباداته ومبراته في شهر رمضان ، وأن يمنحه العفو والرضوان ، وكان في الصباح الباكر يعطي الفقراء زكاة الفطرة، عن نفسه ، وعمن يعول به ، كما كان يصلي صلاة العيد ، وبعد الفراغ منها يستقبل القبلة ، ويدعو بهذا الدعاء الجليل :

« يا من يرحم من لا يرحمه العباد ، ويا من يقبل من لا تقبله البلاد[2] ويا من لا يحتقر أهل الحاجة إليه ، ويا من لا يخيب الملحين عليه ، ويا من

(١) الصحيفة السجادية الدعاء الرابع والأربعون .

(٢) من لا تقبله البلاد : هو من طاردته الحكومة أو الأعداء فلا يتمكن من سكن البلاد خوفاً من البطش به ولكن الله يسعه بفضله ومنه .

لا يجبه بالرد أهل الدالة عليه ، يا من يجتبي[1] صغير ما يتحف به ، ويشكر يسير ما يعمل له ، ويا من يشكر على القليل ويجازي بالجليل ، ويا من يدنو إلى من دنا منه ، ويا من يدعو إلى نفسه من أدبر عنه ، ويا من لا يغير النعمة ولا يبادر بالنقمة ، ويا من يثمر الحسنة حتى ينميها ، ويتجاوز عن السيئة حتى يعفيها[2] انصرفت الآمال دون مدى كرمك[3] بالحاجات وامتلأت بفيض جودك أوعية الطلبات ، وتفسخت دون بلوغ نعتك الصفات فلك العلو الأعلى فوق كل عال ، والجلال الأمجد فوق كل جلال، كل جليل عندك صغير ، وكل شريف في جنب شرفك حقير ، خاب الوافدون على غيرك وخسر المتعرضون إلا لك ، وضاع الملمون إلا بك ، واجدب المنتجعون[4] إلا من انتجع فضلك ، بابك مفتوح للراغبين ، وجودك مباح للسائلين ، واغاثتك قريبة من المستغيثين ، لا يخيب منك الآملون ، ولا ييأس من عطائك المتعرضون ولا يشقى بنقمتك المستغفرون ، رزقك مبسوط لمن عصاك ، وحلمك معترض لمن ناواك ، عادتك الاحسان الى المسيئين ، وسنتك الابقاء على المعتدين حتى لقد غرتهم أناتك عن الرجوع ، وصدهم امهالك عن النزوع ، وإنما تأنيت بهم ليفيئوا إلى أمرك ، وأمهلتهم ثقة بدوام ملكك ، فمن كان من أهل السعادة ختمت له بها ، ومن كان من أهل الشقاوة خذلته لها .

وعرض الإمام الأعظم عليه السلام في هذه اللوحة إلى الطاف الله تعالى ، وفضله الشامل على العباد فهو العطوف والرحيم على من انقطع عن العباد ، ولا يجد راحماً سواه كما أن رحمته تعالى شملت من طاردته الحكومات فهام على وجهه من الخوف ، ومن الطاف الله تعالى أنه لا يحتقر المحتاجين إليه كما يحتقرهم العباد ، ومن رحمته تعالى أنه لا يخيب آمال

(١) يجتبى : أي يختار .
(٢) يعفيها : أي يمحوها .
(٣) مدى كرمك : أي آخر كرمك .
(٤) المنتجعون : هم الذين يطلبون الماء والكلاء .

الملحين عليه بالمسألة والدعاء ، ومن عظيم فضله تعالى وسعة رحمته انه يقبل القليل من العمل الصالح ، ويجازي عليه بالكثير ، وقد تحبب الى عباده فقد دنا إلى من دنا منه ، ودعا من أدبر عنه ليمنحهم المنزلة الرفيعة في دار الآخرة ، وينقذهم من الهلاك ، ومن الطاف الله على عباده أنه لا يغير نعمة أنعم بها عليهم إلا أن يغيروا ما بانفسهم ، كما أنه تعالى ينمي الحسنة ويربيها لصاحبها في دار الآخرة . . . إن كرم الله وجوده لا يحد ، فقد عجزت الأوصاف والنعوت أن تلم به تعالى ، فهو فوق كل عال ، وفوق كل جلال ، وفوق كل شريف .

ونعى الإمام عليه السلام في دعائه على الذين يلجأون إلى غير الله ، فقد فوتوا عليهم الخير وضاعت آمالهم ، وخسرت صفقتهم ، كما قد ربح من التجأ إليه تعالى ، وفاز فوزاً عظيماً وتعرض الإمام عليه السلام إلى حلم الله تعالى وانابته على المعتدين فلم يعاجلهم بالعقوبة لعلهم يفيئوا إلى أمره تعالى ، ويرجعوا إلى حظيرة الحق . . . هذه بعض الأمور التي حفلت بها هذه القطعة من دعاء الإمام (ع)، ولنستمع إلى الفصل الأخير منه :

«كلهم صائرون إلى حكمك ، وأمورهم آيلة إلى أمرك ، لم يهن على طول مدتهم سلطانك ولم يدحض لترك معاجلتهم برهانك ، حجتك قائمة لا تدحض ، وسلطانك ثابت لا يزول، فالويل الدائم لمن جنح[1] عنك ، والخيبة الخاذلة لمن خاب منك ، والشقاء الأشقى لمن اغتر بك[2] ما أكثر تصرفه[3] في عذابك ، وما أطول تردده في عقابك ، وما ابعد غايته من الفرج ، وما اقنطه من سهولة المخرج !! عدلاً من قضائك لا تجور فيه ، وانصافاً من حكمك لا تحيف[4] عليه، فقد ظاهرت الحجج ، وأبليت الأعذار ، وقد تقدمت بالوعيد ، وتلطفت في الترغيب ، وضربت الأمثال،

---

(١) جنح : مال وانصرف .
(٢) اغتر بك : أي انخدع بامهالك له .
(٣) تصرفه : أي تقلبه .
(٤) لا تحيف: أي لا تجور .

وأطلت الامهال ، وأخرت وأنت مستطيع للمعالجة ، وتأنيت وأنت مليء[1] بالمبادرة .

لم تكن اناتك عجزاً ، ولا امهالك وهنا ، ولا امساكك غفلة ، ولا مداراة ، بل لتكون حتجتك أبلغ ، وكرمك أكمل ، واحسانك أوفى ، ونعمتك اتم ، كل ذلك كان ولم تزل ، وهو كائن ولا تزال ، حجتك أجل من أن توصف بكلها ، ومجدك أرفع من أن تحد بكنهه ، ونعمتك أكثر من أن تحصى بأسرها ، وإحسانك أكثر من أن تشكر على أقله ، وقد قصر بي السكوت عن تحميدك وفههني[2] الامساك عن تمجيدك ، وقصاراي الاقرار بالحسور[3] لا رغبة - يا إلهي - بل عجزاً منها أنا ذا أؤمك[4] بالوفادة ، واسألك حسن الرفادة فصل على محمد وآله ، واسمع نجواي ، واستجب دعائي ، ولا تختم يومي بخيبتي ، ولا تجبهني بالرد في مسألتي ، واكرم من عندك منصرفي ، وإليك منقلبي ، إنك غير ضائق بما تريد ، ولا عاجز عما تسأل ، وأنت على كل شيء قدير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »[5] .

عرض الإمام عليه السلام في هذه الكلمات إلى أن جميع الخلق مؤمنهم وفاسقهم ، وموحدهم وكافرهم إنما هم في قبضة الله تعالى ، خاضعون لحكمه صائرون إلى أمره ، وأما تعند العصاة ، واستمرارهم في البغي والتمرد والعصيان فإنهم لا يوهنون بذلك سلطان الله والويل لهم من عقابه الدائم وعذابه الخالد ، وإنما امهلهم تعالى في دار الدنيا ولم يعجل عقوبتهم وذلك شفقة منه ولطفاً بهم إذ لعلهم يرجعون إلى حظيرة الحق ، ويتوبون إلى الله ، وبذلك يكون كرمه تعالى أوفى ، ونعمته على عباده اكمل .

---

(١) مليء : أي قادر .
(٢) فههني : أي اعجزني .
(٣) الحسور : عدم القدرة .
(٤) أؤمك : أي اقصدك .
(٥) الصحيفة السجادية الدعاء الخامس والأربعون .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن صوم الإمام عليه السلام في رمضان، وقد كان حافلاً بجميع الوان العبادات والطاعات والمبرات .

حجه :

أما الحج إلى بيت الله الحرام فكان الإمام عليه السلام ملازماً له لأنه يجد في مواقفه الكريمة انتعاشاً لنفسه التي أذابتها كوارث كربلاء ، وكان (ع) بحث على الحج والعمرة وذلك لما يترتب عليهما من الفوائد فقد قال : « حجوا واعتمروا تصح اجسادكم ، وتتسع ارزاقكم ، ويصلح إيمانكم وتكفوا مؤونة الناس ، ومؤونة عيالكم[1] وقال عليه السلام الحاج مغفور له ، وموجوب له الجنة ، ومستأنف به العمل ، ومحفوظ في أهله وماله[2] وقال عليه السلام : « الساعي بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة[3] كما كان يدعو إلى تكريم الحجاج إذا قدموا من بيت الله الحرام وتبجيلهم ، فقد قال : استبشروا بالحجاج إذا قدموا وصافحوهم ، وعظموهم تشاركوهم في الأجر قبل أن تخالطهم الذنوب[4] ونعرض ـ بإيجاز ـ لبعض شؤونه في حجه .

حجه ماشياً :

وحج الإمام عليه السلام غير مرة ماشياً على قدميه كما حج أبوه ، وعمه الحسن عليهما السلام وقد استغرق الوقت في إحدى سفراته إلى البيت عشرين يوماً[5] .

---

(١) وسائل الشيعة ٨/٥ .

(٢) من لا يحضره الفقيه (ص ١٥٦) وسائل الشيعة ٨/٥ .

(٣) من لا يحضره الفقيه (ص ١٥٩) .

(٤) من لا يحضره الفقيه (ص ١٥٥) .

(٥) البحار ، وجاء في العقد الفريد ١٠٣/٣ أنه حج خمساً وعشرين حجةً راجلاً .

حجه راكباً :

وحج عليه السلام على ناقته عشرين حجة ، وكان يرفق بها كثيراً ، ويقول المؤرخون : أنه ما قرعها بسوط[1] وقال إبراهيم بن علي : حججت مع علي بن الحسين فتلكأت ناقته فأشار إليها بالقضيب ، ثم رد يده ، وقال : آه من القصاص ، وتلكأت عليه مرة أخرى بين جبال رضوى ، فأراها القضيب ، وقال : لتنطلقن أو لأفعلن، ثم ركبها فانطلقت[2] لقد سمت نفسه إلى هذا المستوى من الرحمة والرأفة والرفق بالحيوان فلم يقرع ناقته بسوط ولم يفزعها ، ويرى أن الاعتداء على الحيوان يتبعه قصاص ومسؤولية في دار الآخرة .

مرافقة القراء له :

كان الإمام عليه السلام إذا أراد السفر إلى بيت الله الحرام احتف به القراء والعلماء لأنهم كانوا يكتسبون منه العلوم ، والمعارف ، والحكم والآداب ، يقول سعيد بن المسيب أن القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج علي بن الحسين ، فخرج وخرجنا معه ألف راكب[3] وكانوا يتعلمون منه مسائل الحج ، وأحكام الدين ، وسائر شؤون الشريعة الإسلامية ، إذ لم يكن في عصره ـ بإجماع المؤرخين والرواة ـ من هو أعلم منه بأحكام الكتاب والسنة .

زاده إلى الحج :

وكان الإمام عليه السلام يستعد أحسن استعداد وأكمله في سفره إلى الحج أو العمرة فكان يتزود من أطيب الزاد وأثمره من اللوز والسكر، والسويق

---

(١) حلية الأولياء ٣/١٣٣ .

(٢) الفصول المهمة (ص ١٨٩).

(٣) حياة الإمام محمد الباقر ١/١٣٨ .

المحمض ، والمحلى[1] وقد صنعت له في إحدى سفراته أخته السيدة الزكية سكينة زاداً نفيساً انفقت عليه ألف درهم إلا أنه لما كان بظهر الحرة أمر بتوزيعه على الفقراء والمساكين فوزع عليهم[2].

اضطرابه عند الأحرام :

وإذا انتهى الإمام إلى احدى المواقيت التي يحرم منها كمسجد الشجرة الذي هو ميقات المدنيين ومن يجتاز عليه، فيأخذ بعمل سنن الاحرام من الغسل وغيره ، وإذا اراد التلبية عند عقد الإحرام اصفر لونه، واضطرب ، ولم يستطع أن يلبي فقيل له :

« ما لك لا تلبي ؟».

فيقول : وقد أخذته الرعدة والفزع من الله :

« أخشى أن أقول : لبيك فيُقال لي : لا لبيك . . ».

وإذا لبى غشي ،عليه من كثرة خوفه من الله ، ويسقط من راحلته ، ولا يزال تعتريه هذه الحالة حتى يقضي حجه[3] ، وروى مالك أن زين العابدين لما أراد أن يقول : لبيك أغمي عليه حتى سقط من ناقته فهشم[4] لقد عرف الله معرفة كاملة ، فهام بحبه ، وفزع من عقابه ، واتجه نحوه بمشاعره وعواطفه شأنه في ذلك شأن آبائه الذين هم سادة المتقين والمنيبين إلى الله .

دعاؤه عند الحجر :

وإذا انتهى في طوافه عند الحجر رفع رأسه إلى السماء قائلاً : « اللهم ادخلني الجنة برحمتك ـ وهو ينظر إلى الميزاب ـ وأجرني برحمتك من النار ،

---

(١) البحار ٤٦/٧١.
(٢) صفة الصفوة ٢/٥٤.
(٣) نهاية الأرب ٢١/٣٢٦ خلاصة تهذيب الكمال (ص ١٣١) تهذيب التهذيب ٧/٣٠٦.
(٤) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٠٦ .

وعافني من السقم وأوسع علي من الرزق الحلال ، وأدرأ عني شر فسقة الجن والإنس وشر فسقة العرب والعجم »[1].

صلاته تحت الميزاب :

وكان الإمام عليه السلام إذا أدى مناسكه في البيت الحرام من الطواف والسعي أقبل على الصلاة تحت ميزاب الرحمة ، وقد رآه طاووس اليماني في ذلك المكان المقدس قائماً وهو يدعو الله ويبكي من خشية الله ، فلما فرغ من صلاته انبرى إليه طاووس قائلاً :

« رأيتك على حالة من الخشوع ، ولك ثلاثة أمور : أرجو أن تؤمنك من الخوف أحدها أنك ابن رسول الله (ص) الثاني : شفاعة جدك ، الثالث : رحمة الله . . . » .

وأجابه الإمام بلطف قائلاً :

« يا طاووس أما انى ابن رسول الله (ص) فلا يؤمنني وقد سمعت الله تعالى يقول : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون ﴾[2] وأما شفاعة جدي فلا تؤمنني لأن الله تعالى يقول : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾[3] وأما رحمة الله فالله يقول : ان رحمة الله قريب من المحسنين ، ولا أعلم أني محسن »[4].

أرأيتم هذا التواضع ، ونكران الذات أمام الله تعالى ، حقاً لقد كان هذا الإمام نسخة لا ثاني لها في بني الإنسان عدا آبائه العظام .

مع هشام بن عبد الملك :

حج هشام بن عبد الملك بيت الله الحرام ، وقد صحبته الشرطة ،

(١) فروع الكافي ٤/٤٠٧ .
(٢) سورة المؤمنون : آية ١٠١ .
(٣) سورة الأنبياء : آية ٢٨ .
(٤) البحار ٤٦/١٠١ .

واحتفت به المرتزقة والوجوه والأعيان من أهل الشام ، وقد جهد على استلام الحجر فلم يستطع لازدحام الحجاج ، وتدافعهم على تقبيل الحجر ، ولم يعن أحد بهشام ولم يفسحوا له ، فقد انعدمت الفوارق ، في ذلك البيت العظيم ، وقد نصب له منبر فجلس عليه ، وجعل ينظر إلى عملية الطواف ، وأقبل الإمام زين العابدين عليه السلام ليؤدي طوافه ، وبصر به بعض من يعرفه من الحجاج فنادى بأعلى صوته :

« هذا بقية الله في أرضه . . »

« هذا بقية النبوة . . . »

« هذا إمام المتقين ، وسيد العابدين . . . ».

وغمرت الحجاج هيبة الإمام التي تعنو لها الوجوه والجباه ، وهي تحكي هيبة جده رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتعالت الأصوات من جميع جنبات المسجد بالتهليل والتكبير، وانفرج الناس له سماطين فكان السعيد من يقبل يده ، ويلمس إحرامه ، وضج البيت بالتكبير وذهل أهل الشام ، وبهروا من هذا المنظر الرهيب ، فإنهم لا يرون أحداً جديراً بالتكريم والتعظيم، غير الأسرة الأموية ، فهي وارثة النبي (ص) والقريبة إليه حسب ما أكده الاعلام الأموي وبادر الشاميون إلى هشام قائلين :

« من هذا الذي هابه الناس هذه المهابة ؟ . . »

وتميز هشام من الغيظ ، وانتفخت أوداجه، وبرزت عينه الحولاء[1]

فصاح بهم .

« لا أعرفه . . ».

---

(١) ذكر الجاحظ في رسائله (ص٨٩) أن هشام بن عبد الملك كان يقال له : الأحول السراق ، وقد أنشده أبو النجم العجلي أرجوزته التي يقول فيها :

« الحمد لله الوهوب المجزل »

فأخذ يصفق بيديه استحساناً لها حتى صار إلى ذكر الشمس قال : « والشمس في الأرض كعين الأحول » فأمر بوجء عنقه وإخراجه، وعلق الجاحظ على ذلك بقوله وهذا ضعف شديد، وجهل عظيم .

وإنما أنكر معرفته للإمام مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ويزهدوا في بني أمية، وكان الفرزدق شاعر العرب الكبير حاضراً، فاستيقظ ضميره، واستوعب الحق فكره ، وقد أخذته الرعدة ، فاندفع بحماس قائلاً لأهل الشام :

« أنا أعرفه . . . ».

« من هو يا أبا فراس ؟ . . »

وذعر هشام، وفقد صوابه مخافة أن يعرفه الفرزدق إلى أهل الشام ، فصاح به :

« أنا لا أعرفه . . . ».

وعلا صوت الفرزدق بالإنكار عليه قائلاً :

« بلى تعرفه . . ».

والتفت الفرزدق صوب أهل الشام قائلاً :

« يا أهل الشام من أراد أن يعرف هذا الرجل فليأت . . . ».

وخف الشاميون وغيرهم نحو شاعر العرب الأكبر ، وقد استحالوا إلى أذن صاغية ، وانبرى الفرزدق، وكله حماس لنصرة الحق ، فارتجل هذه القصيدة العصماء التي مثلت صدق القول ، وجمال الأسلوب فقال :

هذا سليل حسين وابن فاطمة ... بنت الرسول الذي انجابت به الظلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها: ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يرقى إلى ذروة العز الذي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياءً ويغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم
بكفه خيزران ريحها عبق ... من كف اروع في عرنينه شمم
من جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل امته دانت له الأمم
ينشق نور الهدى عن نور غرته ... كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم

مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصرها والخيم والشيم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده انبياء الله قد ختموا

الله شرفه قدماً وفضله ... جرى بذاك له في لوحه القلم

فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجَم

كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما عدم

حمال أثقال أقوام إذا فدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم

لا يخلف الوعد ميمون نقيبته ... رحب الفناء أريب حين يعتزم

من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هُم

لا يستطيع جواد بُعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

هم الغيوث إذا ما أزمة ازمت ... والأسد أسد الشرى والبأس محتدم

لا ينقص العسر بسطاً من اكفهم ... سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا

يستدفع السوء والبلوى بحبهم ... ويسترد به الاحسان والنعم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل امر ومختوم به الكلم

يأبى لهم أن يحل الذل ساحتهم ... خيم كريم وأيد بالندى هضم

أي الخلائق ليست في رقابهم ... لأولية هذا أوْله نعم

من يشكر الله يشكر أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأمم[1]

وتميزت هذه القصيدة العصماء على بقية الشعر العربي بالخلود على امتداد التاريخ لأنها كانت ثورة على الباطل، ونصرة للحق ، فقد جاءت في وقت كمت فيه الأفواه وأخرست الألسن عن ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام ،فمن ذكر لهم مأثرة أو فضيلة سيق إلى الاعدام من قبل السلطة الأموية العاتية التي سخرت جميع أجهزتها لمحو أهل البيت من خارطة الوجود .

---

(١) نهاية الأرب ٢١/٣٢٧ ـ ٣٣١، وقد ذكرت هذه القصيدة كلاً وبعضاً في كثير من مصادر الأدب والتاريخ والتراجم نشير إلى بعضها ، وهي : زهر الآداب ١/١٠٣ سرح العيون لابن نباته (ص ٣٩٠) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ١٩٣) الاتحاف بحب الأشراف (ص٥١) أخبار الدول للقرماني (ص١١٠) تأريخ دمشق ٣٦/١٦١ روضة الواعظين ١/٢٣٩، دائرة المعارف للبستاني ٩/٣٥٦ أنوار الربيع ٤/٣٥.مع اختلاف في ترتيب الابيات.

لقد اشاد الفرزدق في قصيدته بالإمام العظيم أمام أهل الشام وغيرهم من سائر الحجاج مما يعتبر ضربة موجعة للسياسة الأموية ، وعلق البستاني على هذه القصيدة بقوله : وقالوا : كفى بالفرزدق أن يكون قال هذه القصيدة حتى يدخل الجنة[1] .

ومضافاً لما فيها من روعة الصدق ، ونصرة الحق انسجام أبياتها بهذا اللون من الجمال ، يقول السيد علي المدني : وأما انسجامها فغاية لا تدرك ، وعقيلة لا تملك ، وقد جنبها حواشي الكلام ، وجاء فيها ببديع الانسجام ، ومن رأى شعر الفرزدق، ورأى هذه القصيدة ملك نفسه العجب ، فإنه لا مناسبة بينها وبين سائر قوله : سبباً ومدحاً وهجاءاً على أنه نظمها بديهة وارتجالاً ، ولا شك أن الله سبحانه أيده في مقالها ، وسدده حال ارتجالها[2] .

تشكيك أبي الفرج :

وشكك أبو الفرج في نسبة هذه القصيدة إلى الفرزدق لأن منهاجه في الشعر غير ذلك إذ كان يستوعر في اسلوبه والفاظه وخياله[3] وعلق على ذلك الشيخ محمد أبو زهرة بقوله :

« وانا لا نرى ذلك الشك سائغاً أو يتفق مع المنهاج السليم في دراسة الروايات للأسباب الآتية :

أولها : تضافر الروايات كلها على نسبتها للفرزدق ، وعدم محاولة الأصفهاني الطعن في الرواية بتكذيب رواتها .

ثانياً ـ أنه لم يعيّن بالدليل الشاعر الذي ينسب إليه من بين شعراء آل البيت ، ولا يصح أن يلغى نسب قصيدة لأبيها وقائلها ، ويتركها مجهولة النسب أو ينسبها بغير حجة .

ثالثها ـ أن الشاعر الذي يستوعر قد يرق احياناً على

(١) دائرة المعارف للبستاني ٩/٣٥٦.
(٢) أنوار الربيع ٤/٣٥.
(٣) الأغاني .

حسب المقام الذي يقول فيه ، فإذا كان الشاعر حسب المقام الذي يقول فيه ، فإذا كان الشاعر يصف البادية بآكامها ، وما فيها فإنه يستوعر بطبيعته ، وطبيعة الموضوع الذي يتصدى لوصفه ، وإذا كان الموضوع الذي يتكلم فيه وصفاً لأخلاق وشيم فإنه بلا ريب سيلين إلا ما كان شاعراً مجيداً يتخير ما يناسب كل مقام من مقال .

وإن امرأ القيس الجاهلي رق شعره في آخر حياته عندما نزلت به النوازل ، ولسنا بمقام الرواية للأدب حتى ننقل لك وصفه لمرضه ، وما نزل به ، وكذلك الأعشى ، وكعب بن زهير عندما مدحا النبي (ص) رق شعرهما رقة تتفق مع شيم النبي ومكارمه، فليست رقة الفرزدق في هذه القصيدة بغريبة تستدعي الانكار والشك .

ويجب هنا أن نقرر أن الفرزدق كان يميل ميلاً شديداً إلى آل البيت وإن لم يكثر من الشعر فيهم اتقاءً لأذى الأمويين[1] .

لقد كان الفرزدق علوي الميول والاتجاه ، وقد اندفع إلى مدح الإمام عليه السلام بوحي من عقيدته ، يقول الشريف المرتضى : كان الفرزدق شيعياً مائلاً لبني هاشم ، ونزع في آخر عمره عما كان عليه من الفسق والقذف ، وراجع طريقة الدين على أنه لم يكن في خلال ذلك سلخاً من الدين ، ولا مهملاً أمره[2] وعلى أي حال فإن نسبة هذه القصيدة العصماء إلى الفرزدق من الأمور التي لا تقبل التشكيك ، فقد تواتر النقل بنسبتها إليه .

اعتقال الفرزدق :

وثار هشام بن عبدالملك، وخرج من اهابه حينما سمع بهذه القصيدة، وود أن الأرض قد ساخت به، فقد دللت على واقع الإمام العظيم ، وعرفته لأهل الشام الذين جهلوه وجهلوا آباءه ، فقد أشاد الفرزدق بمنزلة الإمام ، وجعل الولاء له جزءاً لا يتجزأ من الإسلام ، وانه أفضل إنسان تضمه سماء الدنيا في ذلك العصر .

---

(١) الإمام زيد (ص ٢٨ ـ ٢٩) .

(٢) سرح العيون (ص٣٩٠) .

وأمر هشام باعتقال الفرزدق فاعتقل ، وأودع في سجون عسفان وهو منزل يقع ما بين مكة والمدينة، وبلغ ذلك الإمام زين العابدين عليه السلام فبعث إليه بإثني عشر ألف درهم فردها الفرزدق، واعتذر من قبولها ، وقال : إنما قلت فيكم غضباً لله ورسوله ، فردها الإمام عليه فقبلها ، وجعل الفرزدق يهجو هشاماً ، ومما هجاه به :

ايحسبني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوي منيبها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعين له حولاء باد عيوبها[1]

مناجاته في البيت الحرام :

وأثرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام مناجاة كثيرة في بيت الله الحرام كان يناجي بها ربه في غلس الليل البهيم ، ومن بينها ما يلي :

١ ـ روى محمد بن أبي حمزة قال : رأيت علي بن الحسين (ع)، في فناء الكعبة، وهو يصلي ، فأطال القيام حتى جعل مرة يتوكأ على رجله اليمنى ، ومرة على رجله اليسرى ثم سمعته بصوت عال كأنه باك ، وهو يناجي ربه قائلاً .

« يا سيدي تعذبني وحبك في قلبي ؟!! أما وعزتك لتجمعن بيني وبين قوم طالما عاديتهم فيك . . . »[2] .

وفي هذه المناجاة القصيرة أعرب الإمام عليه السلام عن مدى انقطاعه وتضرعه الى الله طالباً منه أن يمنحه العفو والرضوان .

٢ ـ روى الأصمعي قال : كنت أطوف حول الكعبة فإذا شاب متعلق باستار الكعبة وهو يقول بنبرات حزينة تأخذ بمجامع القلوب :

---

(١) نهاية الأرب ٢١/٣٣١.

(٢) الكافي ٢/٥٧٩.

« نـامت العيون ، وعلت النجـوم ، وأنت الملك الحي القيـوم ، غلقت الملوك ابوابها وأقامت عليها حراسها ، وبابك مفتـوح للسائلين ، جئتـك لتنظر إلي برحمتك يا أرحم الراحمين . . . . ».

ثم أنشأ يقول :

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم يـا كاشف الضـر والبلوى مـع السقم
قـد نـام وفـدك حـول البيت قـاطبـة وأنـت وحـدك يـا قيـوم لـم تـنـم
ادعـوك رب دعـاءً قـد أمـرت بـه فـارحم بكـائي بحق البيت والحـرم
إن كـان عفوك لا يـرجـوه ذو سـرف فمن يجـود على العـاصين بـالنعم

قـال الأصمعي : فاقتفيت أثـره فإذا هـو زين العابـدين[1] فـوقعت عليـه وقلت له : أنت علي بن الحسين أبوك شهيد كربلاء، وجدك علي المرتضى ، وأمـك فاطمـة الزهـراء ، وجدتـك خديجـة الكبـرى ، وجـدك الأعلى محمد المصطفى وأنت تقول : مثل هذا القول ؟ . . . » .

فأجابه الإمام برفق ولطف :

« ألـم تقرأ قوله تعالى : ﴿ فإذا نفخ في الصـور فلا أنسـاب بينهم يومئـذٍ ولا يتسـاءلون ﴾[2] ألم تسمـع قول جـدي : « خلقت الجنة للمـطيـع وإن كان حبشياً ، وخلقت النار للعاصي وإن كان قرشياً . . . »[3] .

لقـد تعلق هذا الإمـام العظيم بـالله تعالى ، وانقـطع اليه ، وقـد أطاعـه وعبده عن معرفة وإيمان وإخلاص .

٣ ـ روى طـاووس اليماني قـال : مررت بـالحجـر فـإذا بشخص راكـع وساجد تأملته فإذا هو علي بن الحسين ، فقلت : في نفسي رجـل صالـح من

---

(١) البحار ٤٦/ ٨٠ كشف الضمة ٤/ ١٥٠ـ ١٥١.
(٢) سورة المؤمنون : آية ١٠١.
(٣) روضـات الجنات ٥/ ١٦١ وعلق عليـه بقولـه : هذا تمـام الحديث وهـو غريب لمنـافاتـه طبقة الأصمعي المذكور المشهور التي كانت ولادتـه بعد وفـاة السجاد بكثيـر إلا أن يكون الأصمعي رجلاً آخر من قدماء قبيلته المنسوبين إلى جده الأعلى اصمع ».

أهل بيت النبوة ، والله لأغتنمن دعاءه فجعلت أرقبه حتى فرغ من صلاته، فرفع بطن كفيه ، وجعل يخاطب الله قائلاً :

« إلّهي : سيدي ، سيدي ، هاتان يداي قد مددتهما إليك بالذنوب مملؤتين وعيناي بالرجاء ممدودتين ، وحق من دعاك بالندم تذللاً أن تجيبه بالكرم تفضلاً .

سيدي : من أهل الشقاء خلقتني فأطيل بكائي ؟ أم من أهل السعادة خلقتني فأبشر رجائي ؟

سيدي : ألضرب المقامع خلقت اعضائي؟ أم لشرب الحميم خلقت امعائي ؟

سيدي : لو أن عبداً استطاع الهرب من مولاه لكنت أول الهاربين من مولاه لكني أعلم أني لا أفوتك .

سيدي : لو أن عذابي مما يزيد في ملكك سألتك الصبر عليه ، غير أني اعلم أنه لا يزيد في ملكك طاعة المطيعين ، ولا ينقص منه معصية العاصين .

سيدي : ها أنا وما خطري ؟ هب لي بفضلك ، وجللني بسترك ، واعف عن توبيخي بكرم وجهك .

إلّهي : وسيدي ، ارحمني مصروعاً على الفراش تقلبني أيدي أحبتي ، وارحمني مصروعاً على المغتسل يغسلني صالح جيرتي ، وارحمني محمولاً قد تناول الأقرباء اطراف جنازتي ، وارحم في ذلك البيت المظلم وحشتي وغربتي . . . » ولما سمع طاووس هذه المناجاة الحزينة التي تفزع منها النفوس ، وتضطرب منها القلوب لم يملك نفسه ان بكى فالتفت إليه الإمام قائلاً :

« يا يماني ما يبكيك ؟ أو ليس هذا مقام المذنبين ؟ . . » .

وانبرى طاووس بخضوع وإكبار للإمام قائلاً :

« حق على الله أن لا يردك . . »[1] .

---

(١) روضة الواعظين ١ / ٢٣٧ .

لقد سمت روح الإمام عليه السلام إلى الملأ الأعلى ، وتعلقت به ، وانقطعت إليه ،

٤ ـ ونقل الرواة عن الحسن البصري أنه رأى الإمام في الكعبة ، وهو يتضرع إلى الله ، ويدعوه منيباً ، فدنا منه فسمعه ينشد هذه الأبيات الرقيقة :

الا أيها المأمول في كل حاجة　　شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي　　فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
وإن إليك القصد في كل مطلب　　وأنت غياث الطالبين وغايتي
أتيت بأفعالٍ قباح ردية　　فما في الورى خلق جنى كجنايتي
فزادي قليل لا أراه مبلغي　　اللزاد ابكي ام لبعد مسافتي
اتجمعني والظالمين مواقف　　فأين طوافي ثم أين زيارتي
اتحرقني بالنار يا غاية المنى　　فأين رجائي ثم أين مخافتي
فيا سيدي فامنن علي بتوبة　　فانك رب عالم بمقالتي

وأثر ذلك تأثيراً بالغاً في نفس الحسن البصري ، فاندفع يقبل رجلي الإمام وهو يقول له :

« يا سلالة النبوة ، ما هذه المناجاة والبكاء وأنت من أهل بيت النبوة ؟ قال الله : ﴿ ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً ﴾

فانبرى الإمام يبين له واقع الإسلام الذي تبنى الأعمال الصالحة ولا يقيم وزناً للأنساب قائلاً :

« دع هذا خلقت الجنة لمن اطاع الله ، ولو كان عبداً حبشياً ، وخلقت النار لمن عصاه ولو كان حراً قرشياً ، وقال صلى الله عليه وآله : ايتوني باعمالكم لا بأنسابكم . . . »[١] .

واستبعد بعض المؤلفين صحة هذه الرواية، وذلك لاشتمالها على تلك الأبيات ، وهي ركيكة بالإضافة إلى تقبيل الحسن البصري لرجلي

---

(١) روضات الجنات ٣/ ٢٩ .

الإمام ، وهو لا يليق بمكانة البصري ، ولا يرضى بذلك الإمام[1] وهذه المناقشة واهية ، وذلك لما يلي :

أولاً : إن الإمام عليه السلام أنشد هذه الأبيات ، ولا يعلم أنها من نظمه .

ثانياً : انا لا نعرف الوجه في ركاكة هذه الأبيات ، وضعفها، فإنها من الرقة والجودة بمكان .

ثالثاً : أن تقبيل الحسن البصري ليس اهانة له ، وإنما هو شرف وفخر له فإن الإمام بقية الله في أرضه ، وسيد العترة الطاهرة في عصره ، وفلذة من كبد رسول الله (ص) ، والبصري أعرف بمكانته من هذا المؤلف .

٥ ـ ومن مناجاته لله في البيت الحرام ما رواه طاووس الفقيه قال : رأيت علي بن الحسين يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبد ، فإذا لم ير أحداً رمق السماء بطرفه وقال :

« إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك ، وأبوابك مفتحات للسائلين ، جئتك لتغفر لي وترحمني ، وتريني وجه جدي محمد (ص)، في عرصات القيامة ».

ثم بكى وخاطب الله تعالى قائلاً :

« أما وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك ، ولا بنكالك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرض ، ولكن سولت لي نفسي ، واعانني على ذلك سترك المرخى به علي ، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني ، وبحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عني ، فواسوأ تاه غداً من الوقوف بين يديك ، إذا قيل للمخفين جوزوا ، وللمثقلين حطوا ، أمع المخفين أجوز؟ أم مع المثقلين احط ؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب ، أما آن لي ان استحي من ربي . . . ».

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع ١٦١/١ .

وانفجر بالبكاء وأنشأ يقول :

اتحـــرقني بـالنـــار يـا غـــايـة المنى فـــأيــن رجـــائي ثـــم أيــن مـــحـــبـتـي
اتــيـت بـــأعـــمـــال قـــبـــاح رديــة ومـــا في الـــورى خلق جنى كجنـايتي

سبحـانك تعصى كـأنك لا تـرى ، وتحلم كأنـك لم تعص ، تتـودد إلى خلقـك بحسن الصنيـع كـأن بـك الحـاجـة إليهم ، وأنت يـا سيـدي الغني عنهم . . . » ثـم خر إلى الأرض ساجـداً فدنـوت منه ، ورفعت رأسـه ووضعته في حجري فوقعت قـطرات من دموعي على خـده الشريف فـاستوى جـالساً ، وقال بصوت خافت :

« من هذا الذي اشغلني عن ذكر ربي؟ . . »

فأجابه طاووس بخضوع وإجلال :

« أنا طاووس، يا ابن رسول الله ما هذا الجـزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا؟ ونحن عاصون جانون ، أبوك الحسين بن علي ، وأمك فاطمة الزهراء ، وجدك رسول الله . . . » .

ولم يحفل الإمام بالنسب الوضاح الذي حظي به، فانبرى قائلاً :

هيهـات ، هيهات ، يـا طاووس دع عنـك حـديث أبي وأمي وجـدي ، خلق الله الجنة لمن أطاعه ، وأحسن ، ولو كان عبداً حبشياً ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً ، أما سمعت قولـه تعالى : ﴿ فـإذا نفخ في الصـور فلا أنساب بينهم ولا يتساءلون ﴾[1] ، والله لا ينفعك غداً إلا تقدمة تقدمها من عمل صالح . .

٦ ـ ومن مناجاته عليه السلام في بيت الله الحرام ما رواه طاووس قال : دخلت الحجر ـ يعني حجر اسماعيل ـ في الليل فإذا علي بن الحسين قد دخل فقام يصلي ما شاء الله ، ثم سجد سجدة فأطـالها، فقلت : رجـل صالـح من بيت النبوة لأصغين إليه فسمعته يقول :

---

(١) كشف الغمة ٤/١٥١ البحار ٤٦/٨١، مجالس ثعلب ٢/٤٦٢ .

« عبدك بفنائك ، مسكينك بفنائك ، سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك » . . . وحفظ طاووس هذه المناجاة القصيرة التي عبرت عن نكران الذات ، والاعتراف بالعبودية المطلقة لله ، فكان يدعو بها عند الحاجة ، وان الله يكشف ما المَّ به كما حدث بذلك[1] .

هذه بعض مناجاة الإمام في بيت الله الحرام ، وهي تكشف عن عظيم انابته واتصاله بالله ، وله مناجاة أخرى سوف نعرض لها عند البحث عن أدعيته ومناجاته .

مع رجل يطوف بالكعبة :

وسمع الإمام عليه السلام رجلاً في أثناء طوافه بالكعبة ، وهو يسأل الله الصبر فالتفت الإمام إليه قائلاً :

« سألت البلاء ، ولكن قل : « اللهم اني اسألك العافية ، والشكر على العافية »[2] لقد ارشده الإمام إلى الدعاء الذي ينبغي أن يدعو به ، وهو طلب العافية والشكر عليها ، وحذره من الدعاء بطلب الصبر لأنه إنما يكون فيما إذا نزل به بلاء أو فاقة .

انكاره على سائلين في عرفة :

ونظر الإمام عليه السلام إلى قوم يسألون الناس ، ويطلبون رفدهم في يوم عرفة فأنكر عليهم ذلك وقال :

« ويحكم أغير الله تسألون في مثل هذا اليوم !! إنه ليرجى في هذا اليوم لما في بطون الحبالى أن يكون سعيداً . . »[3] .

تحريره للعبيد في عرفات :

كان عليه السلام يشتري السودان، وما به إليهم من حاجة فيأتي بهم إلى

---

(١) نور الأبصار (ص ١٢٧) نهج البلاغة ١٩٢/٦ .
(٢) دعوات قطب الراوندي (ص ٤٣) مخطوط .
(٣) البحار ١٠٥/٤٦ .

عرفات فيسد بهم الفرج والخلال فإذا افاض من عرفات أمر بعتق رقابهم ، وجوائز لهم من المال[1] .

دعاؤه في عرفات :

وكان الإمام في عرفات يقوم بالصلاة ، والدعاء ، وتلاوة القرآن الكريم ، وكان يدعو بهذا الدعاء الشريف ، وهو من غرر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام ، فقد حفل بأمور بالغة الأهمية ، وفيما يلي نصه :

« الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام ، رب الأرباب ، وإله كل مألوه ، وخالق كل مخلوق ، ووارث كل شيء ، ليس كمثله شيء ، ولا يعزب[2] عنه علم شيء ، وهو محيط ، وهو على كل شيء رقيب .

أنت الله لا إله إلا أنت ، الأحد المتوحد، الفرد المتفرد ، وأنت الله لا إله إلا أنت الكريم المتكرم ، وأنت الله لا إله إلا أنت ، العلي المتعال ، الشديد المحال[3] وأنت الله لا إله إلا أنت ، الرحمن الرحيم ، العليم الحكيم ، وأنت الله لا إله إلا أنت ، السميع البصير ، القديم الخبير ، وأنت الله لا إله إلا أنت ، الكريم الأكرم ، الدائم الأدوم ، وأنت الله لا إله إلا أنت الداني في علوه ، والعالي في دنوه ، وأنت الله لا إله إلا أنت ذو البهاء والمجد ، والكبرياء والحمد ، وأنت الله لا إله إلا أنت الذي انشأت الأشياء من غير سنخ[4] وصورت ما صورت من غير مثال ، وابتدعت المبتدعات بلا احتذاء[5] أنت الذي قدرت كل شيء تقديراً ، ويسرت كل شيء تيسيراً ، ودبرت ما دونك تدبيراً ، وأنت الذي لم يعنك على خلقك شريك ، ولم

---

(١) البحار ٤٦/٦٢ .

(٢) لا يعزب : أي لا يغيب .

(٣) الشديد المحال : أي القوي الحول .

(٤) من غير سنخ ، أي من غير أصل .

(٥) بلا احتذاء : أي بلا اقتداء .

يؤازرك في أمرك وزير، ولم يكن لك مشاهد ولا نظير ، أنت الذي اردت فكان حتماً ما اردت ، وقضيت فكان عدلاً ما قضيت ، وحكمت فكان نصفاً ما حكمت ، أنت الذي لا يحويك مكان ، ولم يقم لسلطانك سلطان ، ولم يعيك برهان ، ولا بيان. . . ».

وحفلت هذه الكلمات المشرقة بتعظيم الله ، وتمجيده والثناء عليه ، وبيان معظم صفاته تعالى الإيجابية ، والتي منها أنه تعالى انشأ الأشياء ، وأوجدها ، وابتدعها بقدرته ، وإرادته التي احكمت كل شيء صنعا ، فجميع ما في الكون مما يُرى، ومما لا يرى قد أحكمه تعالى ، وقدره تقديراً ، ودبره تدبيراً بحكمة بالغة ، وباسرار عجيبة تذهل الأفكار، وتحير الألباب ، وكيف يستطيع الانسان الممكن ، والمحدود في علمه ، وقدرته وإرادته أن يصل إلى معرفة الخالق العظيم ، الذي هو فوق التصور ، وفوق الادراك، وهذا ما يؤكده الإمام عليه السلام في المقطع التالي من هذا الدعاء الشريف :

« أنت الذي احصيت كل شيء عدداً ، وجعلت لكل شيء أمداً ، وقدرت كل شيء تقديراً أنت الذي قصرت الأوهام عن ذاتيتك ، وعجزت الأفهام عن كيفيتك ، ولم تدرك الأبصار موضع اينيتك[1] أنت الذي لا تحد فتكون محدوداً ، ولم تمثل[2] فتكون موجوداً ، ولم تلد فتكون مولوداً، أنت الذي لا ضد معك فيعاندك[3] ولا عدل[4] لك فيكاثرك ، ولا ندلك فيعارضك، أنت الذي ابتدأ واخترع ، واستحدث ، وابتدع ، وأحسن صنع ما صنع ، سبحانك ما أجل شأنك ، واسنى[5] في الأماكن مكانك ، واصدع بالحق فرقانك[6]».

---

(١) اينيتك : أي محلك ، واين أنت .
(٢) ولم تمثل : أي ليس لك مثل .
(٣) فيعاندك : أي يضادك .
(٤) ولا عدل : أي معادل ومماثل .
(٥) اسنى : أي ارفع .
(٦) فرقانك : أي القرآن الكريم .

وعـرض إمام المـوحدين في هـذه الفقرات إلى علم الله تعـالى الذي لا يحد ، والذي كان فيه أنه أحصى جميع مـا في الكون عـدداً ،ولم يعزب عنـه مثقـال ذرة في السموات والأرض ، فقـد أحاط بكـل شيء علماً ، كمـا عـرض الإمام عليه السلام إلى عجز الأفهـام عن الوصـول إلى إدراك حقيقته تعـالى ، واستحالة ذلك عليها إذ كيف يدرك الممكن حقيقة واجب الوجود الذي ليس له نـوع ولا جنس ولا فصل حتى يتـوصل إلى معـرفته بهـا ، وكيف يستطيـع هذا الإنسان العاجز عن إدراك حقيقة ذاته ونفسه وما فيه من أجهـزة مذهلة وعجيبـة حتى يعـرف حقيقـة الخـالق العـظيم الـذي خلق الـزمـان والمكـان ، وخلق الكواكب والمجرات التي لا يحصي ما فيها من الكواكب الا الله .

وقـد المت هذه الفقـرات ببحوث فلسفيـة مهمة كنفي الحـد ، والمماثل والضـد وغيـرهـا عنـه تعـالى وقـد عـرضت لهـا بـالتفصيـل الكتب الفلسفيـة والكلامية . . . ولنستمع إلى فقرات اخرى من هذا الدعاء الشريف :

« سبحـانك من لـطيف مـا الـطفـك[١] ، ورؤوف مـا أرأفـك[٢] ، وحكيم مـا أعـرفك[٣] سبحـانك من مليـك ما امنعـك ، وجواد مـا أوسعـك[٤] ذو البهـاء والمجد والكبرياء والحمد ، سبحانك بسطت بالخيرات يدك ، وعُرفت الهداية من عندك ، فمن التمسك[٥] لدين أو دنيا وجـدك ، سبحـانـك خضع لـك من جرى في علمك[٦] وخشع لعظمتك ما دون عرشك ، وانقـاد للتسليم لك كـل خلقـك ، سبحـانـك لا تحس[٧] ولا تجس[٨] ولا تمس[٩] ولا تكـاد[١٠] ولا

(١) ما الطفك : أي ما اكثر الطافك وفضلك على خلقك .

(٢) ما ارأفك : أي ما أكثر رحمتك على عبادك .

(٣) وحكيم ما اعرفك : أي ما أكثر علمك بمواضع الأشياء .

(٤) وجواد ما أوسعك : أي ما أوسع عطاءك وجودك .

(٥) فمن التمسك : أي من طلبك .

(٦) خضع لك من جرى في علمك : أي جميع المخلوقات خاضعة ومنقادة لله .

(٧) لا تحس : أي لا تدرك بالحواس .

(٨) لا تجس : أي لا يعلم اخبارك احد .

(٩) لا تمس : لأنه تعالى ليس بجسم حتى يمس .

(١٠) لا تكاد : أي لا يصل إليه احد بكيد أو مكر .

تماط[1] ولا تنازع ، ولا تجارى ولا تمارى[2] ولا تخادع ، ولا تماكر[3] سبحانك سبيلك جدد[4] وأمرك رشد ، وأنت حي صمد[5] سبحانك قولك حكم ، وقضاؤك حتم وإرادتك عزم ، سبحانك لا راد لمشيئتك، ولا مبدل لكلماتك، سبحانك باهر الآيات، فاطر السموات[6] بارىء النسمات . . . »

وحفلت هذه اللوحة بأروع ما يسبح به الأولياء والمتقون ، وبأزكى ما يمجدون به ربهم ، فما اعظم الله وأجله وأعلاه عند الإمام عليه السلام فهو تعالى اللطيف الرؤوف بعباده، والملك المقتدر، فمن التجأ إليه فقد التجأ إلى حصن وثيق ، وكهف حريز وعرض الإمام عليه السلام إلى عظمة الله تعالى فقد خضع له كل ما في الكون ، وخشع له جميع من في الوجود ، وانقاد له بالتسليم جميع خلقه ، كما أن من عظمته تعالى تنزيهه عن الجسم حتى لا يدرك بالحواس الخمس ، وإنما هو نور السموات والأرض ، ومن عظمته انه ليس بمقدور أي أحد أن يكيده أو يمكر به أو يجادله أو ينازعه، وإنما الجميع تحت قبضته وسلطانه وأمره فقوله حكم ، وقضاؤه حتم ، وإرادته عزم ، ولنصغ بعد هذا الى قطعة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« لك الحمد حمداً يدوم بدوامك ، ولك الحمد حمداً خالداً بنعمتك ، ولك الحمد حمداً يوازي صنعك[7] ولك الحمد حمداً يزيد على رضاك ، ولك الحمد حمداً مع حمد كل حامد ، وشكراً يقصر عنه شكر كل شاكر ، حمداً لا ينبغي إلا لك ، ولا يتقرب به إلا اليك حمداً يستدام به الأول ، ويستدعى به دوام الآخر ، حمداً يتضاعف على كرور الأزمنة ، ويتزايد اضعافاً مترادفة ، حمداً يعجز عن احصائه الحفظة[8] ويزيد على ما احصته في كتابك

---

(١) لا تماط : أي لا تزال .
(٢) لا تمارى : أي لا يجادله أحد .
(٣) لا تماكر : أي لا احد يقدر على مماكرة الله تعالى .
(٤) جدد : أي واضح .
(٥) الصمد : السيد الشريف .
(٦) فاطر السموات : أي خالق السموات .
(٧) يوازي صنعك : أي يعادل صنعك في الكثرة .
(٨) الحفظة : وهم الملائكة الكرام الذين يحفظون اعمال العباد .

الكتبة[1] حمداً يوازن عرشك المجيد ، ويعادل كرسيك الرفيع ، حمداً يكمل لديك ثوابه ، ويستغرق كل جزاء جزاؤه ، حمداً ظاهره وفق لباطنه ، وباطنه وفق لصدق النية ، حمداً لم يحمدك خلق مثله ، ولا يعرف أحد سواك فضله ، حمداً يعان من اجتهد في تعديده، ويؤكد من اغرق نزعا في توفيته[2] حمداً يجمع ما خلقت من الحمد ، وينتظم ما أنت خالقه من بعد ، حمداً لا حمد أقرب إلى قولك منه ، ولا أحمد ممن يحمدك به حمداً يوجب بكرمك المزيد بوفوره ، وتصله بمزيد بعد مزيد طولاً[3] منك ، حمداً يجب لكرم وجهك ، ويقابل عز جلالك . . . ».

ولم تبق كلمة في قاموس الحمد والثناء إلا قدمها الإمام لمحبوبه الأكبر الخالق العظيم ، لقد قدم له الحمد اللاّ متناهي على عظيم نعمه ، وألطافه عليه ، ولنستمع بعد هذا الى لوحة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« رب صل على محمد وآل محمد ، المنتجب[4] المصطفى[5] المكرم ، المقرب افضل صلواتك ، وبارك عليه اتم بركاتك ، وترحم عليه امتع رحماتك ، رب صل على محمد وآله ، صلاة زاكية لا تكون صلاة أزكى منها ، وصل عليه صلاة نامية لا تكون صلاة أنمى منها ، وصل عليه صلاة راضية[6] لا تكون صلاة فوقها رب صل على محمد وآله صلاة ترضيه ، وتزيد على رضاه ، وصل عليه صلاة ترضيك ، وتزيد على رضاك له ، وصل عليه صلاة لا ترضى له إلا بها ولا ترى غيره لها أهلاً .

رب صل على محمد وآله صلاة تجاوز رضوانك[7] ويتصل اتصالها

---

(١) الكتبة : وهم الملائكة العظام الذين يكتبون اعمال الناس .
(٢) من أغرق نزعاً في توفيته : الاغراق الاكثار ، والتوفية : الوفاء .
(٣) طولاً : أي إحساناً .
(٤) المنتخب : المختار .
(٥) المصطفى : المختار .
(٦) راضية : أي مرضية .
(٧) تجاوز رضواتك : أي تجاوز القدر الذي ترضى به .

ببقائك ، ولا ينفد كما لا تنفد كلماتك ، رب صل على محمد وآله صلاة تنتظم[1] صلوات ملائكتك وأنبيائك ورسلك وأهل طاعتك وتشتمل على صلوات عبادك من جنك وانسك وأهل اجابتك ، وتجتمع على صلاة على كل من ذرأت[2] وبرأت[3] من اصناف خلقك ، رب صل عليه وآله صلاة تحيط بكل صلاة سالفة ومستأنفة ، وصل عليه وآله صلاة مرضية لك ولمن دونك ، وتنشىء مع ذلك صلاة تضاعف معها تلك الصلوات ، وتزيدها على كرور الأيام زيادة في تضاعيف لا يعدها غيرك . . . » .

وأشاد الإمام عليه السلام بهذه الكلمات بجده الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وطلب من الله تعالى أن يترحم ويصلي عليه صلاة زاكية نامية مرضية تبقى على كرور الليالي والأيام ، وتتصل ببقاء الله الذي لا نهاية له ، ولا تنفد كما لا تنفذ كلمات الله ، ولنستمع بعد هذا الى قطعة اخرى من هذا الدعاء :

« رب صل على أطايب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك ، وجعلتهم خزائن علمك ، وحفظة دينك ، وخلفاءك في أرضك ، وحججك على عبادك ، وطهرتهم من الرجس[4] والدنس تطهيراً بإرادتك ، وجعلتهم الوسيلة اليك ، والمسلك إلى جنتك ، رب صلّ على محمد وآله صلاة تجزل لهم بها من نحلك[5] وكرامتك ، وتكمل لهم الأشياء من عطاياك ونوافلك[6] وتوفر عليهم الحظ من عوائدك وفوائدك ، رب صل عليه ، وعليهم صلاة لا أمد في أولها ، ولا غاية لأمدها[7] ولا نهاية لآخرها ، رب صل عليهم زنة عرشك وما دونه ، وملء سمواتك وما فوقهن ، وعدد اراضيك وما تحتهن ، وما بينهن صلاة تقربهم منك زلفى ، وتكون لك ولهم رضى ، ومتصلة بنظائرهن أبداً . . . » .

---

(١) تنظم صلاة ملائكتك : أي تكون مع صلاة الملائكة .
(٢) ذرأت : أي خلقت .
(٣) برأت : أي أنشأت .
(٤) الرجس : المعاصي .
(٥) نحلك : جمع نحلة وهي العطية .
(٦) نوافلك : جمع نافلة ، وهي العطية الفاضلة .
(٧) ولا غاية لأمدها : أي لا نهاية لمدتها .

واعرب الإمام عليه السلام في هذه الكلمات عن سمو منزلة أهل البيت عليهم السلام وما منحهم الله من الفضائل، والتي منها :

(أ) أن الله تعالى اختارهم لنشر دينه ، وأداء رسالته إلى عباده .

(ب) أن الله جعلهم خزنة لعلمه ، ومراكز لحكمته .

(ج) أنهم حفظة دين الله من الزيادة والنقصان .

(د) أنهم خلفاء الله في أرضه ، وحججه على عباده .

(هـ) أن الله طهرهم من الرجس والدنس، كما نطقت بذلك الآية الكريمة ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ .

(و) أن الله تعالى جعلهم الوسيلة اليه ، والمسلك إلى جنته، فمن أتاهم فقد نجا ، ومن تخلف عنهم فقد غرق وهوى .

هذه بعض فضائلهم ومآثرهم التي تحدث عنها الإمام عليه السلام ، وطلب من الله أن يفيض صلواته ومغفرته عليهم وأن يجزل لهم المزيد من رحماته ، ولنصغ إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء :

« اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علماً لعبادك ومناراً[1] في بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك، والذريعة إلى رضوانك ، وافترضت طاعته ، وحذرت معصيته ، وأمرت بامتثال أوامره ، والانتهاء عند نهيه ، والا يتقدمه متقدم ، ولا يتأخر عنه متأخر ، فهو ع بمة اللائذين ، ودهف المؤمنين ، وعروة المستمسكين، وبهاء العالمين .

اللهم فأوزع لوليك شكر ما انعمت به عليه ، وأوزعنا مثله فيه ، وآته من لدنك سلطاناً نصيراً ، وافتح له فتحاً يسيراً ، واعنه بركنك الأعز ، واشدد ازره ، وقو عضده ، وراعه بعينك ، واحمه بحفظك ، وانصره بملائكتك ، وأمدده بجندك الأغلب ، وأقم به كتابك وحدودك ، وشرائعك ، وسنن رسولك صلواتك اللهم عليه وآله ، وأحي به ما أماته الظالمون من معالم دينك ، واجل به اصداء الجور عن طريقتك ، وابن به الضراء من سبيلك وأذل به الناكبين

(١) المنار : الموضع الذي يجعل عليه النور ليلاً ليراه المار فيعرف به الطريق.

عن صراطك ، وامحق به بغاة قصدك عوجاً ، وألن جانبه لأوليائك وابسط يده على اعدائك ، وهب لنا رأفته ورحمته ، وتعطفه وتحننه ، واجعلنا له سامعين ، مطيعين، وفي رضاه ساعين ، وإلى نصرته ، والمدافعة عنه مكنفين ، وإليك ، وإلى رسولك صلواتك اللهم عليه وآله متقربين . . . ».

وتحدث عليه السلام عن سمو منزلة الإمام القائم وأهميته البالغة في دنيا الإسلام، فهو الحافظ لدين الله ، والهادي إلى سبيل الحق والرشاد ، والذريعة إلى رضوان الله والواجب يدعو إلى لزوم طاعته ، وحرمة مخالفته لأنه عصمة اللائذين ، وكهف المؤمنين ، وعروة المستمسكين ، وبهاء العالمين، وقد دعا له بالنصر والفتح المبين ليقيم سنة الإسلام ، ويحيي ما أماته الظالمون من معالم الشريعة وأحكام الدين ، ولنستمع إلى قطعة اخرى من هذا الدعاء العظيم :

« اللهم وصل على أوليائهم ، المعترفين بمقامهم ، المتبعين منهجهم ، المقتفين آثارهم المستمسكين بعروتهم ، المتمسكين بولايتهم ، المؤتمين بإمامتهم ، المسلمين لأمرهم ، المجتهدين في طاعتهم ، المنتظرين أيامهم ، المادين اليهم اعينهم ، الصلوات المباركات الزاكيات الناميات ، الغاديات، الرائحات ، وسلم عليهم وعلى أرواحهم، واجمع على التقوى أمرهم ، وأصلح لهم شؤونهم ، وتب عليهم إنك أنت التواب الرحيم ، وخير الغافرين ، واجعلنا معهم في دار السلام يا أرحم الراحمين . . . ».

وطلب الإمام عليه السلام من الله تعالى أن يصلي ويترحم على شيعة أهل البيت عليهم السلام الذي يمثلون الوعي الفكري في الإسلام ، ويتبعون منهج الأئمة الطاهرين ، ويقتفون آثارهم ، ويتمسكون بولايتهم ، ويأتمون بامامتهم ويجتهدون في طاعتهم ، وينتظرون أيامهم ، وهؤلاء هم الملتزمون بحرفية الإسلام وشايعوا النبي (ص) في أقواله وأفعاله ، والتي منها اتباع ائمة أهل البيت (ع) والتمسك بهم ، والأخذ بما أثر عنهم في عالم التشريع ، وقد دعا لهم الإمام (ع) بأن يجمع الله أمرهم على التقوى ، ويصلح شؤونهم ،

ويتوب عليهم ، ويجعله معهم في دار الحق والسلام ، ولنستمع الى لوحة اخرى من هذا الدعاء :

« اللهم وهذا يوم عرفة ، يوم شرفته وكرمته ، وعظمته ، نشرت فيه رحمتك ، ومننت فيه بعفوك ، واجزلت فيه عطيتك ، وتفضلت فيه على عبادك ، اللهم وأنا عبدك الذي انعمت عليه قبل خلقك له ، وبعد خلقك إياه ، فجعلته ممن هديته لدينك ، ووفقته لحقك ، وعصمته بحبلك ، وأدخلته في حزبك ، وأرشدته لموالاة أوليائك ، ومعاداة اعدائك ، ثم أمرته فلم يأتمر ،وزجرته فلم ينزجر ، ونهيته عن معصيتك فخالف أمرك إلى نهيك لا معاندة لك ، ولا استكباراً عليك بل دعاه هواه إلى ما زيلته[1] وإلى ما حذرته ، وأعانه على ذلك عدوك وعدوه[2] فأقدم عليه[3] عارفاً بوعيدك ، راجياً لعفوك ، واثقاً بتجاوزك ، وكان أحق عبادك مع ما مننت عليه ألا يفعل ، وها أنا ذا بين يديك صاغراً ، ذليلاً خاضعاً خاشعاً ، خائفاً ، معترفاً بعظيم من الذنوب تحملته ، وجليل من الخطايا اجترمته[4] مستجيراً بصفحك ، لائذاً برحمتك ، موقناً أنه لا يجيرني منك مجير ، ولا يمنعني منك مانع ، فعد علي بما تعود به على من اقترف من تعمدك ، وجد علي بما تجود به على من القى بيده إليك من عفوك ، وامنن علي بما لا يتعاظمك ان تمنَّ به على من أملك من غفرانك[5] واجعل لي في هذا اليوم نصيباً أنال به حظاً من رضوانك ، ولا تردني صفراً[6] مما ينقلب به المتعبدون لك من عبادك ، واني وإن لم اقدم ما قدموه من الصالحات ، فقد قدمت توحيدك ونفي الأضداد والأنداد والأشباه عنك ، واتيتك من الأبواب التي أمرت أن تؤتى منها[7] وتقربت إليك بما لا

---

(١) زيلته : ابعدته .

(٢) العدو : المراد به إبليس الذي هو عدو الله وعدو الإنسان .

(٣) الضمير برجع الى المنهي عنه والمعصية .

(٤) اجترمته : أي اقترفته .

(٥) غفرانك : أي من مغفرتك ، وليست هي عظيمة عندالله .

(٦) صفراً : أي خالياً .

(٧) الأبواب التي أمر تعالى أن يؤتى هي أبواب الأئمة الطاهرين .

يقرب أحد منك إلا بالتقرب به[1] ثم اتبعت ذلك بالأنابة اليك ، والتذلل والاستكانة[2] لك وحسن الظن بك ، والثقة بما عندك ، وشفعته برجائك الذي قل ما يخيب عليه راجيك ، وسألتك مسألة الحقير الذليل ، البائس الفقير ، الخائف المستجير ، ومع ذلك خيفة وتضرعاً وتعوذاً [3] وتلوذاً ، لا مستطيلاً بتكبر المتكبرين ، ولا متعالياً بدالة المطيعين ، ولا مستطيلاً بشفاعة الشافعين ، وأنا بعد أقل الأقلين ، وأذل الأذلين ، ومثل الذرة أو دونها . . . » .

واعرب الإمام عليه السلام في هذا المقطع من دعائه عن تعظيمه وتقديسه ليوم عرفة الذي هو من أجل أيام الله ، فقد نشر فيه تعالى رحمته ، وتفضل على حجاج بيته الحرام بالعفو والغفران ، كما ابدى عليه السلام تذلله وعبوديته المطلقة لله معترفاً بتقصيره ، واثقاً بلطفه ، راجياً منه العفو ، مقدماً له الاعتراف بتوحيده ونفي الأضداد ، والأنداد عنه ، سالكاً من الأبواب التي أمر تعالى أن يؤتى منها وهي أبواب الأئمة الطاهرين ، وفي هذا درس للمقصرين ، والمبتعدين عن الله تعالى أن ينهجوا هذا المنهج لينقذوا انفسهم ، من عذاب الله في الدار الآخرة ، ولنعد إلى الاستماع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« فيا من لم يعاجل المسيئين ، ولا ينده[4] المترفين ، ويا من يمن باقالة العاثرين ، ويتفضل بانظار الخاطئين ، أنا الذي اقدم عليك مجترئاً ، أنا الذي عصاك متعمداً ، أنا الذي استخفى من عبادك وبارزك ، أنا الذي هاب عبادك ، وامنك ، أنا الذي لم يرهب سطوتك ، ولم يخف بأسك ، أنا الجاني على نفسه ، أنا المرتهن ببليته ، أنا القليل الحياء أنا الطويل العناء ، بحق من انتجبت من خلقك ، وبمن اصطفيته لنفسك ، بحق من اخترت من بريتك ، ومن اجتبيت لشأنك[5] بحق من وصلت طاعته بطاعتك ، ومن

---

(١) المراد أن الله تعالى لا يقبل التقرب إليه إلا من طريق الأئمة عليهم السلام .

(٢) الأستكانة : التضرع .

(٣) التعوذ : الاستجارة .

(٤) ينده : أي يمنع .

(٥) لشأنك : أي لدينك .

جعلت معصيته كمعصيتك ، بحق من قرنت موالاته بموالاتك، ومن نطت[1] معاداته بمعاداتك ، تغمدني في يومي هذا بما تتغمد به من جاء إليك متنصلاً[2] وعاذ باستغفارك تائباً ، وتولني بما تتولى به أهل طاعتك ، والزلفى لديك ، والمكانة منك وتوحدني بما تتوحد به من وفى بعهدك ، واتعب نفسه في ذاتك ، وأجهدها في مرضاتك، ولا تؤاخذني بتفريطي في جنبك وتعدي طوري في حدودك، ومجاوزة احكامك، ولا تستدرجني باملائك لي استدراج من منعني خير ما عنده ، ولم يشركك في حلول نعمته بي ، ونبهني من رقدة الغافلين ، وسنة المسرفين ، ونعسة المخذولين[3] وخذ بقلبي إلى ما استعملت به القانتين[4] واستبعدت به المتعبدين ، واستنقذت به المتهاونين ، واعذني مما يباعدني عنك ويحول بيني وبين حظي منك ، ويصدني عما أحاول لديك ، وسهل لي مسلك الخيرات إليك ، والمسابقة إليها من حيث أمرت، والمشاحة فيها على ما أردت ، ولا تمحقني فيمن تمحق من المستخفين بما أوعدت، ولا تهلكني مع من تهلك من المتعرضين لمقتك ، ولا تتبرني[5] فيمن تتبر من المنحرفين عن سبيلك ، ونجني من غمرات الفتنة[6] وخلصني من لهوات البلوى واجرني من أخذ الاملا ء[7].

وتحدث الإمام عليه السلام في هذه الفقرات عن ألطاف الله تعالى على عباده ، والتي منها انه لا يعجل بالعقوبة والإنتقام من المسيئين والعصاة ، وإنما يمهلهم لعلهم يثوبون ، ويرجعون إلى طريق الحق والصواب ، كما

(١) نطت : أي علقت .

(٢) متنصلا: أي متبرئاً.

(٣) المخذولون : وهم الذين تركهم الله تعالى وشأنهم ليفعلوا مايشأون ليحاسبهم على ما اقترفوا في الدار الآخرة .

(٤) القانتين : وهم الخاضعون لأوامره تعالى .

(٥) تتبرني : أي تهلكني .

(٦) غمرات الفتنة : وهي شدة الفتن التي تحيط بالإنسان .

(٧) أخذ الاملاء : وهي كتابة المعاصي والموبقات التي يقترفها الإنسان والتي يحاسب عليها بعد انتهاء أجله .

أعرب عليه السلام عن تذلله وتصاغره ونكران ذاته أمام الخالق العظيم طالباً منه ، ومتوسلاً إليه أن يمنحه العفو والرضوان ، وينبهه من رقدة الغافلين ، وسنة المسرفين ويسلك به مسلك الأخيار والصالحين ، ولنستمع إلى قطعة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« وحل بيني وبين عدو يضلني ، وهوى يوبقني[1] ومنقصة ترهقني ، ولا تعرض عني اعراض من لا ترضى عنه، بعد غضبك ، ولا تؤيسني من الأمل فيك ، فيغلب علي القنوط من رحمتك ، ولا تمنحني بما لا طاقة لي به فتبهظني مما تحملنيه من فضل محبتك ، ولا ترسلني من يدك إرسال من لا خير فيه ، ولا حاجة بك إليه ، ولا إنابة له ، ولا ترم بي رمي من سقط من عين رعايتك ، ومن اشتمل عليه الخزي من عندك ، بل خذ بيدي من سقطة المترددين ، ووهلة المتعسفين ، وزلة المغرورين ، وورطة الهالكين ، وعافني مما ابتليت به طبقات عبيدك ، وإمائك ، وبلغني مبالغ من عنيت به ، وأنعمت عليه ، ورضيت عنه فأعشته حميداً ، وتوفيته سعيداً ، وطوقني طوق الإقلاع عما يحبط الحسنات ، ويذهب بالبركات ، وأشعر قلبي الازدجاد عن قبائح السيئات ، وفواضح الحوبات[2] ولا تشغلني بما لا أدركه إلا بك عما لا يرضيك عني غيره ، وانزع من قلبي حب دنيا دنية تنهى عما عندك ، وتصد عن ابتغاء الوسيلة إليك ، وتذهل عن التقرب منك ، وزين لي التفرد بمناجاتك بالليل والنهار ، وهب لي عصمة تدنيني من خشيتك ، وتقطعني عن ركوب محارمك ، وتفكني من أسر العظائم[3] وهب لي التطهر من دنس العصيان ، واذهب عني درن[4] الخطايا ، وسربلني بسربال عافيتك[5] وردني رداء معافاتك ، وجللني سوابغ نعمائك ، وظاهر[6] لدي فضلك وطولك[7]

---

(١) يوبقني : أي يهلكني .

(٢) الحوبات : جمع حوبة وهي المعصية .

(٣) العظائم : وهي الذنوب التي يكون الإنسان أسيراً أمامها عند الله .

(٤) الدرن : القذارة ، فان الخطايا التي يقترفها الإنسان توجب قذارة النفس .

(٥) السربال : القميص ، وقد شبه به العافية فإنها تحيط ببدن الإنسان كله كالقميص .

(٦) وظاهر : أي تابع علي .

(٧) الطول : النعمة .

وايدني بتوفيقك وتسديدك ، وأعني على صالح النية ، ومرضي القول ، ومستحسن العمل ، ولا تكلني إلى حولي وقوتي دون حولك وقوتك ، ولا تخزني يوم تبعثني للقائك ، ولا تفضحني بين يدي أوليائك ، ولا تنسني ذكرك ، ولا تذهب عني شكرك ، بل الزمنيه في أحوال السهو عند غفلات الجاهلين لالآئك[1].وأوزعني أن أثني بما أوليتنيه وأعترف بما أسديته إلي ، واجعل رغبتي إليك فوق رغبة الراغبين ، وحمدي إياك فوق حمد الحامدين ، ولا تخذلني عند فاقتي إليك ، ولا تهلكني بما أسديته إليك . . . » .

أرأيتم هذا الإتجاه إلى الله تعالى ، والإخلاص في طاعته ؟ أرأيتم كيف يسأل الإمام عليه السلام ربه بتذلل وخضوع وتملق ، فقد سأل منه أن يكفيه شر الشيطان الرجيم العدو الأول للإنسان ، وطلب منه أن يصرفه عن كل هوى يميل به إلى غير الحق ، وأن يشمله برعايته وعنايته ، وأن يأخذ بيده من سقطة المتردين ، ووهلة المتعسفين وزلة المغرورين ، وأن يجعل له الصوارف النفسية عن كل ذنب وخطيئة وعن حب الدنيا التي هي رأس كل خطيئة ، وأن يزين له طاعته وعبادته حتى يحظى بطاعته وعبادته ، والتقرب إليه . . . هذه بعض المطالب التي سألها الإمام من ربه ، ولنستمع إلى مقطع آخر من هذا الدعاء الشريف :

« ولا تجبهني بما جبهت به المعاندين لك ، فإني لك مسلم ، أعلم أن الحجة لك وانك أولى بالفضل ، وأعود بالإحسان ، وأهل التقوى[2] وأهل المغفرة ، وانك بأن تعفو أولى منك بأن تعاقب ، وانك بأن تستر أقرب منك إلى أن تشهر ، فأحيني حياة طيبة تنتظم بما أريد ، وتبلغ ما أحب من حيث لا آتي ما تكره ، ولا أرتكب ما نهيت عنه ، وأمتني ميتة من يسعى نوره بين يديه ، وعن يمينه ، وذللني بين يديك ، وأعزني عند خلقك ، وضعني إذا خلوت بك[3] ، وارفعني بين عبادك ، وأغنني عمن هو غني عني ، وزدني

---

(١) الالاء : جمع مفرده إلي ، وهي النعم .

(٢) أهل التقوى : يعني أنت أهل لأن يتقى ويخاف منك .

(٣) وضعني إذا خلوت بك : أي اجعلني وضيعاً ذليلاً إذا خلوت بين يديك .

إليك فاقة[١] وفقراً ، وأعذني من شماتة الأعداء ومن حلول البلاء ، ومن الذل والعناء ، تغمدني فيما اطلعت عليه مني بما يتغمد بـه القادر على البـطش لولا حلمه ، والآخذ على الجريرة لولا أناتـه ، وإذا أردت بقوم فتنـة أو سوءً فنجني منها لواذاً بـك[٢] وإذا لم تقمني مقام فضيحـة في دنياك ، فـلا تقمني مثله في آخرتك ، واشفع لي أوائل مننك بأواخـرها[٣] وقـديم فوائـدك بحوادثهـا ، ولا تمدد لي مداً يقسو معه قلبي[٤] ولا تقـرعني قارعـة[٥] يذهب لهـا بهائي ، ولا تسمني خسيسة يصغر لها قدري ولا نقيصة يجهل من أجلها مكاني ولا تـرعني روعة أبلس[٦] بها ولا خيفة أوجس دونها .

اجعـل هيبتي في وعيدك ، وحـذري[٧] من إعـذارك وإنـذارك ، ورهبتي عند تلاوة آياتك ، واعمر ليلي بإيقـاظي فيه لعبـادتك وتفـردي بالتهجـد لك ، وتجردي بسكوني إليك ، وإنزال حوائجي بك ، ومنازلتي إياك في فكاك رقبتي من نـارك ، وإجـارتي ممـا فيـه أهلهـا من عـذابـك ، ولا تـذرني في طغيـاني عـامها[٨] ولا في غمـرتي ساهيـاً حتى حين[٩] ولا تجعلني عظة لمن اتعظ ، ولا نكالاً لمن اعتبر ، ولا فتنـة لمن نظر ، ولا تمكـر بي فيمن تمكر بـه ، ولا تستبدل بي غيري ، ولا تغير لي اسماً[١٠] ولا تبدل لي جسماً[١١] ولا تتخـذني هـزواً لخلقك ولا سخـرياً لـك[١٢] ولا تبعـاً إلا لمـرضـاتـك ، ولا ممتهنـاً إلا بالانتقام لك . . » .

---

(١) الفاقة : شدة الفقر والحاجة .
(٢) لواذاً بك : أي ملتجئاً إليك .
(٣) واشفع لي أوائل مننك بأواخرها : أي اجعل نعمك متصلة بعضها ببعض علي .
(٤) ولا تمد لي مداً يقسو معه قلبي : أي لا تمدني بالنعم التي تؤدي إلى قساوة القلب .
(٥) القارعة : هي المصيبة الشديدة .
(٦) أبلس : أي أيأس .
(٧) حذري : أي خوفي .
(٨) العمه : أشد العمى .
(٩) حتى حين : أي حتى حلول المنية .
(١٠) ولا تغير لي اسماً : أي لا تمح اسمي من ديوان السعداء .
(١١) ولا تبدل لي جسماً : أي لاتحل علي عقوبتك حتى يتغير جسمي ويكون كريهاً .
(١٢) ولا سخرياً لك : أي لا تعاملني معاملة من تسخر به .

وعرض الإمام عليه السلام مهامه ومطالبه أمام الخالق العظيم طالباً منه إنجازها، وأن لا يجبهه بردها، فقد سأله أن يحييه حياة طيبة كريمة، يتحقق فيها ما يأمله ويريده وأن لا يرتكب معصية أو يقترف إثماً ، وأن يميته ميتة الصالحين الذين يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم ، كما سأله انه إذا وقف في مناجاته وعبادته أن يكون ذليلاً ، لا يجد لنفسه أمامه أي كيان ، وطلب منه أن يعزه عند خلقه ، ويرفع شأنه بين عباده ، وأن يغنيه عنهم ، وأن يعيذه من شماتة الاعداء التي هي من أعظم النكبات على الإنسان ، وأن ينجيه من حلول البلاء والذل والعناء ، وأن لا ينزل به فتنة أو سوءاً أو عذاباً إذا أراد أن يصبه على العصاة من عباده ، إلى غير ذلك من مهام الأمور التي طلبها الإمام من الله تعالى ، ولنستمع إلى الفصل الأخير من هذا الدعاء الجليل :

« وأوجدني برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، وروحك[١] وريحانك ، وجنة نعيمك ، وأذقني طعم الفراغ[٢] لما تحب بسعة من سعتك ، والاجتهاد فيما يزلف لديك وعندك ، وأتحفني بتحفة من تحفاتك ، واجعل تجارتي[٣] رابحة وكرتي غير خاسرة ، واخفني مقامك ، وشوقني لقاءك ، وتب علي توبة نصوحا لا تبقي معها ذنوباً صغيرة ، ولا كبيرة ، ولا تذر[٤] معها علانية ولا سريرة وانزع الغل[٥] من صدري للمؤمنين ، واعطف بقلبي على الخاشعين ، وكن لي كما تكون للصالحين ، وحلني حلية المتقين ، واجعل لي لسان صدق في الغابرين[٦] وذكراً نامياً في الآخرين ، ووافِ بي عرصة[٧] الأولين ، وتمم سبوغ نعمتك علي ، وظاهر كراماتها لدي ، املأ من فوائدك يدي ، وسق كرائم مواهبك إلي ، وجاور بي الأطيبين من أوليائك في الجنان التي زينتها

---

(١) روحك : الروح الهواء الطيب .
(٢) طعم الفراغ : أي أكون فارغاً لأعمل ما تحبه وتريده .
(٣) تجارتي : المراد بها التجارة لدار الآخرة التي لا تبور .
(٤) لا تذر : أي لا تبق .
(٥) الغل : الحقد
(٦) الغابرين : أي الباقين من بعدي .
(٧) عرصة الأولين : أي ساحتهم وهو كناية عن الالتحاق بهم .

لأصفيائك ، وجللني شرائف نحلك[1] في المقامات المعدة لأحبائك ، واجعل لي عندك مقيلاً آوي إليه مطمئناً ، ومثابة أتبوأها[2] وأقر عيناً ولا تقايسني[3] بعظيمات الجرائر[4] ولا تهلكني يوم تبلى[5] السرائر وأزل عني كل شك وشبهة ، واجعل لي في الحق طريقاً من كل رحمة ، واجزل لي قسم المواهب[6] من نوالك[7] ووفر علي حظوظ الإحسان من أفضالك ، واجعل قلبي واثقاً بما عندك ، وهمي مستفرغاً[8] لما هو لك ، واستعملني بما تستعمل به خالصتك ، واشرب قلبي عند ذهول العقول طاعتك[9] واجمع لي الغنى والعفاف ، والدعة[10] والمعافاة ، والصحة والسعة ، والطمأنينة ، والعافية ، ولا تحبط حسناتي بما يشوبها من معصيتك ، ولا خلواتي بما يعرض لي من نزغات فتنتك ، وصن وجهي عن الطلب إلى أحد من العالمين ، وذبنى[11] عن التماس ما عند الفاسقين ، ولا تجعلني للظالمين ظهيراً ، ولا لهم على محو كتابك يداً ونصيراً ، وحطني[12] من حيث لا أعلم حياطة تقيني بها ، وافتح لي أبواب توبتك ، ورحمتك ورأفتك ، ورزقك الواسع ، إني إليك من الراغبين ، وأتمم إلي أنعامك ، إنك خير المنعمين ، واجعل باقي عمري في الحج والعمرة ابتغاء وجهك يا رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، والسلام عليه وعليهم أبد الآبدين . . »[13] .

---

(١) نحلك : أي عطاياك .
(٢) أتبوأها : أي أتخذها محلاً ومقراً .
(٣) لا تقايسني : أي لا تؤاخذني .
(٤) الجرائر : هي الجرائم .
(٥) تبلى السرائر : أي تظهر في السرائر ، وهي ما أسره الإنسان من الحسنات والسيئات .
(٦) قسم المواهب: أي الهبات التي تقسمها من عطائك .
(٧) نوالك : أي هباتك .
(٨) وهمي مستفرغاً : أي فارغاً .
(٩) عند ذهول العقول : أي عند غفلتها .
(١٠) الدعة : السعة في العيش .
(١١) ذنبي : من الذب بمعنى الدفع .
(١٢) حطنى : من حاطه إذا حفظه .
(١٣) الصحيفة السجادية الدعاء السادس والأربعون .

وبهذا ينتهي هذا الدعاء الشريف الذي هو من غرر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وقد حفل بأسمى دروس الحكمة والعرفان والإنابة إلى الله بالإضافة إلى أنه في منتهى الروعة من حيث البلاغة والفصاحة وجمال الأسلوب .

يوم عيد الأضحى :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يستقبل يوم عيد الأضحى بالإبتهال إلى الله والتضرع إليه طالباً منه أن يتفضل عليه بقبول مناسكه ، وسائر طاعاته وعباداته ، وأن يمنحه المغفرة والرضوان ، وكان يدعو الله تعالى بهذا الدعاء الجليل وهذا نصه :

« اللهم هذا يوم مبارك ميمون ، والمسلمون فيه مجتمعون في أقطار أرضك ، يشهد السائل منهم والطالب والراغب والراهب[1] وأنت الناظر في حوائجهم ، فأسألك بجودك وكرمك ، وهوان ما سألتك عليك أن تصلي على محمد وآله ، وأسألك اللهم ربنا بأن لك الملك ، ولك الحمد ، لا اله إلا أنت الحليم الكريم ، الحنان ، المنان ، ذو الجلال والإكرام ، بديع السموات والأرض ، مهما قسمت بين عبادك المؤمنين ، من خير أو عافية أو بركة أو هدى أو عمل بطاعتك أو خير تمن به عليهم تهديهم به إليك ، أو ترفع لهم عندك درجة أو تعطيهم به خيراً من خير الدنيا والآخرة ، أن توفر حظي ونصيبي منه .

أسألك اللهم بأن لك الملك والحمد ، لا إله إلا أنت أن تصلي على محمد وآل محمد عبدك ورسولك ، وحبيبك وصفوتك وخيرتك من خلقك ، وعلى آل محمد الأبرار الطاهرين الأخيار صلاة لا يقوى على إحصائها إلا أنت ، وأن تشركنا في صالح من دعاك في هذا اليوم من عبادك المؤمنين يا رب العالمين ، وأن تغفر لنا ولهم إنك على كل شيء قدير ، اللهم إليك

(١) الراهب : الخائف .

تعمدت بحاجتي ، وبك أنزلت اليوم فقري وفاقتي ومسكنتي[1] وإني بمغفرتك ورحمتك أوثق مني بعملي ، ولمغفرتك ورحمتك أوسع من ذنوبي ، فصل على محمد وآل محمد ، وتول قضاء كل حاجة هي لي بقدرتك عليها ، وتيسير ذلك عليك ، وبفقري إليك ، وغناك عني فإني لم أصب خيراً قط إلا منك ، ولم يصرف عني سوءاً قط أحد غيرك ولا أرجو لأمر آخرتي ودنياي سواك .

اللهم من تهيأ وتعبأ ، وأعدَّ وإستعدَّ لوفادة إلى مخلوق رجاء رفده ونوافله وطلب نيله وجائزته ، فإليك يا مولاي كانت اليوم تهيئتي وتعبئتي وإعدادي واستعدادي رجاء عفوك ورفدك وطلب نيلك وجائزتك ، اللهم فصلِّ على محمد وآل محمد ، ولا تخيب اليوم ذلك من رجائي ، يا من لا يحفيه[2] سائل ، ولا ينقصه نائل[3] فإني لم آتك ثقة مني بعمل صالح قدمته ، ولا شفاعة مخلوق رجوته إلا شفاعة محمد وأهل بيته عليه وعليهم سلامك ، أتيتك مقراً بالجرم والإساءة إلى نفسي أتيتك أرجو عظيم عفوك الذي عفوت به عن الخاطئين ، ثم لا يمنعك طول عكوفهم على عظيم الجرم إن عدت عليهم بالرحمة والمغفرة ، فيا من رحمته واسعة وعفوه عظيم ، يا عظيم ، يا عظيم ، يا كريم ، يا كريم ، صلِّ على محمد وآل محمد ، وعد علي برحمتك ، وتعطف علي بفضلك ، وتوسع علي بمغفرتك . . » .

وأشاد الإمام عليه السلام في مطلع دعائه بعيد الأضحى ، وما له من الأهمية البالغة عند المسلمين ، فهم في أقطار الأرض سواء من حضر موسم الحج أو لم يحضر قد رفعوا إلى الله تعالى حوائجهم ومهامهم طالبين منه قضاءها ، وقد سأل الإمام من الله أن يكتب له ما قسمه لعباده في هذا اليوم المبارك من خير أو عافية أو هداية ، وأخذ الإمام بعد ذلك بالتضرع والتذلل أمام الله الذي بيده العطاء والحرمان أن يتفضل عليه بالمغفرة والرحمة

---

(١) المسكنة : شدة الفقر .

(٢) يا من لا يحفيه : أي لا يبلغ آخر ما عنده .

(٣) نائل : أي عطاء .

والرضوان ، ولنستمع بعد هذا إلى مقطع آخر من هذا الدعاء :

« اللهم إن هذا المقام[1] لخلفائك وأصفيائك ، ومواضع أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها ، وأنت المقدر لذلك ، لا يغالب أمرك ، ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك ، كيف شئت ، وأنى شئت ، ولما أنت أعلم به غير متهم[2] على خلقك ، ولا لإرادتك ، حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين ، مقهورين ، مبتزين ، يرون حكمك مبدلاً ، وكتابك منبوذاً ، وفرائضك محرفة عن جهات أشراعك ، وسنن نبيك متروكة ، اللهم العن أعداءهم من الأولين والآخرين ومن رضي بفعالهم وأشياعهم ، وأتباعهم ، اللهم صلِّ على محمد وآل محمد إنك حميد مجيد كصلواتك وبركاتك وتحياتك على أصفيائك إبراهيم وآل إبراهيم وعجل الفرج والروح والنصرة والتمكين والتأييد لهم . . . » .

وخاض الإمام عليه السلام في هذا المقطع من دعائه الشؤون السياسية الحساسة في عصره ، فقد أدلى بما يلي :

١ ـ أن مقام صلاة العيد ، وغيرها من الشؤون العامة إنما هي لأئمة الهدى الذين هم خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وأوصياؤه وهم الذين يسيرون بين الناس بسياسة قوامها العدل الخالص ، والحق المحض .

٢ ـ أن المراكز الحساسة في الدولة قد ابتزها أئمة الجور والضلال من ملوك الأمويين الذين لم يألوا جهداً في محاربة الوعي الإسلامي وإقصاء العقيدة الإسلامية عن واقع الحياة .

٣ ـ أن أئمة الهدى والحق قد عادوا في ضلال الحكم الأموي الأسود مقهورين ، مغلوبين ، قد ابتزت حقوقهم .

٤ ـ أن السياسة الأموية قد عمدت إلى تبديل أحكام الله ، ونبذ

---

(١) إن هذا المقام : أي مقام صلاة العيد .

(٢) غير متهم : أي لا تتهم بانك قد عملت على خلاف الحكمة .

الكتاب ، وتحريف الفرائض ، وترك سنة الرسول (ص) . . .

ولنعد بعد هذا إلى لوحة أخرى من هذا الدعاء الشريف :

« اللهم واجعلني من أهل التوحيد والإيمان بك ، والتصديق برسولك ، والأئمة الذين حتمت طاعتهم ، ممن يجري ذلك[1] به وعلى يديه آمين رب العالمين ، اللهم ليس يرد غضبك إلا حلمك ، ولا يرد سخطك إلا عفوك ، ولا يجير من عقابك إلا رحمتك ، ولا ينجني منك إلا التضرع إليك ، وبين يديك ، فصلِّ على محمد وآل محمد ، وهب لنا يا آلهي من لدنك فرجاً بالقدرة التي تحيي بها أموات العباد ، وبها تنشر ميت البلاد ، ولا تهلكني يا آلهي غماً حتى تستجيب لي ، وتعرفني الإجابة في دعائي ، وأذقني طعم العافية إلى منتهى أجلي ، ولا تشمت بي عدوي ، ولا تمكنه من عنقي ، ولا تسلطه علي .

آلهي إن رفعتني فمن ذا الذي يضعني ؟ وإن وضعتني فمن ذا الذي يرفعني ، وإن أكرمتني فمن ذا الذي يهينني ؟ وإن أهنتني فمن ذا الذي يكرمني ؟ وإن عذبتني فمن ذا الذي يرحمني ؟ وإن أهلكتني فمن ذا الذي يعرض لك[2] في عبدك أو يسألك عن أمره ؟ ، وقد علمت أنه ليس في حكمك ظلم ، ولا في نقمتك عجلة ، وإنما يعجل من يخاف الفوت ، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف ، وقد تعاليت يا آلهي عن ذلك علواً كبيراً .

اللهم صل على محمد وآل محمد ، ولا تجعلني للبلاء غرضاً ، ولا لنقمتك نصباً ومهلني[3] ونفسني[4] وأقلني عثرتي ، ولا تبتلني ببلاء على اثر بلاء[5] فقد ترى ضعفي وقلة حيلتي ، وتضرعي إليك ، أعوذ بك اللهم اليوم من غضبك ، فصلِّ على محمد وآله ، وأعذني ، وأستجير بك من سخطك ،

(١) ذلك : المشار إليه النصر .

(٢) يعرض لك : أي يعترض عليك .

(٣) ومهلني : أي أعطني المهلة .

(٤) ونفسني : أي أزل همي وكربتي .

(٥) ولا تبتلني ببلاء أثر بلاء : فإن تتابع البلاء مما يوجب انهيار الإنسان وشقاءه .

فصلِّ على محمد وآله ، وأجرني ، وأسألك أمناً من عذابك ، فصلِّ على محمد وآله وآمني ، وأستهديك ، فصل على محمد وآله ، واهدني ، وأستنصرك فصلِّ على محمد وآله ، وانصرني ، واسترحمك ، فصلِّ على محمد وآله ، وارحمني ، وأسترزقك وأستعينك فصلِّ على محمد وآله وأغني ، وأستغفرك لما سلف من ذنوبي فصلِّ على محمد وآله واغفر لي ، وأستعصمك ، فصلِّ على محمد وآله ، واعصمني فإني لن أعود لشيء كرهته مني إن شئت ذلك ، يا رب ، يا رب ، يا حنان ، يا منان ، يا ذا الجلال والإكرام ، صلِّ على محمد وآله واستجب لي جميع ما سألتك ، وطلبت إليك ، ورغبت فيه إليك ، وأرده[1] وقدره ، واقضه ، وأمضه ، وخر لي فيما تقضي منه ، وبارك لي في ذلك وتفضل علي به ، وأسعدني بما تعطيني منه ، وزدني من فضلك ، وسعة ما عندك ، فإنك واسع كريم ، وصل ذلك بخير الآخرة ، ونعيمها يا أرحم الراحمين . . » .

وكان يدعو بعد هذا الدعاء الجليل بما أهمه ، ثم يصلي على النبي العظيم (ص) ألف مرة[2] وانتهى بذلك هذا الدعاء الشريف الحافل بالخضوع والتذلل أمام الخالق العظيم ، والطلب منه بخير الدنيا والآخرة ، فقد سأل منه الإيمان به ، والتصديق برسوله وبالأئمة العظام أوصياء النبي (ص) وخلفائه على أمته ، ومما لا شبهة فيه أن الإمام عليه السلام كان في أعلى مراتب الإيمان بالله ، والتصديق برسوله (ص) ومعرفة أوصيائه فهو أحدهم ، وإنما كان يدعو بذلك لإرشاد الأمة لاتباع المنهج السليم في حياتها العقائدية .

---

(١) وارده : أي أعطني طلبي ورغبتي .
(٢) الصحيفة السجادية : الدعاء السابع والأربعون .

الفهرس





